الجُمهورِيَّة الجَزائرِيَّة الدِّيمُقراطِيِّة الشَّعبِيَّة
وزَارة التَّعـلِيم العَـالِي وَالبَـــحث العِـلمِي

جامعة الجزائر2
أبو القاسم سعد الله

كُلِّـية اللّـغة العَربِيَّة وَآدَابهَا وَاللُّغات الشَّرقِيَّة
قِـســـم اللُّـــغَـة الـعَـربـيَّـــة وَآدَابـهَـا

خَصائِص شِعر المَدِيح النَّبوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام وَالعَـصرِ الحَـدِيثِ

دِراسَـة مُـوازِنـة بَيـن أنمـوذجَين مُختَارين

رِسَالَة مُقـدَّمة لِـنَيل شَهـادَة دكتُـورَاه العُـلُوم
تَخَصُّص: قَضَـايَا الأَدَب وَالـدِّراسَات النَّـقدِيَّة وَالمُـقَـارنَة

إعدَاد الطَّالِب: عَز الدِّين بن حَلِيـمَة
إشرَاف الأستَاذ: د/ رَشِـيد كُـورَاد

السَّنَةُ الجَامِعِيَّة: 1440/1441هـ - 2019/2020م

الجُمهُورِيَّة الجزَائِرِيَّة الدِّيمُقرَاطِيِّـة الشَّعبيَّة

وزَارة التَّعـلِيم العَـالِيّ وَالبَـحث العِلمِي

جامعة الجزائر2
أبو القاسم سعد الله

كُلِّية اللُّغة العَربِيَّة وَآدَابهَا وَاللُّغَات الشَّرقيَّة

قِـسمُ اللُّـــغَة العَــربِـيَّة وَآدَابــهَــا

خَصائِص شِعر المَدِيح النَّبوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام وَالعَـصرِ الحَـدِيثِ

دِراسَـة مُـوازِنــة بَيـن أنمـوذجَين مُختَارين

رِسَالَة مُقدَّمة لِنَيل شَهـادَة دكتُـوراه العُـلُوم

تَخَصُّص: قَضَـايَا الأَدَب وَالـدِّراسَات النَّـقدِيَّة وَالمُـقَارنَة

أَعضَاء لجنَة المُناقَشة:

الاسم واللّقب	الجـــامعة	الصّـــــفة	التوقيع
أ.د: نـورالـدّين الـسّـــد	جَامِـعَة الجَـزَائِر 02	رئيـــــسـا	
أ.د: رَشِيـــــد كُـــــورَاد	جَامِـعَة الجَـزَائِر 02	مُـشرِفًا وَمُـــقَـــرّرًا	
أ.د: عائـــــشة مـــقـــدم	جَامِـعَة الجَـزَائِر 02	عضوا مناقشا	
أ.د: عـمـــــر عـــاشـــور	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر	عضوا مناقشا	
أ.د: مـحمّـــد العمـاري	جامـعة البلـيدة 02	عضوا مناقشا	

إعـدَاد الطّالِب: عَزالدِّين بن حَلِيمَة

إشرَافُ الأستَاذ: د/ رَشِـــيد كُورَاد

السّنة الجامعيّة: 1440/1441هـ – 2019/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إِهـــدَاء:

إِلَى كُـلِّ طَـلَـبَة العِلْم المُهتمِّين بِهَــذَا المَوضُوع.

وإِلَى كُـلِّ مَـن يَعــرِفُنِي مِن قَريبٍ أَو مِـن بَعِيدٍ.

أُهدِي عَمَلِي هَذَا.

شُكر وَعِرفَان:

قَالَ تعَالَى: ".. لَئِنْ شَكَرتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ..." سُورَةُ إِبرَاهِيم الآيَة-09-

لَا يَسَـعُنِي فِي هَذَا المَقَـامِ سِوَى أَن أَحْمـدَ اللهَ وَأَشكُره عَلَى أَن وَفَّقنِي لِإِنهَاءِ هَذَا العَمَل، وَأَن أَتَقَدَّمَ بِجَزِيلِ شُكرِي وتقديري وَامتِنَانِي إلى الأستَاذ الدُّكتُور "رَشِيد كُورَاد" المُشرِفِ عَلَى إِدَارَةِ هَذَا البَحثِ وَمُتَابعَتِهِ؛ عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمهُ لي مِـــن دَعـمٍ مَعنَـويٍّ وإرشَـادَاتٍ وَتَوجِـيهاتٍ في سَـبيلِ إِتمَـامِهِ وَإنجَـــاحِهِ، كَمَا أَتَقَـدَّمُ بِجَزِيلِ شُكرِي وَتَقدِيرِي إِلَى أَعضَاءِ لجنَةِ المُناقشَةِ، وَإِلى كُلِّ مَـن سَانـدَنِي وَأَعانَـنِي فِي إِنجَـازِ هَذَا العَـملِ المُتوَاضِع.

ط/ عَزالدِّين بن حَلِيمَة

مُقدِّمَـــــة

مُقَـدِّمَـة:

عُرِف العرَب في جاهِليتهم بالكثيرِ منَ العَاداتِ والتَّقاليدِ، والمُعتقداتِ الخاطئةِ، والقِيَم الجاهليّةِ والسّلوكياتِ السّلبيةِ المُنحرفةِ الّتي شَوَّهت سُمعَتهم ومَا عُرِفوا بهِ من خِصال حَميدة وصِفات حَسنة مِن جودٍ وكَرم وعِزّة وعِفّة وحُسنِ جوار وشَجاعة وغَيرِها من الصِّفات، وبِظهور الإسلَام تغيَّرت جِذريًا كثير مِن تلكَ المُعتقداتِ والأفكارِ والمُعاملاتِ، وتهذّبَت في مُختلفِ مَجالاتِ الحياةِ اليوميّةِ، حَيث اصطَدمَ العربُ آنذاكَ برِسَالةٍ جديدةٍ لَم يتقبّلوها، وبكتابٍ بَليغٍ لم يتمكّنُوا مِن مُجارَاتهِ والتفَوّقِ عَليهِ، فأحدثت تِلك الشّريعة الجَديدَة والمبادئ والقيم السّامية الّتي جَاءت بهَا من النّاحية الاجتماعيّة والأخلَاقيّة والعقائديّة إربَاكًا للمجتمعِ الجاهليِّ، حيث حلَّ محلَ التّعصُّب للقبيلة الانضواءُ تحتَ لواءِ العقيدة الإسلَاميّة الصّحِيحة الّتي تدعُو إلَى مَكارم الأخلاقِ والصِّفات والمُعامَلاتِ، ونبذِ التّعصّبِ القبليِّ، وتَوحيدِ الصّفوفِ للرّقيِّ بالأفرادِ والجمَاعاتِ نَحوَ التّقدّمِ والازدهارِ والرّفاهيّةِ فِي مُختلَفِ مَجالاتِ الحَياةِ.

أمَّا منَ النّاحِيةِ الفنّيةِ الأدبيّةِ والإبداعيّةِ فيمَا يتعلّقُ بمجالِ الشّعرِ والشّعرَاء، فقد قَلَّت بَعضُ الأغرَاضِ الشّعريّةِ، وانخفَضَ مُستواهَا مثلَ سَجعِ الكُهّانِ والهجَاءِ اللّاذعِ والغزلِ الماجنِ، والرّثاءِ المبالغِ فيهِ، وكانَ موقفُ الإسلامِ واضحاً وإيجابياً مِن بَعضِ الأغراضِ الأخرَى، حيثُ قَبِلَ الرّسولُ (ﷺ) الشِّعرَ الّذِي يخدمُ الدّينَ الإسلاميَّ، والشِّعرَ العَفيفَ الّذِي يَدعُو إلَى مَكارِمِ الأخلاقِ، ومَحامِد الصِّفات، ونَبَذَ الرّسولُ (ﷺ) الأشعارَ الّتي تكُونُ سببًا فِي العَداوةِ والبغضاءِ والنِّزاعاتِ، وفَضحِ عُيوبِ النّاسِ وأسرارِهم... وبِذلكَ تهَذَّبَ الشّعرُ تدريجيًا آنذاكَ إلَى أن أَخذَا بُعداً دِينيًا وَاضِحًا فِيمَا بَعدُ؛ حيثُ انقسمَ الشّعراءُ حِينهَا إلَى فِرقتينِ مُتباينتينِ: فِرقةٌ تُناصِب الإسلامَ العداءَ وتهجُو النّبيَّ (ﷺ) ولَا تستطِيع الانسِلاخَ عَن دينِ الآباءِ والأجدادِ، وفرقةٌ أخرَى

ذاقَت حَلاوةَ الإيمانِ؛ تُدافِعُ عنِ الإسلامِ والمُسلمينِ، وتمدَحُ نبـيّهُ، وتُنــافح عن رِسالتهِ النّبيلَةِ.

وقد أسهَمتِ القِيم والفضَائل الجَدِيدة الّتِي جَاءَ بِهَا الإسلَام فِي تَطوّرِ فنِّ المدحِ عامّة منذ القرنِ الأولِ هجرِي، حيثُ انبرَى شعراءُ الرّسولِ (ﷺ) وعلَى رأسِهم: حسّان بنُ ثابِت، وعبدُ اللهِ بنُ رَواحَة، وكعبٌ بنُ مالك إلَى التّغنِي بهذهِ الفضَائلِ، والدّعوةِ إليها، والتّصدِي إلَى المُشركينَ وهِجائهِم والرّدِ عليهم؛ بعدَ أن حثّهَم الرّسولُ (ﷺ) علَى ذَلك مَا دَامتِ اللّفظةُ آنذاك أشَدَّ وقعًا علَيهِم منَ السَّيفِ والرُّمحِ.

وكانَ للشّعرِ أيضًا فِي ذلكَ الزّمنِ –وفي عهدِ النّبوةِ بصِفةٍ خاصّةٍ– دَور هَام وخَطير فِي بَعضِ الأحيَانِ؛ لأنّهُ كَانَ مِن أكثرِ الوَسائلِ الإعلَاميّةِ تأثيرًا آنـذاكَ، الأمرُ الّذي تركَ الشّعراءَ المُشركينَ (وعلى رَأسِهم: "عبدُ اللهِ بنُ الزّبعرِي"، و"أبُو سُفيانَ بنُ الحَارثِ بنُ عبدِ المُطّلبِ") يستَغلّونَهُ فِي حَربهِم ضِدَّ الإسلَامِ، وهِجَاءِ النّبيِّ (ﷺ) وأصحابِهِ، والنّيلِ من أعراضِهم وعَقيدتهِم، فكانت ردَّةُ الفعلِ الّتي لَا بُدَّ منهَا أن كَلَّفَ النّبيُّ (ﷺ) –كمَا سبقَ وأن أشرنَا– فَريقًا للدّفاعِ عنِ الإسلَامِ والمُسلمينَ.

واستَمرّت تلكَ الأشعارُ المادحةُ لشَخصِ الرّسولِ (ﷺ) إلَى غايةِ وفاتِهِ وَمَا بعدهَا إلى يَومِنا هذَا فِي مُختلفِ أنحاءِ البِلَادِ الإسلَاميّةِ، وممَّا لا شكَّ فيهِ أنّهَا تَطوّرَت وتميّزَت فِي كُلِّ عَصرٍ مِنَ العُصورِ الأدبيّةِ بميزاتٍ وخصَائصَ كَثيرةٍ تَستَدعِي التّحدِيدَ والتّصنِيفَ والمُوازنةَ، والدّراسَةَ الدّقيقةَ لِكشفِ فنّياتِها وجَماليَاتِها، ومَا وراءَها مِن خَلفياتٍ دِينيّةٍ وعَقَائديّةٍ واجتِماعِيّةٍ وثَقافيّةٍ... إضَافةً إلى كَشفِ مدَى صِحَّةِ مَا يقالُ عنْ كلِّ عصرٍ مِن إيجابياتٍ وسِلبياتٍ حولَ هذهِ الأشعارِ.

وانطِلاقًا مِن كلِّ هذا، جاءت فكرةُ هذهِ الدّراسةِ الّتي سَعينَا فيهَا إلَى بَحثِ واستِقصَاءِ أَهَمِّ سِماتِ شعرِ المَديحِ النّبوِي الفصِيح وخَصَائِصِهِ فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ (ابتداءً من عهدِ النّبيِّ إلَى غايةِ 40هـ)، وبالخُصُوصِ حينمَا كانت الدّعوةُ

المُحمّديّةُ فِي ذروتِها، وبَحثِ مُختلفِ خَصَائصِهِ أيضًا في العَصرِ الحَديثِ؛ خُصُوصًا بعدَ الحَملةِ الفرنسيّةِ على الولايتَينِ العُثمانِيتينِ: مصر والشّام (1798م-1801م)، وإقامَةِ مُوازنةٍ بينَ قَصِيدَتينِ مُختلفَتينِ منَ العَصرَينِ السّابِقينِ لإثبَاتِ مُختلَفِ الخَصَائصِ الّتي تميَّزت بِها المَدائِح فيهِما، وللتَّوَصُّلِ إلَى أوجُهِ التشَابهِ والاختِلافِ بينَ العَصرَين بالدّرجةِ الأولَى، ومدَى صِحَّة بعضِ الأحكامِ والخَصَائصِ عَامّةً.

وقد وجدنا أنفسَنا نبحثُ عن أجوبة دقيقة وواضِحة لأسئِلة فرعية عدِيدة تصبُّ في صَمِيمِ إشكَالية مَوضُوعِنا وجَوهَرِها؛ مِنها مَا يتعلّق بالجانبِ النّظريِّ للدّراسَةِ؛ الّذي كانَ حاضرًا في مُختلفِ عناوينها، ومنهَا مَا يتعلّقُ بالجانبِ التّطبيقيِّ لهَا؛ الّذِي كانَ مُوزعًا أيضًا فِي مُعظمِ عناوينِهَا، ونذكرُ منها على التّرتيبِ ما يلِي:

- ما مَفهومُ شِعرِ المَديحِ النّبوِي لغةً واصطلاحًا بدقّةٍ؟ ومَا علاقتُهُ بغرضِ الرّثاءِ إذا تَذكَرنَا أنّ النّبِيّ قَد تُوفِيَ مُنذ أكثرَ مِن (1440) سَنةً؟ وَكَيفَ نشأتِ المدائحُ النّبويّةُ؟ وكيفَ كَانت بداياتُهَا قَبل البِعثَة النّبوِيّة وَبَعدَهَا؟
- مَا هيَ دواعِي انتشَار قصائد المديحِ النّبوِي عبرَ مُختلفِ العُصُورِ والأزمنةِ؟ ومَا هيَ أهمُّ أشكالِها وتسمِيّاتِها الّتي عُرِفت بِهَا؟ ومَاهِي مَرجِعيّتُها التّنَاصِيّةُ ومَصَادرها؟
- مَا هِي خَصائِص شعرِ المَديحِ النّبوِي شكلًا ومَضمُونًا في عَصرَي صَدر الإسلَام والعَصرِ الحَديثِ؟ ومن هُم أهمُّ أعلَامه فِي هَذينِ العَصرَينِ؟ وما هِيَ أهمُّ قصَائدِهم الّتي اشتُهِروا بهَا فِي هذا الشَّأنِ؟
- ومَا هِيَ أوجُهُ التَّشابُه والاختِلافِ -شكلًا ومَضمونًا- بينَ قَصَائد مُدَونة البَحث؟ وما هي نقاط التدَاخل بَينَهما؟

واجتهَدنا فِي دِراسَتنَا هذِه إلَى مُحاولةِ الإجابةِ عن هذِه التّساؤلاتِ الّتي فرضَت علَينَا أن نتسَلّحَ بِخُطّةِ عملٍ مُحكَمَةٍ، وجُملةٍ من المَبادِئ المَوضُوعيةِ والإجراءَات المَنهجيّةِ، وأن نَستَعِين بمَنهجٍ نقديٍّ مُناسبٍ أَو أكثرَ فِي الجانِب التَطبِيقي لكلّ عُنوان،

وبالخُصوص أثناءَ تحليلِ بِنيَةِ النّصُوصِ الشّعريّةِ المُعتمدةِ في الفصل الأخير من الدّراسَة، وفكِّ بعض شَفراتِ رُمُوزِها، حَتَّى تكُونَ دِراسَتُنا واضِحةً ودَقيقةً ومثمرةً أكثرَ.

وطَبيعةُ المَوضُوعِ وفُصُولِه ومبَاحثِه دَفعتنَا إلَى اعتماد المنهج التكاملي، وعدَم التقيّد بِمنهَجٍ نقديٍّ واحدٍ، واعتمَادِ أكثرَ من منهجٍ حسبَ الحَاجَة، إيمَانًا مِنّا أنّهُ يجب علَى الباحِثِ أن يستَغلَّ ما أمكَنَ من المَناهِج الأدبيّةِ والنّقديّةِ أثناء تحليل النّصوص الأدبيّة باختلاف أنواعها، وأن يُحدِثَ تكامُلًا فيما بينَهَا بَعيدا عَنِ الذاتيّةِ والتّعصُبِ لمَنهجٍ دُونَ آخرَ، ولَكِن هذا لم يمنَعنَا أن نعتمِدَ قليلًا علَى بَعضِ المناهِجِ –بشَكلٍ واضحٍ إلى حدٍّ ما– فِي دِراستِنا؛ ففِي الجَانبِ النّظرِي لهذهِ الدّراسَةِ اعتمَدنَا على المنهج التاريخِيّ التَّحليلِيّ لمَعرِفةِ بِداياتِ المَدائِح النّبويّةِ وأعلَامها وأشكَالها ونَشأَتهَا وتَطوُّرهَا، أمَّا الجانب التّطبيقي منهَا فآثرنَا فيهِ اعتِمَادَ بعض الخطوَات الإجرَائيّة للمَنهَج الأسلُوبِي الوصفي أثناءَ دراسَةِ بنيةِ القصَائدِ المُعتمَدةِ كَمدونةِ بَحثٍ لِهذهِ الدّراسةِ وما ظهر فيها من انزياحات لغويّة وأسلوبيّة وفنيّة، وذلك لأنّ "الأسلوب هو النّص"[1]، وهو أيضا عبارة عن "بصمة (empreinte) أو أثر وعلامة (معنويّة أو نفسيّة) لشخصيّة الكاتب"[2] لا يمكن للباحث أن يغفل عن التطرّق إليها في دراسته.

وقد اجتهدنَا وركّزنَا فِي مُعظم عناوِينِ فصُولِ الدّراسة ومباحثها علَى تقديمِ أهمِّ المَعلُوماتِ النّقديّة والأدبيّة والتاريخيّة الّتي تَخدِمُ موضُوعَنا بشَكلٍ مبَاشرٍ بَعيدًا عنِ الإطَالةِ واللّفِ والدّورانِ دونَ فائدةٍ، وتَحدِيد الشّاهِد الشّعرِي الّذي يثبِت الخَاصيّة الّتِي نَحن بِصَدَد دِراستِها وتَحدِيدها وإثباتِها، ورَكّزنَا فِي الفصلِ الرّابع من دِراستِنا علَى القَصيدتين المُعتمَدتين كَمدونَة بَحثٍ لها، وقُمنَا بِدراستِهما شكلًا ومضمونًا وِفق

[1]– Voir : Michael Riffatere : **LA PRODUCTION DU TEXTE** , Le Seuil, Paris, France, 1979, p08

[2]– Voir : George Mounin : **DICTIONNAIRE DE LINGUISTIQUE** , presses universitaire de France, Paris, France, 4eme éd, 2004, p308.

العَناوِين الّتِي تطرّقنا إِليها فِي الفَصلِ الثانِي والثالث المُوافِقين لَها، وَلم نَخُض فِي كُلّ كَبِيرة وَصغِيرة حَتى لَا يَطولَ بَحثنا دُون تَحقِيق الأهدَاف المُسطّرَة لَه.

وكانَ اِعتمَادنَا للمَنهجِ التارِيخِي التحليلي بينَ الحِينِ والآخَر –فِي الجَانبِ النّظرِي خاصّة– لأنّه يُساعدنا في التعرّفِ علَى مَنشَأ الظَّواهرِ وبِداياتِها وتطوّرِها، والتَعرُّفِ على البحوثِ السّابقةِ وإِشكالياتِها، ومَعرفةِ حُلولِها أيضا.

كمَا فضَّلنَا اعتمادَ بعضَ الخطوَات الإجرائيّة للمنهج الأسلوبِي الوصفي لِتَحليلِ بنيةِ القصائدِ المُعتمدةِ كمدونةِ بحثٍ، لأَسبَابٍ عديدةٍ نَذكُرُ منهَا مَا يلِي:

- استِقرار المفَاهيمِ النّظريّةِ والمبَادئِ الإجرائيّةِ للمنهَجِ الأسلُوبِي إِلَى حدٍّ لَم يَعدْ نقلُهَا أوِ الإفادة منهَا يمثّلُ عائقًا أوْ مُشكلًا في وجهِ الدّارسينَ والباحثينَ.
- شُمُوليّةُ الدّراسَةِ الأسلُوبيّةِ واتسَاعهَا إلى حدٍّ كبيرٍ، وتعرّضُها للنّصِ الأدبِي مِن مُعظمِ جوانبهِ الصَوتيّةِ والصَرفيّةِ والمُعجَميّةِ والتّركِيبيّةِ والدّلاليّةِ...

ولتطبيقِ هذه المَناهجِ أحسَنَ تطبِيقٍ، وتوظِيفِ مَبادئِها وإِجرَاءَاتِها أحسَنَ تَوظيفٍ؛ قيّدنا هذهِ الدّراسَةَ بخطَة بحثٍ نلخصُهَا فيمَا يلِي :

1– مُقدّمَة:

وقمت فيها بتحديد إشكاليةِ البَحثِ والتساؤلات الّتي يطرحها، ثمَّ المنهج المعتمد فِي الدّراسةِ وأسبَاب اختيَارِه، ثمّ موجزًا لخُطّةِ البَحثِ المتّبعةِ انطِلاقًا من بَيانِ مَضمونِ المُقدمةِ وفُصولِها إِلَى غايةِ الخَاتمةِ الّتي أجمَلنَا فيهَا أهمَّ نتائِج الدّراسةِ، ثمّ ذكرنَا فِي آخرِ هذِهِ المُقدّمَة أهمّ المَصَادِر والمَرَاجِع الّتي تمَّ الاعتمَادُ عليهَا، والدّراسَات السّابقة الّتي اطّلعنَا علَيهَا، وَخَتمنَا كُلَّ هَذا بِبيَان أهمِّ الصُّعُوباتِ والعراقِيل الّتي واجَهت هذَا البَحث في شِّقَيهِ النّظرِي والتّطبِيقِي.

2 – الفصل الأوّل:

كانَ هذَا الفصلُ بعُنوان: "**المَدِيح النّبَوِي؛ مَفهُومُه وَقَضَايَاه**" بِمثابةِ مدخلٍ نظرِيٍّ لموضوعِ بحثِنَا عامّة؛ ويقعُ فِي (50) صَفحة، وَضّحنَا فيهِ مَفهومَ المديحِ النّبوِي وعلاقته بغَرضِ "الرّثاء"، ثمّ خُضنَا فِي بَعض القضَايا مِثلَ: بَيَان ظُرُوف نشأةِ المَدائحِ النّبويّةِ وبِدَاياتِها، أسبابِ نَشأَتِها وشُيوعِها، أهمّ أنمَاطِها وأَشكَالِها مُنذُ ظُهورِها إلى غَايةِ يومنَا هذَا معَ التّمثيلِ لِكلّ شكلٍ، ثمّ قُمنا أيضًا بِبَيانِ المَرجِعيّةِ التنَاصِيّةِ للمَدَائِح النّبوِيّةِ ومصَادرِها، وَمُختلَف مواقِف قَبولِها ورَفضِها بالنّظرِ إلَى طَبيعَة مَضمُونِها ومَدَى المُغالَاة فِيهَا، وَخَتَمنَا هَذا الفَصل بالحَدِيثِ عَن قَضِيّةِ المَدِيحِ النّبَوِي النّسوِي بَين الوُجُود والعدَم ومدَى اهتِمام الدّارِسين بِه.

3– الفَصل الثّاني:

وكانَ تحتَ عُنوَان "**خصَائص شِعر المَديحِ النّبوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام**"، ويَقع أيضًا فِي (50) صَفحَة، ارتأينَا فيهِ أن نبدأه ببيَانِ أهمّ أعلامِه قبلَ الخَوضِ في تِعدادِ خصائِصِهِ حتّى يأخُذَ القارِئ فكرةً عَامةً عن هذَا العَصر، ثمّ وضّحنَا فِيه مختلفَ سِماتِ شِعرِ المدائحِ النّبويّةِ شَكلًا ثمّ مضمونًا بقدرٍ منَ التّفصيلِ والتّدقيقِ.

4– الفَصل الثّالِث:

وكانَ تحت عُنوَان "**خصَائِص شِعر المَديحِ النّبوِي فِي العَصرِ الحَديثِ**"، ويَقع هو الآخر فِي (50) صَفحَة، ارتأينَا فيهِ أيضًا أن نبدَأَه ببيَانِ أهمّ أعلامِ شِعر المديح النّبوي فِي ذلك العَصر قبلَ الخَوضِ في تِعدادِ خَصَائصِهِ حتَّى يأخُذَ القارِئ فكرةً عامّةً عنه، ثمّ وضّحتُ فيه أيضًا مُختلفَ سِماتِ شِعرِ المديحِ النّبويّ وخصَائصِه شكلًا ثمَّ مضمُونا بقدرٍ منَ التّفصيلِ والتّدقِيقِ.

5- الفَصل الرّابِع:

وكانَ تحت عُنوَان: "**مُوازَنَة بينَ هَمْزيَّة حسّانُ بنُ ثابِت ونهجُ البردَةِ لأحمَد شَوقِي**"، ويَقع فِي (50) صَفحَة، ارتأينَا أَن نَبدَأهُ بِبَحثِ مفهُومِ الموازنَةِ ومبادِئها وشروطِهَا حتّى لَا نَقع فِي أَخطَاء بحثيّةٍ مَنهَجيّةٍ، ثمّ قُمتُ بدِراسةِ كُلّ قَصِيدةٍ وتَحلِيلِها عَلَى انفرادٍ وِفقَ العَناوِين الّتي تطرّقت إليهَا فِي الفَصلَين الأوّل والثّاني المُوَافقين لَهما، ثُمّ أقَمت بَعد ذلكَ مُوازنةً بينَهمَا مِن خِلال تحديدِ أوجُهِ التشابُهِ والاختِلافِ بينَهُمَا شَكلا وَمَضمُونا للتّحقُق مِن مَدَى صِحَّة خَصَائِص المَديحِ النّبَوِي فِي كُلّ عَصرٍ، خَاتِمًا عملية المُوازنَة بِخلَاصةٍ عامّةً مُوجَزةٍ حولَها مبيّنا أهمّ نقطَة تَداخلٍ بَينَ القصِيدتين.

6- خاتِمَة:

وتضَمّنَت أَهَمّ نَتَائِج الدّراسةِ فِي شِقَّيهَا النَّظرِي والتَّطبِيقي مُرتبَة حَسبَ عَنَاوِينِها الأسَاسِيّة لكلّ فَصل، وَالمُتمثّلةِ فِي أبرَزِ خَصَائِصِ شِعر المَديحِ النّبوي عَامّةً، وخَصَائِصِه في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ والعَصرِ الحَديثِ خَاصّةً، إضَافةً إلَى أهمّ نتَائِج المُوازنَةِ بينَ القَصيدَتينِ المُعتمدَتين كَمُدَونَة بحثٍ لهذِه الدّراسة.

وقد اعتَمدنَا فِي هَذهِ الدّراسَةِ علَى مَصَادرَ ومراجعَ كثيرةٍ كانَ من أهمِهَا: كِتَابَا: "**المَدَائِحُ النّبويّة**" وَ"**المُوَازَنَة بَينَ الشّعَرَاءِ**" للدّكتورِ زَكِي مبارَك، "**المدَائحُ النّبويّةُ**" لِمَحمُود عَلِي مَكِي، "**السّيرة النّبويّة**" لابنِ هِشَام، وابنِ اسْحَاق، و**دَواوِينِ** مُختلَف شُعراء المَديحِ النّبوِي (الّذين تمّ التَطرُّق إليهم) فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ والعَصرِ الحَديثِ، إضَافةً إلَى مَراجِعَ مُختلِفَة فِي البَلَاغَةِ، والنّقد الأدبِي، وعِلم العَروض والقافِية ومراجع مُتنوّعَة سَتَرِدُ مُفصَلةً فِي قائِمةِ المَصَادرِ والمَراجِعِ.

كمَا اطّلعنَا عَلَى بَعضِ الدّراسَاتِ السّابقةِ حَول موضُوعِ المَدائحِ النّبويّةِ، وَكَانَ مِن أَهَمِّهَا مَا يَلِي:

1- المَجمُوعةُ النّبهَانيّةُ فِي المَدائحِ النّبويّةِ دِراسَة أسلوبيَّة: عَبد القادِر البّار، رسَالة دُكتُوراه، جامِعة أبِي بَكْر بلقايد، تلمسَان، الجزائر، 2011م.

2- استِنسَاخُ نَصِّ المَديحِ النّبوِي مِنَ التأسِيسِ إلى اكتمالِ النَموذجِ: حَكِيمَة بُوشلَالق، رسَالَة دكتُوراه، جامِعة محمّد بُوضيَاف، المسِيلَة، الجَزائِر، 2017م.

وكَكُلّ بحثٍ علمِيٍّ، لم تَخلُ دراستُنا من بعضِ الصّعوبات والعَراقيلِ الّتي تتعلّقُ بالبحثِ فِي حدّ ذاتهِ، والّتي كانَ من أبرزِها مَا يلِي:

1- قلّةُ الدّراساتِ التّطبيقيّةِ الموازنةِ -على قَدرِ ما اطّلعنَا عليه- بين الأشعارِ المادحةِ لرسولِ اللهِ (ﷺ) في عصرِ صَدرِ الإسلامِ والعصرِ الحديثِ؛ وقد يعودُ السّببُ في ذلكَ إلى طولِ القصَائدِ وكَثرتِها (خاصّة في العَصرِ الحَدِيث).

2- صُعوبَة إيجادِ البيتِ الشّعرِي -أو الأبيَات- الشّاهِد على الظَاهرَة أوِ الخَاصِيَّةِ في بعضِ الأحيانِ، حيثُ اضطررنَا إلى تكرَارِ بعضِ الشّواهِد الشّعريةِ لتوفّرِها على أكثَر منْ خاصّيةٍ وظاهِرة.

3- صُعوبةُ تأويلِ بَعض المُعطياتِ اللّغويّةِ والفنيّة الّتي يتمُّ استِخراجُها منَ المُدوّنة، وبالخُصُوصِ حينمَا تأخذُ بُعدًا دينيًّا يفرضُ علينَا التَّحَرِي والتّأكّد من صحّةِ المَعلومةِ ومَصدَرها ودقَّتِها.

4- تَعَدُّدُ الآراءِ ووجهَات النّظرِ -وتناقُضهَا تماما في بَعضِ الأحيانِ- فِي بَعضِ القصائدِ والشّعراءِ وبعض الأحكامِ والمُصطَلَحَاتِ والمَفاهِيم والقَضَايا النّقديّةِ والبلاغيّةِ والشّعريّة (اتساعُ الجانبِ النّظرِي لهَا وتباين الآراءِ حولَهَا).

وعَلَى الرّغمِ مِن هَذهِ الصّعوبَات حَاولت جَاهِدا تذليلَ الكَثير منهَا؛ حيثُ تجنّبت فِي الجَانبِ النّظرِي -لكلِّ عنوانٍ منَ الدّراسةِ- الخوضَ فِي الآراءِ المُتنَاقضَةِ حولَ مَوضُوعِ المَدائحِ النّبويّةِ وبَعضِ أعلَامِهِ الّذِينَ اِختلَفَ النّقادُ حولَ مَدائحِهم، واعتمَدت كثيرا فِي الجَانبِ التّطبِيقِي لكلِّ عُنوانٍ أيضًا منَ الدّراسَةِ علَى تَحدِيدِ الشّاهِدِ الشّعرِي

الّذِي يثبتُ الظَاهِرةَ أو الخاصّية المَدروسَة، وعَلَى القَصَائدِ الشِّعرِيَّةِ المُعتمدةِ كَمُدونةِ بَحثٍ فِي الفَصلِ الأخِيرِ مِنَ الدّراسَةِ، ومَا تحمِلُه مِن دلَالاتٍ مُختلِفةٍ وإمكَاناتٍ لُغَويّةٍ وفنيّةٍ وجماليّةٍ مُتعدّدةٍ، دُونَ إهمالِ خُصُوصِيتهَا ومُناسبتِهَا وسِياقِهَا العامِّ.

وختامًا، لا أزعمُ أنّني استوفيت كُلَّ جَوانِب هذِهِ الدّراسةِ، وأنّني كُنت دَقيقا فِيهَا كلَّ الدّقةِ، ولَكنّني آملُها أن تكُونَ مَرجِعًا نَقديًا مَوثُوقًا لدِراسَاتٍ أكثرَ تفصِيلًا، وأعمَقَ تَنَاولًا مِنهَا، وَلن أغفلَ في هَذا المَقَامِ أن أُجَدِّدَ شُكرِي وامتِنَانِي مرّة ثَانِيةً إلَى أستَاذي الدُّكتُور "**رَشِيد كُورَاد**" المُشرف علَى هذِه الرّسَالة الأكادِيميّة، وأن أَعتَذر عَن كلِّ قصورٍ أو خَطأٍ أو سَهوٍ صَادرٍ فِيهَا، فَإن أَصَبتُ فَبِتوفيقٍ مِنَ اللهِ عزَّ وَجَلَّ، وإن أخطَأتُ فَمِن نَفسِي ومِنَ الشّيطَانِ، واللهُ ورَسُولُهُ من وَراءِ القَصدِ.

الفَصل الأوَّل

المَدِيح النَّبَوِي: مَفهُومُه وَقَضَايَاه.

1. مَدخَل:
2. مَفهُوم المَدِيحِ النَّبوِي وَعَلاقَتُه بالرّثاءِ:
3. نَشأة شِعر المَدِيحِ النَّبوِي وبِدَايَاته:
4. أسبَاب انتشارِ شِعر المَدِيحِ النَّبَوِي وشُيُوعه:
5. أشكَال شِعر المَدِيحِ النَّبوِي وَأنمَاطه:
6. المَرجعِيَّة التناصِيّة لشِعر المَدِيح النّبَوِي ومَصَادرِه:
7. المَدِيح النّبَوِي بَين القَبُول والرَّفض:
8. المَدِيح النّبَوِي النّسوِي بَين الوُجُود والعَدَم:

المَدِيح النَّبَوِي: مَفــهُومُه وَقَضَـــايَاه.

1. مـــدخَـــل:	ص18
2. مفـــهومُ المَـــديحِ النَّـــبوِي وَعَـلاقَـتُه بالـــرّثاءِ:	ص18
2-1 . المَـــدح لـغـــةً واصـطـلاحًا:	
2-2 . ماهِـــــية المـــديحِ النّـبويّ:	
2-3 . عَلاقة المديحِ النَّبوِي بالرّثاءِ:	
3. نـشـــأة شـعـر المَـــــدِيحِ النَّـبوِي وَبـــــدَايـــاتهُ:	ص24
3-1. عَـــصـــر ما قبـــلَ البِعـــثَة:	
3-2. عَـــصـــر مَا بَعـــدَ البِعـــثَة:	
4. أسبَاب انتـشَارِ شِعر المَـــــدِيحِ النَّبوِيِّ وشُـــيُوعِـهِ:	ص33
4-1. أسبَاب دِينـــــيَّة عَـقائِـدِيّة:	
4-2. أسبَاب جُغـــرَافيَّة سِـيـاسِـيّة:	
4-3. أسبَاب اجـــتِمَاعيَّة نَـفـسِـيّة:	
4-4. أسبَاب تعلِيـمِيَّة تـــربَـــوَيّة:	
5. أشكـــال شِـعـر المَـــــدِيحِ النَّبـــوِي وأنمـــــاطُهُ:	ص40
5-1. البديعِيَات الشّعريّة النّبوِيّة:	
5-2. المُعارضَات الشّعريّة النّبوِيّة:	
5-3. المَولـــدِيَـــات النّـــــبوِيّة:	
5-4. النِّـــعالـــــيات النّـــــبوِيّة:	
5-5. الحِـــجـــازيـات النّـــــبوِيّة:	
5-6. المَلاحِـــم الشّعريّة النّـــبوِيّة:	
6- المَرجِعِيّة التَنَاصيّة لِشِعر المَدِيحِ النّبوي وَمَصَادِرِه:	ص57
7- المَـــدِيحُ النّـــبَوِي بَـــــينَ القَبُـــولِ والرّفـــضِ:	ص59
8- المَـــدِيحُ النّـــبَوِي النّسوِي بين الوُجُـــود والـــعَدَم:	ص62

1- مدخَـل:

تُعتبَر المَدائح النّبويّة مِن المَواضِيع التُراثية القَدِيمَة المُتسحدَثَة والمُتجدّدَة الّتي تَستَهوِي كَثيرًا مِنَ البَاحِثين والنّقادِ، وَسَنجتَهِد فِي هَذا الفَصلِ مِن دِراسَتنَا أن نَبحثَ فِي العَـديدِ منَ القضَايا العَامّةِ –النّظريةِ بالدّرجةِ الأولَى– الّتي تتَعلّقُ بمَوضوعِ شِعرِ المَديحِ النّبوي عامّةً، فمَا مِن قارئٍ –بادِئ ذِي بدءٍ– إلاّ وَ قد يتسَاءل في قَرَارَةِ نفسِهِ: مَا هُوَ شِعرُ المَديحِ النّبوي؟ ولمَاذا لا يُسَمَى رثاءً بحكمِ أنَّ الرّسُول (ﷺ) قد توفاهُ أجلهُ منذُ أكثرَ مِن 1440 سنة؟ وكيفَ كانت بداياتُ هذا الغَرضِ الشّعرِي؟ وما هيَ أسبابُ شيوعهِ فِي كُلِّ مَكانٍ مِن بِقاعِ العَالمِ؟ وما هيَ أنماطُهُ وأشكالُهُ؟ وغَيرهَا مِنَ الأسئِلة الهامّة الّتي سَعَينَا أن نجيبَ عَنها في العَناوينِ التَاليةِ:

2- مَفهوم المَدِيحِ النَّبوِي وَعَلاقَتَهُ بِالرِّثَاءِ:

2-1. المدح لغةً واصطلاحاً:

المَدح **لغةً** فِي معجمِ العينِ للخليلِ بن أحمَدٍ الفراهيدِي "هوَ نقيضُ الهِجاءِ، وهوَ حُسن الثّناءِ، والمِدحةُ اسمُ المَديحِ، وجَمعُهُ مَدَائحٌ ومِدحٌ"[1]، وذَكَر ابنُ فارسٍ في مُعجمهِ مقاييسُ اللّغة أنَّ: "الميم والدّال والحاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على وَصفِ مَحاسِن بكلامٍ جميلٍ، ومَدَحهُ يمدحُهُ مَدحًا، أَحسنَ عليهِ الثّناءَ"[2]، ودقَّقَ ابنُ منظورٍ في مفهومِ المدحِ في مُعجمِهِ لِسَان العَربِ: "الصّحيحُ أنَّ المَدحَ المَصدرُ، والمِدحةُ الاسمُ، والجمعُ مِدحٌ، وهو المديحُ، والجمعُ المدائحُ والأماديحُ، قالَ أبو ذُؤيبٍ:

لَو كَانَ مِدْحَةُ حَيٍّ مُنشِرًا أَحَدًا أَحْيَى أَبَاكُنَّ –يَا لَيلَى– الأَمَادِيحُ

---

[1]– أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دط، دت، ج3، ص188.

[2]– أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللّغة**، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، القاهرة، مصر، دط، 1979م، ج5، ص308.

والمدائحُ جمعُ المديحِ منَ الشّعرِ الّذي مُدح بهِ كالمدحةِ والأمدوحةِ، ورجلٌ مادحٌ مِن قومٍ مُدَّحٍ ومَمدوحٌ[1]، ومُمَدَّحٌ كمُحمَّد: مَمدوحٌ جدّا، وتَمَدَّحَ: تكلّفَ أن يمدَحَ، وافتخرَ، وتشبّعَ بما ليسَ عندهُ[2]، من كمالِ صِفاتِ الممدوحِ وأخلاقهِ ومحاسنهِ، "ووردَ في قاموسِ الفَيرُوز آبادِي علَى أنَّهُ: المدحُ مِن مَدَحَهُ مدحاً ومِدحة، أي حُسْن الثّناءِ على الشّيءِ، والمديحُ والأُمدوحةُ هيَ كلُّ أمرٍ يُمدَح بهِ، وتُجمعُ على مدائحَ، وأماديحُ"[3] وكِلاهُمَا يصُبُّ في مَعنًى واحدٍ.

وبِهذَا إذًا، فالمَدحُ لُغةً هوَ حُسنُ الثّناءِ والافتِخارِ والإشادةِ بالممدوحِ بِكلامٍ بليغٍ جميلٍ يَليقُ بِهِ، ويُعدّدُ صِفاتَهُ ومَحَاسنَهُ ومَناقبَهُ ومَكانتَهُ بَينَ عَارفيهِ، وذِكر كلِّ مَا يجعلُهُ مَوضِعَ ثناءٍ وإشَادةٍ وفخرٍ.

أمّا **اصطلاحًا** فالمدحُ "هوَ فِي الأصلِ تعبيرٌ عن إعجابِ المادحِ بصفاتٍ مثاليةٍ، ومَزايا إنسانيّةٍ رفيعةٍ يتحلَّى بِها شخصٌ منَ الأشخاصِ، أو تتجلَّى فِي مآثرِ قومٍ، أو فِي مآثرِ أمّةٍ منَ الأُممِ، أوْ شعبٍ منَ الشُّعوبِ"[4]، وهوَ مِن أكثرِ الفُنُونِ الأدبيّةِ شيوعًا الّتي مَالَ إليهَا مُعظمُ الشّعراءِ، ونَظمُوا فيهَا القصائدَ الكثيرةَ، الّتي تُعدِّدُ مآثرَ الفردِ أو الجماعةِ[5]، وتُثنِي عليهِم وعلَى مَواقفهِم وَبُطولَاتهِم.

---

[1]– أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، دت، مجلد2، ص589.

[2]– أبو طاهر مجد الدّين محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشّيرازي الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص240.

[3]– سمر حسن سليمان: **مفهوم شعر المدح**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://mawdoo3.com، تاريخ النّشر: 06 أكتوبر 2018، تاريخ الاطّلاع: 16 ديسمبر 2018م.

[4]–أميل بديع يعقوب وميشال عاصي: **المُعجم المفصّل في اللّغة والأدب**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، مج1، ص1133.

[5]– سراج الدّين محمّد: **المديح في الشّعر العربيّ**، دار الرّاتب الجامعية، بيروت، لبنان، 2008م، ص06.

والمَدحُ أيضًا كغرضٍ شعريٍّ عامّةً ظاهرةٌ أصيلةٌ، وغرضٌ تقليديٌّ عرَفهُ الشّعراءُ قديمًا، مَهمّةُ الشّاعر فيهِ هِي إرضاءُ الممدوحِ، بل تتعدَّى ذَلكَ إلَى القبيلةِ، أوِ الّتيارِ السّياسِيّ أوِ الدّينِيّ،[1] حيثُ كانَ هَمُّ الشّاعرِ أن يرفعَ مِن شأنِ قبيلتهِ وأحلافِهَا، والتّغنِي بالكرمِ وحُسنِ الضّيافةِ والبطولةِ والشّرفِ والعِرضِ وصِحَّةِ النّسبِ.[2]

وبِهذَا، فالمَدحُ اصطِلاحًا هوَ بيانٌ لجميلِ مزايَا المَمدُوحِ وإيجابياتهِ، ووصفٌ لشّمائِلهِ وأخلَاقِه، وإظهارٌ للحبِّ والتّقديرِ الشّديدِ الّذي يكنّهُ الشّاعرُ لمن توافَرت فيهِ تلكَ المزايَا والشّمائِل ومَا يتعلّقُ بها من أخلَاق حَمِيدة وصِفات ومناقب ومواقف تسمُو بالمَمدُوحِ إلَى أعلَى دَرَجَاتِ الكَمَالِ، والنّموذَجِ المَنشُودِ.

2-2. مَاهِية المَدِيح النّبَوِي:

المديحُ النَّبوِي كمَا يُجمعُ الأدباءُ والنّقادُ غرضٌ شعريٌ جوهرهُ الثّناءُ والشّكرُ والتّنويهُ بمناقبِ الرّسولِ (ﷺ)، وصفاتِهِ وأخلاقِهِ وسلوكاتِهِ عامّةً، والمَدائِح النّبوِيّة كمَا يُعرّفها الدّكتورُ زكِي مُبارك:[3] "فنٌّ مِن فُنونِ الشِّعرِ الّتي أذاعهَا التّصوّفُ، ولونٌ من ألوانِ التّعبيرِ عنِ العواطفِ الدّينيّةِ وبابٌ منَ الأدبِ الرّفيعِ، لأنّهَا لا تصدرُ إلّا عن قلوبٍ مُفعمةٍ بالصّدقِ والإخلاصِ"[4] التّامِ للمَمدوحِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ.

وهوَ شِعرٌ يَنْصَبُّ علَى نَظمِ سِيرَةِ رَسولِ اللهِ (ﷺ)، وتِعدادِ صِفاتهِ الخَلقيّةِ والخُلقيّةِ، وإظهارِ الشّوقِ لرؤيتهِ وزيارةِ قَبرِه، والأمَاكنِ المقدّسةِ الّتي ترتبطُ بحياتِهِ، معَ ذِكرِ مُعجزاتهِ الماديّةِ والمعنويّةِ، والإشادةِ بِغَزَواتهِ ضدَّ الكفّارِ والمُشركينَ، والصّلاةُ عليهِ

---

[1]- يُنظَر.. سامي سويدان: **في النّص الشّعري، مقارنات منهجيّة**، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ص108.

[2]- يُنظَر.. سراج الدّين محمّد: **المديح في الشّعر العربيّ**، ص7.

[3]- **زكي مبارك:** دكتور في الآداب من الجامعة المصريّة، وقامة أدبيّة ونقديّة معروفة، حائز على دبلوم الدّراسات العليا في الآداب واللّغات الشّرقية من جامعة باريس، ولد سنة 1892م، وتوفي سنة 1952م بمدينة القاهرة بمصر، أثرى المكتبة الأدبيّة العربيّة بأكثر من 45 مؤلفا، من بينها اثنان باللّغة الفرنسيّة.

[4]- زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، دار المحجّة البيضاء، بيروت، لبنان، 2015م، ص17.

وعلَى آلهِ وصَحبهِ تقديرًا وتعظيمًا[1]، بَعيدًا عن ظَاهرةِ **التكسُّبِ**[2] بالشّعرِ وامتهانِهِ، الّتي يكونُ دافعُها هوَ مدحُ الأشخاصِ والأعيانِ والأمراءِ والملوكِ وحاشيتِهِم للتّقرُّبِ مِنهم، وتَمتِينِ العلاقةِ بِهم لقضاءِ المصالحِ الشّخصيّةِ، مثلمَا كانَ يحدُثُ فِي عصرِ الجاهليّةِ معَ كثيرٍ منَ الشّعراءِ أمثالُ: الأعشَى، والأخطَل، والحُطَيْئَة، والنّابِغةُ الذبيانِيّ، والشّمّاخُ بنُ ضِرارٍ[3]، وغيرهم منَ الّذينَ كانُوا يتكسّبونَ مِن وراءِ نظمِ أشعارِهم.

2-3 . علاقة المَديحِ النَّبـوِي بالرِّثَاءِ:

تعدّدت الآراءُ حولَ تَصنيفِ شِعرِ المَدائحِ النّبوِيّة وتَحديدِ طَبيعةِ العَلاقةِ بينَها وبينَ الرّثاءِ، وبعبارةٍ أُخرَى: هل شعرُ المديحِ النَّبوِي مدحٌ أم رثاءٌ؟ وللإجابةِ علَى هذَا السّؤالِ بدقّةٍ علينَا أن نستَوضِحَ مفهومَ الرّثاءِ أيضًا، ثمَّ نوازِنُهُ بنظيرِهِ (المَديح النّبَوي) حتَّى تتّضحَ لنَا العَلاقةُ بينَهُمَا إلَى حَدٍّ مَا.

فالرّثاءُ **لغةً**: منَ الفعلِ رَثَى، والرّاءُ والثّاءُ والحرفُ المعتلُ أُصَيلٌ على رِقَّةٍ وإشفاقٍ، يُقالُ: رَثَيْتُ لِفُلَانٍ: رَقَقْتُ[4]، "ورَثَى فُلَانٌ فُلَاناً، يَرثيهِ رَثْيًا ومَرثيَّة إذَا بَكَاهُ بعدَ موتهِ، قالَ: فإنَ مدحهُ بعدَ موتِهِ، قيلَ: رَثاه يَرثِّيه تَرثِية. ورَثَيتُ الميّت رَثيًا، ورثاءً ومَرثاةً ومَرثيةٌ، ورَثيتُه: مَدحتُه بعدَ المَوتِ وَبَكيتُه، ورَثَوت الميّتَ أيضا إذا بكَيتهُ وعدّدتَ محاسنَهُ، وكذلك إذا نظَمتَ فيهِ شِعْرا"[5] بعدَ موتهِ.

---

[1]- يُنظَر.. جميل حمداوي: **شعر المديح النّبويّ في الأدب العربيّ**، منشورات المكتبة المصريّة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص11.

[2]- **التكسّب**: هو ظاهرة قديمة ارتبطت بالسُّلطة والسّياسة في العصر الجاهليّ، كانت تقوم مقام وسائل الإعلام في عصرنا الحالي، وهي تعني **احتراف الشّعر**؛ أي جعلُه حِرفة ومهنة يكسب الشّاعر من ورائها مالا ومكانة هامّة.

[3]- **الشّماخ بن ضرار**: شاعر جاهليّ مخضرم شهد الإسلام، يقال أنّ اسمه معقل ولقبه الشّماخ، أجمع علماء الشّعر على أنّه أوصف الشّعراء للحمير والقوس، ويقال أنّه كان أرجز النّاس على البديهة، قال المَرْزبَانِي أنّه توفي في غزوة "موقان" في زمن الخليفة عثمان بن عفان.

[4]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللّغة**، ج2، ص488.

[5]- أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ: **لسان العرب**، ج14، ص309.

أمَّا **اصطلاحًا**؛ فالرّثاءُ فنٌّ مِن فنونِ الشِّعرِ الغنائِي، يُعبّرُ فيهِ الشّاعرُ عَن حُزنِهِ وتفجّعِهِ لفقدانِ حَبيبٍ[1] عزيزٍ عليهِ، فيَبكيهِ فِي شعرِهِ ذاكرًا صفاتَه النّبيلَة، ومَا كَانَ يتحلَّى بِهِ من مَناقِب وخصالٍ حسنةٍ، مُصَورًا لنَا حُزنهُ وألمَهُ وبكاءَهُ عليهِ، ومَا أصبَحَ هوَ عليهِ من حالةٍ سيّئةٍ لا تعرفُ سوَى الحُزن والبُكاء بسببِهِ،[2] والرّثاءُ أحدُ ضُروبِ الشّعرِ العربِي، وأكثرُها عاطفةً؛ لأنَّ منبَعهُ هوَ القلبُ، وكلّما زادَتِ الصّلةُ بينَ الشّاعرِ والشخصِ الميّتِ زادتْ قوّةُ القصائدِ الرّثائيّةِ، وقوّةُ المَعَانِي وعُمقها، والعاطفةُ المتدفّقةُ فِي أبياتِهَا بشكلٍ كبيرٍ"[3]، والرّثاءُ بصفةٍ عامّةٍ يصدرُ عن نفسٍ تُعانِي مرارةَ الحُزنِ والأسَى علَى فُقدَانِ شخصٍ عزيزٍ علَى القلبِ، وتشعرُ بضيقٍ نفسيٍّ لا يُخفّفُ مِنهُ إلاّ الرّثاءُ، ومِن أكثرِهِ وأجودِهِ مَا يصدُرُ عنِ النّساءِ لأنّهُ "منَ الطَّبيعِيِّ أن يتفوّقنَ على الرّجالِ فِي نَدبِ الموتَى والنُّواحِ عليهِم، لِمَ تمتازُ بهِ المرأةُ مِن حِسٍّ دقيقٍ وشعورٍ رقيقٍ"[4] وعواطفَ إنسانيّةٍ جيّاشةٍ وصادقةٍ تتفوّقُ وتغيبُ عندَ كثيرٍ منَ الرّجالِ.

وبالعودةِ إلَى مفهومِ المديحِ النّبوي يتّضحُ لنَا أنّهُمَا متشابِهَانِ فِي شكلِهمَا (كلَاهُما شِعْر)، وفِي مَضْمُونِها (ذِكرُهما لمَحَاسنِ شخصٍ ومناقبِه وخصالِه...) غيرَ أنّ غرضَ الرّثاءِ يغلبُ عليهِ طابعُ الحزنِ والأسَى والتّفجُّع، ولا يكونُ إلاّ في ميّتٍ، أمَّا المدحُ فيكونُ في حيٍّ؛ وهذا ما أشارَ إليهِ ابن رشيقٍ في مؤَلَفه – **العُمدَة فِي مَحَاسِن الشّعرِ** – حينما قال: "ليسَ بينَ الرّثَاء والمدح فرقٌ، إلّا أنّهُ يُخلَط بالرّثاءِ شَيء يدلُّ عَلَى أنّ

---

[1]– يُنظَر.. إيميل ناصيف: **أروع ما قيل في الرّثاء**، دار الجبل، بيروت، لبنان، دط، دت، ط2، ص5

[2]– يُنظَر.. عذراء عودة حسين: **الرّثاء في الشّعر الجاهلي والإسلاميّ**، مجلة الأستاذ، كلّية الرافدّين الجامعة، العراق، دت، مج 10، ع208، ص04.

[3]– يُنظَر.. أسعد محمّد علي النّجار. رائدة مهدي جابر، "**الرّثاء عند شعراء الحلّة**"، مجلة مركز بابل للدّراسات الحضاريّة والتّاريخيّة، جامعة بابل، العراق، ع 2، 2012م، مج 2، ص02.

[4]– شوقي ضيف: **فنّ الرّثاء**، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ص08.

المَقصُود بهِ ميّتٌ، مثل: كانَ أو (عَدِمنا بِه كيتَ وكيتَ) ومَا يُشاكِل هذا؛ ليُعلَم أنّه ميّتٌ"[1] ولِيسهُلَ تحديدُ الغرضِ الشّعرِي الّذي تنتمِي إليهِ القصيدةُ عامّةً.

وبناءً علَى هذه الموازنةِ البسيطةِ كانَ منَ المفروضِ أنْ تُصَنّف أكثرُ المدائحِ النّبوِيّة رثاءً لا مدحًا، لأنَّ مُعظمَها قِيلَ بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ (ﷺ) إلى يومِنا هذا، ولعلّ مِن أهمِّ أسبابِ شُيوعِ مصطلَحِ "المدائح النّبوِيّة"، وتصنيف هذه الأشعَار مِن المَدائح لَا مِن المرثيات؛ هو أن الشّعَراء "كأنّهم لَحظُوا أنّ رسُولَ الله (ﷺ) وكأنَّه موصولُ الحياةِ، وأنّهم يُخاطبونَه كمَا يُخاطبونَ الأحياءَ، فقد يمكنُ القولُ بأنَّ الثّناءَ على الميّتِ لا يُسمَى رثاءً إلّا إذا قيلَ في أعقابِ الموتِ، بخلافِ شاعرٍ وُلِد بعدَ وفاةِ النّبيِّ (ﷺ)، فإنّ ثناءَه علَيه مديحٌ لا رِثَاء، لأنّهُ غَيرُ مُوجِبٍ للتّفرقَةِ بينَ حالٍ وحال"[2]؛ أي حَالة حَياة الرّسول (ﷺ)، وحَالة وفاته.

كما أنّ مَدحهُ (ﷺ) لَا يتضَمّنُ مَلامحَ إعلانِ التّفجّعِ والحَسرةِ والحزنِ على موتِه وفراقِه، لأنّ الشّاعر لم يكُن شاهدًا عليهَا أصلَا، الأمرُ الّذي يجعلُ ثناءه عليهِ أقربُ أن يكونَ مدحًا لا رثاءً، وهذا هوَ مُعظم حالِ الشّعرِ الّذي قيلَ بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، فَهَدَفُه عند كثيرِهم هو "التّقرّبُ إلى اللهِ من خِلالِ نشرِ مَحاسنِ الدّينِ الإسلامِيّ والثّناءِ علَى شمائلِ الرّسولِ"[3] (ﷺ) وكمالِ صفاتهِ وأخلاقهِ، والدّعوةِ إلى الاقتدَاءِ بهِ وبأصحابِه رِضوانُ اللهِ علَيهم أجمَعين.

---

[1]– ابن رشيق المسيلي القيرواني، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، تح/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العربيّة، لبنان، ط1، ج1، 2001م، ص208.

[2]– يُنظَر.. زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص17.

[3]– نفسه، الصّفحة نفسها.

3- نشـأة شِـعر المَديح النَّبـوِي وبـدَاياته:

تعدّدت آراء مُؤرخِي الأدبِ حولَ بدايةِ ظهورِ شِعر المديحِ النَّبوِي ونشأتِهِ، فمنهم من يرَى أنّهُ ظهرَ مُبكرا في المَشرقِ العربيِّ منذ مولدِ رسولِ اللهِ (ﷺ) مَعَ ثلّة مِن صَحَابتهِ وَبعضِ آلِ بَيتهِ، وَانتَشرَ بَعد ذلكَ في المغربِ العربيِّ والأندلسِ بفضلِ شِعر الفتوحاتِ الإسلاميّةِ الهادفةِ إلى نشرِ مبادئِ الدّينِ الإسلاميِّ وتَحبِيبه في قُلوبِ النّاسِ، "ومِنهم من يذهبُ إلى أنّهُ فنٌّ قديمٌ ظهرَ معَ الدعوةِ الإسلاميّةِ، ومنهم مَن يذهبُ إلى أنّه فنّ مُستحدَث لم يظهر إلّا في القرن السّابع هجري مع الشّاعر شرف الدّين البوصيري"[1] الّذي عَارضَه كثيرٌ من الشّعراءِ ممّن عَاصرُوه أوْ جاؤوا بعدهُ؛ مَشَارقة كانوا أم مَغَارِبة.

ولأنّ الرّسولَ (ﷺ) يمثّلُ نقطةَ تحَوُّلٍ في حياةِ العربِ خاصّةً والبشريّةِ عامّةً، فقد حظِيَ باهتمامٍ كبيرٍ – قديمًا وحديثًا– في أَدَبنَا العربيِّ شِعراً ونثراً على حدٍّ سوَاء، وقد رَسمَ الشّعراءُ ملامحَهُ ومناقبهُ وأخلاقهُ وصفاتهُ في أجملِ صورِهَا، وتفنّنُوا في مَدحِهِ (ﷺ) منذ ولادتِه إلى وفاتِه وما بعدهَا، مُرورًا بأهم مَحطّاتِ حياتهِ ومَواقفهِ ومُعجزاتهِ ومناقبِه...إلخ.

وبناءً على هذا، ارتأينَا أن تكونَ دِراستنا لنشأةِ شِعر المديحِ النَّبوِي وبداياتِه المبكرَة الأولَى انطلاقاً من مِعيَار البِعثةِ النّبوِيّة (قبلَ البعثةِ ثم بعدَها)، حَيث كَان دراستنا لها كالآتي:

[1]- يُنظَر.. عباس الجراري: **الأدب المغاربيّ من خلال ظواهره وقضاياه**، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 1982م، ص141.

3-1. عَصر مَا قبل البِعثَة النّبويّة:

يُجمعُ الأدباءُ والنّقادُ أنّ فنَّ المديحِ النَّبوِي يرتبطُ بالشّعرِ الصّوفِي معَ ابنِ الفارضِ[1] وغيرِه من المتصوِّفينَ، ولم ينتعشْ، ولم يزدهر إلّا معَ الشّعراءِ المتأخرينَ مِن أمثالِ البُوصيرِي[2] في القرنِ السّابعِ هِجرِي، ولكنّ الباحثَ في سيرةِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، والمُستقرِئ لمختلفِ كُتبِ التّفسيرِ والسِّيَرِ النّبوِيّة [3] الّتي فَصّلَت فِي حياتِه تفصيلًا دقيقاً، يتّضحُ لَه أنّ مَدحَ الرّسُول (ﷺ) كَانَ مُنذ وِلَادتِه، معَ جَدّه عَبدِ المُطّلبِ[4] الّذي شبّهَ لحظةَ وِلادَتِه بالنّور الّذي يغمرُ الأفقَ قائلا:

وَأَنـتَ لَـمّا وُلِـــدتَ أَشْـــرَقَــت الأرْضُ وضَاءَت بِنُـورِكَ الأُفــقُ

فنَحنُ فِي ذَلك الضِّيـــاءِ وفِـــي النُّـورِ وسُبُــلِ الرَّشَـادِ نَخـتَرقُ[5]

كمَا مدَحه جدُّه "عبدُ المطّلِب" أثناءَ طُفولتِه حينمَا أخذَه معهُ فأدخلَه في جوفِ الكعبةِ، حيثُ قامَ يدعُو اللهَ عزَّ وجلَّ، ويشكرُ لهُ علَى مَا أعطَاهُ؛ مبيّنًا أنَّ ذلكَ الطفلَ

---

[1]- **ابن الفارض:** هو أبو حفص شرف الدّين عمر بن عليّ بن مرشد الحموي، أحد أشهر الشّعراء المتصوّفين، ولد سنة (576هـ-1181م) بمصر، لقب بسلطان العاشقين، كان حسن الصّحبة والعشرة، رقيق الطبع فصيح العبارة، توفي سنة (632هـ- 1235م).

[2]- **البويصري:** هو شرف الدّين محمّد بن سعيد بن حمّاد الصّنهاجيّ البوصيري، اشتهر بشعر المدائح النّبويّة، ولد سنة (608هـ- 1213م)، من أهم مؤلفاته التي تخدم دراستنا: الكواكب الدرّية في مدح خير البرّية... توفي بالإسكندريّة سنة (696هـ- 1295م)

[3]- **كتب التّفسير والسّيرة النّبويّة** : كتب السّيرة مثل: "تفسير ابن كثير" على سبيل التّمثيل، وكتب السّيرة مثل: "السّيرة النّبويّة " لابن هشام، وسيرة ابن اسحق و"الرّحيق المختوم" لصفي الرّحمن، و"السّيرة النّبويّة " لابن حبّان، و"الوفاء بأحوال المصطفى" لأبي الفرج عبد الرّحمن الجوزي، و"فقه السّيرة" لسعيد البوطي، و"فقه السّيرة" لمحمّد الغزالي، و"السّيرة النّبويّة " لمحمّد متولي الشّعراوي، و"ملخص السّيرة النّبويّة " لمحمّد هارون...

[4]- **عبد المطّلب:** هو عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة، جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وُلِد بيثرب نحو عام 480م، لُقِّب بالفيّاض لكثرة جوده وكرمه، كفل النّبي بعد موت أبيه، ونال شرف تربيته بعد موت أمّه آمنة بنت وهب، كان له مجلس عند الكعبة يجلس ويلتف من حوله رجال مكة وقريش يتكلّم ويسمعون منه، ويحترمونه فقد كان له كلمة على مكّة كلها، فافتتح بيوتا لإطعام الحجاج والزائرين وعابري السّبيل، كانوا يلقبونه بمُطعِم الإنس والوحش والطّير، توفي وعمر رسول الله 08 سنوات نحو: 578م ودُفِن بمكّة.

[5]- يُنظَر.. عباس الجراري: **الأدب المغاربيّ من خلال ظواهره وقضاياه**، ص142.

(النّبيّ) طيبَ الأعراقِ والأصُولِ ومتميّز عنِ غيرِه منَ الغِلمانِ، فقالَ وهوَ يعوّذُه مِن كلِّ حاسدٍ:

الحَـــمْـــدُ لله الّذي أَعْطَـانِـــي هَـــذَا الغلامَ الـطَّيِبَ الأَرْدانِ [1]
قدْ سَـادَ في المَهدِ عَلَى الغِـلْمَانِ أُعِـيذُه بالبَـيتِ ذي الأَركَـانِ
حِيـنَ يَكُـونُ بلُـغةِ الفِـتيَـانِ حتَّـــى أَرَاه بَـالِـغَ البُنـيَانِ
أُعِـيـذُه مِـن كُـلِّ ذي شَـنَـآنِ مِن حَاسِـدٍ مُضْـطَرب العنَـانِ
ذي هِـمَّـــةٍ لَيسَ لَـــهُ عَينَـانِ حَتَّى أراهُ رافِـــعَ اللّـــسَـانِ
أنـــتَ الّذي سُـمِّيـتَ في القُـرآنِ فِي كُتُـبِ ثَابِتـةِ المَثَـانِـي
أَحْمَدٌ مَكْتُوبٌ عَلَى البُنيَان[2]

كَما مَدَحَتهُ أمّهُ "آمنَة بِنتُ وَهبٍ" فِي أبيَات شِعريَة –بَعضُها قَد يَكُون مَوضُوعًا– حَالَ احتِضَارِهَا، حَيثُ تُوفِيت وَعُمرُ الرّسُول (ﷺ) لَا يَتجَاوز سِتَ سِنينَ قائِلَة:

بَارِكَ الله فِـــيكَ مِـن غُلَام يَابنَ الّذي مِن حُومَةِ الحِمَـامِ
نَجَا بِـــعَونِ المَلِك المِنـعَامِ فَوُدِي غَدَاةَ الضَّربِ بالسّـهَامِ
مَائـة مِن إبِـــل سُـــوَّامِ إنْ صَح مَا أبصَرتُ فِي المَنامِ
فأنتَ مَبـــعُوث للأَنَـــامِ تُبعَث فِي الـــحِلّ وفِي الحَرامِ
تُبعَث فِي التحقِيقِ والإسلَامِ دين أبـــيك البَّر إبـــراهامِ
فالله أنهَاك عَن الأصـــنَامِ أن لَا توالِيـــهَا مَع الأقـــوَامِ [3]

---

[1]– **الأردان:** مفردها (الرّدن) بالضّم، أي أصل الكُمّ، ولعلّ المقصود في هذا البيت: طيب الأصول.

[2]– يُنظَر.. أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، تح: أحمد شمس الدّين، دار البحار، بيروت، لبنان، 2004م، مج 1، ص136–137.

[3]– الحاج عبد القادر الشيخ علي أبو المكارم: **موسوعة المدائح النّبويّة**، دار المحجة البيضاء ودار الواحة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ج13، ص165–166.

كمَا مدَحه عَمّهُ أبو طالبٍ[1] في قَصِيدةٍ نَسَبَها ابنُ إسحاقٍ لهُ، ولم يذكرها ابنُ هشامٍ في سيرتِه، بيّنَ فيهَا أنَّ النّبيَ (ﷺ) بمثابة أحدِ أبنائِه، ثمَّ أشارَ بعدَ ذلكَ إلَى لقاءِ الرّاهبِ **بُحيرَا** برسولِ اللهِ (ﷺ) وهوَ ابنُ تِسعِ سنينَ – أوْ اثنَي عشرةَ سنةً– وهيَ أبياتٌ يقولُ فيهَا أبو طالبٍ:

إنَّ ابــنَ آمــنةَ النّــبيُّ مُحَــمّــدًا عِــنْدي بِمِــثلِ مَنَــازِلِ الأولَادِ

.....

وأَمَــرْتُه بالسَّير بَيْــنَ عُمُومَــةٍ بِيــضِ الوُجُــوهِ مَصَالِتٍ أنْجَــادِ

حَتّى إذا مَا القَومُ بُصْرَى عَايَنُوا لاَقَوا علَى شــركٍ مِن المِـرصَادِ

حَبْــرا فأخبَــرَهم حَديثــاً صَادِقاً عَــنهُ وردَّ معَــاشِرَ الحُسَّــادِ

قَومًــا يَهُــودًا قَــد رأوا مَا رَأَى ظِــلّ الغمَامِ وعِزَّ ذِي الأكــيَادِ

ويرى الدّكتورُ مَحمُود علِي مَكّي[2] فِي كتابِه الهامّ "المدائح النّبوِيّة" حولَ موضوعِ دِراستِنا أنّ هذهِ الأبيَات يُمكنُ أن تكونَ مَوضُوعةً؛ لِما في نسِيجهَا من هَلهَلةٍ وركاكةٍ، عكسَ ما اشتُهر بهِ أبو طالبٍ في شِعرهِ من جودةٍ وحُسنِ سَبكٍ وتمكّنٍ، كمَا أوردَ ابنُ إسحاقٍ فِي سيرتهِ شعـرًا كثــيرًا بهذهِ الصّـفةِ نسبةً لأبي طالبٍ، حذفَ ابنُ هشامٍ أكثرَه، وأثبتَ بعضَهُ،[3] وعلّقَ عليهِ مُلمِّحًا إلى ضُعفهِ وتشكُّكِهِ في صحتهِ فِي مواضعَ عديدةٍ من مُؤلَّفِهِ.

---

[1]– **أبو طالب:** هو أبو طالب عبد مناف بن عبد المطّلب الهاشمي القرشي الكناني ، عمّ رسول الله وكافله بعد جدّه عبد المطّلب، ووالد رابع الخلفاء الرّاشدين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وُلد نحو 85ق هـ، توفي 3ق هـ.

[2]– **محمود علي مكّي:** أستاذ الأدب الأندلسيّ في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وعضو مُجمَع اللّغة العربيّة سنة 1991م، من أهم مؤلفاته الّتي تخدم دراستنا كتاب "المدائح النّبويّة" الصادر سنة 1991م.

[3]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، لبنان، ط1، 1991م، ص08–09.

3-2. عَصر ما بعد البِعثة النّبويّة:

لعلّ أولَّ من مدحَ رسولَ اللهِ (ﷺ) بِنِيّةٍ صادقةٍ بعدَ بعثتهِ ونزولِ الوحيِ عليهِ، هوَ عمّهُ أبو طالبٍ (85 ق هـ- 3 ق هـ)، وليسَ **الأعشَى**[1]**(ت 7هـ)** كمَا يذهبُ إليهِ بعضُ الباحثينَ والدّارسينَ، لأنَّ هذا الأخيرَ (الأعشَى) كانَ الهدفُ الأولُ مِن مدحهِ لرسولِ اللهِ (ﷺ) هو التكَسّب بالدّرجة الأولى، كمَا أنّه سبقهُ كثيرٌ من الشّعراءِ- الّذينَ أسلَموا- في مَدحِ الرّسولِ (ﷺ)، فعَبْدُ الله بن رَوَاحَة مثلًا (المُتَوفَي سنة 07 هـ أيضا) نظَمَ شعرًا كثيرًا في مدحِ رسولِ الله (ﷺ) في الوقتِ الّذي لم يُسلِم فيه الأعشَى بَعد.

كمَا أنّ هذا الأخِير (الأعشى) لم يتمَكَّن مِن إلقاءِ قَصيدتِه المدحيّةِ التكسبيّةِ هذِه بين يدي رسول الله (ﷺ) بعدَ أن علِمت قُرَيش – ما بين 6هـ إلى 7هـ- أنّهُ متوجّهٌ إليهِ وَقَد نَظمَ لَهُ قَصيدةً يمدَحهُ فيهَا، "فاعترضَت طريقَهُ، ومَنحتهُ مائةَ رأسٍ منَ الإبلِ علَى أن يعُودَ في العامِ القادِم، ولكنَ القدرَ حالَ دونَ عودتِه، وماتَ في الطّريقِ بناحيةِ اليمامة؛ حينَ ألقاهُ بعيرُه فقتلَهُ"[2]، وبناءً على هذا لن نعتمدَ قصيدتَه المشهورَة هذه كمدونةٍ لبحثنَا هذا، ويقولُ الأعشَى في مَطلَع دَاليتِه:

أَلَمْ تَغتَـــمِضْ عَينَاكَ لَيلَةَ أَرْمَدا وَعَادَكَ مَا عَادَ السّلِيمَ المُسَهّدَا

---

[1]- **الأعشى:** هو ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل... بن أسد بن ربيعة بن نزار، أحد الأعلام من شعراء الطبقة الأولى في الجاهليّة وفحولهم، لُقِب بالأعشى لأنّه كان ضعيف البصر، ويقال أنّه أول من سأل بشعره وتكسّب به، وانتجع به أقاصي البلاد، وكان يغني به فسمّوه بـ: **صناجة العرب**، عاش عُمرا طويلا، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وُلد بقرية: منفوحة، باليمامة، وفيها داره وقبره، كان في أوّل أمرِه راويةً لِخاله المسيَّب بن علس أحد شعراء بكرٍ المقدَّمين، ولَما توثَّقت شاعريَّتُه شرع يَطوف في البلاد بين العراق والشّام، يمدح المَناذِرَة والغساسنة وأُمراء العرب؛ طلبًا للمال والعطاء، وقيل: إنَّه زار بلاد الفرس وأرْضَ النَّبط، ونجران، وبلاد حِمْير، توفي حوالي سنة: 07 هـ / 629 م.

[2]- يُنظَر.. أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **الشّعر والشّعراء**، تح: أحمد محمّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط3، 2001م، ج1، ص257.

ومَا ذاكَ مِنْ عشقِ النّسَاءِ وإنّمَا تنَاسَيتَ قَبـلَ اليومِ خُلَّةً مهَدّدَا
ولكِن أرَى الدَّهرَ الّذي هوَ خَائِنٌ إذا أَصْلَحَت كَفَّاي عَادَ فَأفْسَدَا
شَبَابٌ وَشَيبٌ وافتِـــقَارٌ وَثَـروَةٌ فللّه هَـذَا الدَّهرُ كَيـفَ تَـرَدَّدَا
ومَا زِلتُ أَبْغِي المَالَ مُذْ أنَا يَافِع وَلِيدًا وكهْلًا حِينَ شِبْتُ وَأَمْـرَدَا[1]

ثمَّ خَاطبَ الأعشَى بَعدَ هَذهِ المُقدّمةِ ناقتَهُ مُبيّناً مَدَى شُيوعَ ذِكرِ رَسولِ اللهِ (ﷺ) فِي البلَادِ، وأهمَّ مَا تميّزَ بِهِ عن غَيرِهِ، مُشيراً إلَى بَعضِ مَا لَهُ صِلةٌ بالإسلامِ مثل التزوّدِ بالتّقوى قبلَ الموتِ، وعدمِ أكلِ المَيّتةِ، وعِبادةِ اللهِ عزّ وجلّ بدلًا مِن عِبادةِ الأنصَابِ والأوثانِ قائلا:

فآليـــتُ لَا أرثِي لَها مِـن كَـــلَالـةٍ ولَا مِن حَفًى حَتَّى تزُورَ مُـحَمّـدَا
متَى تُناجِي عِندَ بَابِ ابِـن هَاشـــمٍ تُرِيحِـي وتلْقَى مِن فَوَاضِلِهِ يَـــدَا
نَـبيٌّ يـــرَى ما لاتَـرَونَ وذِكـــرُهُ أَغَارَ لَعمْري في البِـــلاد وأنجَـدَا
لـــهُ صـدقاتٌ ما تـغـــبُّ ونَـائِـلٌ وليـسَ عَطَاءُ اليَومِ مَانِعُـهُ غَـــدَا
أَجِدَّكَ لَـم تَسمَع وُصَـاة مُحَـــمّـد نَـبيّ الإلهِ حِينَ أوصَى وأشـــهَـدَا
إذا أنـتَ لم ترحل بزادٍ مِنَ التُّـقَـى ولاقَـيتَ بَعدَ الموتِ مَن قَدْ تَـزَوّدَا
نَدِمـتَ عـلَى ألاّ تَـكُونَ كَـــمِثلِـهِ وأنّكَ لَمْ تَرصُـد لِمَا كَانَ أَرصَـدَا
فإياكَ والمَـــــيّتَات لاَ تأكُـلنَّـهَا ولَا تأخذَنَّ سَهـمًا حَديدًا لِتفصدَا
وذَا النّصُبِ المَنصُوبِ لا تَنسُـكَنّهُ ولَا تَعبُـدِ الأوثَانَ واللهَ فاعبُـــدَا[2]

ولكنّ الإشكاليّةَ في هذهِ القَصِيدةِ –كما سبقَ الذّكر– أنّ الأعشَى لم يكن صادقَ النّيةِ في مدحهِ لرسولِ اللهِ (ﷺ)، ولم يكن يهدِف مِن خِلالِها إلى خِدمةِ الدِّينِ

[1]– ميمون بن قيس بن جندل: **شرح ديـوان الاعشى الكبيـر**، شر/ حنان صد الخـتي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ص135.
[2]– نفسه، ص135–137.

الإسلامِي وإعلاءِ رايتِه وشَأنه، "وإنّما أرادَ بها التّقرُّبَ مِن نبيّ الإسلَام لغرضٍ آخر، وآية ذلكَ أنّه انصرَف حِين صَرفتهُ قريش، ولو كانَ صادقًا ما تَحَوّل"[1]وعادَ أدراجَه، ويُقال في رِواية أنّه في هذِه الحادِثة حينَ أفهمُوه أنّ رَسولَ الله (ﷺ) يَنهَى عنِ الزّنا والقِمار والرّبَا والخَمر، "قال: لقد تَرَكنِي الزّنا وما تركتُه، وأبدَى زهادته في القِمار، رجاءَ أن يُصِيبَ مِن النّبيِّ عِوضًا مِنه، وقال عنِ الرِّبا: ما دَنَت ولا أدَنت، وأبدَى جَزَعه عند ذكر الخمر وقال: أوه! أرجعُ إلى صُبابة قَد بَقِيت لي فِي المِهرَاس فأشرَبُها."[2]

وهذا خَيرُ دَليلٍ علَى أنّ مَدحَ الأعشَى لِرسُولِ اللهِ (ﷺ) كانَ بدافعِ التّكسُّبِ ودون صِدق نِية المَدح، إدرَاكًا مِنه –علَى الأرجَح– أنّ هَذا الرّجلَ (النّبي) سيُصبح أكثرَ أهميةً مِن غيرِه فِي مُجتمعه مُستقبَلًا، فنظمَ قصيدَته المَدحِيّة هذِه طمَعًا في مَدِّ عَلَاقته بِه، وتمهِيد الطّريق إليه، ولكنّه لكونِه لَم يكن خاضِعًا لعَاطِفة دِينيّة قَويّة وخَالصِةٍ تراجعَ عن مُوَاصلةِ السّفرِ إليهِ، والدّخُولِ فِي الإسلامِ، والصّـبرِ عَلَى أذَى قُريشٍ وكُـفّارِها، بَل علَى العَكسِ مِن ذلك؛ رَضِيَ الأعشَى بمَا جمعهُ لَه أبو سُفيان مُفضِلا زُخرف الدّنيَا ومَتاعَها على مَغفِرَة الله تَعَالى وثَوابِه وجنةَ الآخِرةِ وفِردَوسَها، ورجعَ إلَى بلدِه حيثُ رَمَى بِه بَعيرُه أثناءَ طَرِيقِ العَودةِ فقتلَهُ.

أمّا **أبو طَالب**؛ فقد مَدحهُ في ثنَايا لَاميتِهِ المَشهورَة، "لمّا خَشِي دَهمَ العَربِ أن يركبُوه مَع قومِه، فقَالَ في قَصِيدته الّتي تعوَّذ فيهَا بِحرمِ مَكّة، وبِمكانِه منها، وتَوَدّد فيها أشرافَ قومِهِ، وهُو على ذلِك يُخبِرُهم وغَيرهم في شِعرِه أنّهُ غيرُ مُسلمٍ لرسولِ اللهِ (ﷺ)، ولا تَارِكه لشيءٍ أبدًا حَتّى يَهلَك دُونَه، فقالَ في مَطلَع قَصيدتِه: (الطّويل)

ولـمَّا رَأيْـتُ الـقَـومَ لَا وُدَّ فِيـهِم وَقَدْ قَطَعُوا كلّ العرَى والوَسَائِـلِ

وقَـد صَارَحُـونا بالعَـــدَاوة والأذَى وَقَدْ طاوعُـوا أمرَ العَـدوّ المُزايِـلِ

[1]– يُنظَر.. زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص19.

[2]– نفسه، ص19.

وقَد حَالَـــفُوا قَـومًا علَـينَا أظِـــنَّة يَعُضُونا غَيـظًا خَلفَنَا بالأنَـــامِلِ

صَبرتُ لَهُم نَفسِي بِسَمرَاءَ سَمـــحَة وأبيَضُ غَضْبٍ من تُراثِ المُـقَاولِ

وأحضَرتُ عندَ البَيتِ رِهطي وإخوتي وأمسَكـــتُ مِــن أثوَابِــه بالوَصَائـلِ[1]

وعَدَّ ابنُ سلّام الجُمَحِي هذِه القصِيدة مِن أروعِ ما قَال أبُو طالبٍ مِن الشّعر، وصَحَّحَها وَوَصَفَها بالجيّدة، ولَم يُحدِّد عَدَدَ أبيَاتِها، وَلَم يَنفِ دُخُول الزّيَادة أو التّطوِيل فيها من قِبَل الرُّواة،[2] ولم يُورِد ابنُ إسحَاق مِن هذِه القَصيدة إلا سَبعةَ أبياتٍ فَقَط، على حِينِ نراها فِي سِيرة ابنِ هِشامٍ في أربعَة وتسعِين بَيتًا شِعرِيا، وعلّقَ بعدَ رِوايتِها بتمَامِها قائلا: "هذا ما صَحّ لِي مِن هَذه القصيدة، وبَعضُ أهلِ العِلم بالشّعرِ يُنكِر أكثرها"[3]، وهي قصيدة بَليغَة جِدّا لا يستطيعُ قولَها إلاّ مَن نُسبت إليهِ، وهِي أفحلُ من المُعلّقات السّبع، وأبلغُ في تأديةِ المَعنى، وقد أوردَها الأمَوي في مَغازِيه مُطوّلَة بزيادَات أُخَر"[4] جعلت منها مَحَل اختِلاف بين الدّارسين.

ومَدَح أبو طَالِب رَسُولَ الله (ﷺ) في هذِه القصِيدة بأبياتٍ مشهُورةٍ تتضَمّنُ بعضَ صِفاتِهِ، وخِصَالِهِ الّتي عُرِف بِها واشتُهِر بها؛ "فهُوَ لم يَرُدَّ أحدًا خائبًا مِنَ الفُقَرَاء والمَساكين واليتَامى وقتَ الشّدةِ والحَاجَةِ، فَهُم في فضلٍ ونعمةٍ ورحمةٍ ما دامُوا عِندَه، وقد وَضّحَ أبو طَالبٍ هذا فِي أَشهَر أَبيَاته المَدحِيّة لِرَسولِ اللهِ (ﷺ) قائِلًا : (من الطّويل)

وَأبيَـضٌ يُستَسْـقَى الغَمَامُ بوجهِهِ ثَمَـال اليَتَامَى عِصمَة للأرَامِلِ

---

[1]– يُنظَر .. أبو الفداء الحافظ بن كثير: **البداية والنّهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، دط، 1990م، ج3، ص53.

[2]– يُنظَر.. محمّد بن سلّام الجمحي: **طبقات فحول الشّعراء**، تح: محمود محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1992م، ص204.

[3]– يُنظَر.. محمود علي مكي: **المدائح النّبويّة** ، ص10.

[4]– يُنظَر.. أبو الفداء الحافظ بن كثير: **البداية والنّهاية**، ج3، ص57.

يَـلُوذُ بِهَا الهَـلَاكُ مِـن آلِ هَاشِم فَـهُم عِندَه فِي نِعمَةٍ وَفَـوَاضِل" [1]

كما مَدحَه في الأبياتِ الأخِيرة من هذه القَصيدة مُبدِيا حُبّه الشّديد له، ومدَى تميّزه عن غيره، وبُعدِه عن الطّيش والسّفه، ناهِيك عَن حِلمه ورَشَاده، وعَدله ونَسبه الشّريفِ، وتأييد ربِّ العبادِ لَه، وتأيِيدِه هو لَهُ، وتعهّدِه بِحمَايته والدّفاعِ عنهُ، لأنّهُ (ﷺ) بَعيدٌ عن الكذبِ وقولِ الأباطِل، يقولُ أبو طَالبٍ: (مِن الطّويل)

لَعَمرِي لَقَد كُلفت وجدا بأحـمَدَ وإخـوَتِـهِ دَأبَ المُحِبِّ المُواصِـل
فَمَنْ مِثلهُ فِي النّاسِ أيّ مُـؤَمـل إذا قَـاسَه الحُكّامِ عَنِ التّفَاضُـلِ
حلِيمٌ رَشِـيدٌ عَـادلٌ غـيرَ طائِـش يُوالِي إلَـها لَيـسَ عَـنهُ بِغَافِـلِ
كَرِيمُ المَسَاعِي مَاجدٌ وابـنُ مَاجِدِ لَهُ إرثُ مَـجْدٍ ثَـابتٍ غَيرُ نَاصِـلِ
وأيّـــدَهُ رَبّ العِبَـادِ بِنَـصْـرِهِ وأَظْـهَرَ دِينا حَـقُه غَـيرُ زَائِـلِ
فَـوالله لَـولَا أن أَجِـيءَ بِسـبَّةٍ تجُـرُّ علَى أشيَاخِنَا فِي المَحَافِلِ
لَكِـنّ تَبِعنَـاهُ عَـلَى كُـلّ حَـالَـة مِنَ الدّهْرِ جِدّا غَيرَ قَولِ التّهَـازُلِ
لَـقَد عَـلِموا أنَّ ابنَنَا لَا مُكذَّبٌ لَـدَينَا، ولَا يُعـنَى بِـقَولِ الأبَاطِـلِ [2]

والمُتأمّلُ في هذِه الأبياتِ يُلاحِظ جَليّا مَدَى تَطَابق مَضمُونِها مَع صِفاتِ رَسُول الله (ﷺ) وأَخلَاقه الّتي اشتُهر بِها بَينَ قومِه وعَشيرَته، ويلتمِسُ فِعلًا مَدَى بَلَاغَتِها وحُسنَ سَبكِ نَظمِهَا، "رَغمَ إنكَارِ بَعضِ أَهلِ العِلمِ بالشِّعرِ أَكثَرَها، وَوُرُودها مُطوَّلَة بِزِيَادَاتٍ أُخَر فِي بَعضِ الرّواياتِ، واختِلَافٍ فِي بَعضِ الألفَاظِ، وتقدِيمٍ وتَأخِيرٍ فِي بَعضِ الأبيَاتِ."[3]

---

[1]– يُنظَر.. أبو الفداء الحافظ بن كثير: **البداية والنّهاية**، ج3، ، ص55.

[2]– نفسه، ص57.

[3]– للاستزادة يُنظَر.. كتاب **المغازي** للأموي، **السّيرة النّبويّة** لابن هشام، **البداية والنّهاية** لابن كثير، **المدائح النّبويّة** لمحمود علي مكّي، **المدائح النّبويّة** لزكي مبارك.

4. أسبَابُ انتِشار شِعر المَديحِ النَّبوِي وَشُيُوعِه:

انتشرَت المَدائِح النّبوِيّة بشكلٍ كبيرٍ فِي مُختلفِ الأوطَانِ عبرَ كُلِّ العُصورِ والأزمِنةِ لأسبابٍ كثِيرةٍ ومُتداخِلةٍ نلخِّصُ أَهَمَّها –حسبَ وِجهَة نَظرِنا– كمَا يلي:

3-1. أسبَاب دينيّة عَقائِديّة:

تُعتَبرُ الأَسبَاب الدّينيّة مِن أهمّ أسبَابِ انتشارِ شِعر المَدائِح النّبوِيّة فِي مُختلفِ الأوطَانِ والأمصَارِ عبرَ مُختلف العُصورِ، وذلكَ لأَنَّ حُبَّ الرّسول (ﷺ) مُتَجَذِّرٌ في قُلُوب المُسلمينَ والمُؤمِنينَ، وَأَولَى مِن حُبِهِم لِأَنفُسهم وحُبِّ أَغلَى مَا يملِكُونَ؛ فقد أُثِرَ عنه قَولُه (ﷺ): "**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبّ إليهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسَ أَجمَعِينَ**"[1] وفي رِواية أخرى: "**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبّ إليهِ مِنْ أَهلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسَ أَجمَعِينَ**"[2] وعَن عَبد اللَّهِ بن هِشَامٍ، قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَر بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ لَهُ عُمَر: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَأَنتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن كُلِّ شَيءٍ إِلَّا مِن نَفسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لاَ، وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)** فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: **(فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي)**، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: **(الآنَ يَا عُمَرُ)**."[3]

والحُبُّ المَقصود فِي هذِه الأحَاديثِ النّبوِيّة –علَى حَسَب أهلِ الاختصَاص– "لَا يُرادُ بِهِ حُبُّ الطّبعِ، بَل يُراد بِهِ حُبُّ الاختِيارِ، لِأَنَّ حُبَّ الإنسَانِ لِنفسِه طَبعٌ ولا سَبيلَ إلى قَلبِه، ومَعنَى هذِه الأحادِيث أنّه: لَا تَصدُقُ فِي حُبِّي حَتّى تُفنِي فِي طَاعتِي نَفسَكَ، وتُؤثِرُ رِضَايَ علَى هَواكَ، وإِنْ كَانَ فيهِ هَلَاكُك (هذا كلَام الخطَّابِي)، وقالَ ابنُ بَطّال والقاضِي عَيّاض، وغَيرهِما رحمة الله علَيهِم: المَحَبةُ ثَلَاثةُ أقسَامٍ: مَحبَّةُ إجلَالٍ وإعظَامٍ

[1]– رواه مسلم.

[2]– رواه مسلم.

[3]– رواه البخاري.

كمَحَبة الوالِد، ومَحبَة شَفقَةٍ ورَحمَةٍ كمَحبَّة الوَلَد، وَمَحبة مُشاكَلةٍ واستِحسَانٍ كمَحَبّة سائرِ النّاسِ، فَجَمَع صَلَّى اللهُ علَيهِ وسَلّم أَصنَافَ المَحَبة فِي مَحَبّتِهِ، قالَ ابنُ بَطال – رَحِمَه اللهُ–: ومَعنَى الحَديثِ: أنَّ مَنِ استَكمَلَ الإيمانَ عَلِمَ أنّ حَقَ النّبي (ﷺ) آكِدٌ عَلَيه مِن حَقِّ أبيهِ وابنِهِ والنّاسِ أجمَعينَ؛ لأنّ بِهِ (ﷺ) استُنقِذنَا مِن النَّار، وَهُدِينَا مِن الضَلَال."[1]

وَإضافة إلى حُبّ المُسلِمينَ لرسُولِ اللهِ (ﷺ) فالمدَائحُ النّبوِيّة لَونٌ مِن ألوانِ التّعبيرِ عنِ العَواطِف الدّينيّةِ –مثلما يَصطَلح الدُّكتور زَكِي مُبارك– وَهِي فِي نَظَر بَعضِهم وَسيلَة للاستنجَادِ برَسول الله (ﷺ) من الكُروب الّتي تَحُلُّ بالمُجتَمَعِ، وسَبِيلٌ للتّشَفُعِ والتّوَسُل بِه إلَى اللهِ تَعَالَى حِينَمَا يُحِسّ الشّاعِر بِالذَّنبِ والتَّقصِيرِ فِي حَقِّ اللهِ تعالَى، وَبِكثرَة عِصيانِه لَهُ، فَهِي المُتنفَّسُ لَهُ حِينَمَا يَضيقُ بِهِ صَدرُه، يَقُولُ البُوصَيرِي – علَى سبيل المِثالِ لَا الحَصر– فِي هذا الشّأنِ مُلَمّحا إلَى أنّ رَحمَة اللهِ تَعَالى وَمَغفِرَته أوسَع مَهمَا كَثُرَتِ الذُنوبُ والمَعَاصِي:

يَا نَفْسُ لَا تَقْنطِي مِن زَلةٍ عَظُمَـتْ إن الكَبَائرَ فِي الغُفـــــــرانِ كَاللّمَمِ

لَعَل رَحْـــــمَةَ رَبي حِينَ يَقْسمُـهَا تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيَانِ فِي القَسَم[2]

كما تُعتَبر المَدائِح النّبوِيّة في مُختلَف العُصورِ –وخاصة قدِيمًا– نوعًا منَ النّصُوصِ الدّينِيّةِ المُقدّسَةِ –إلى حَدٍّ مَا– فِي نَظرِ بَعضِ عَامّةِ النّاسِ؛ تَجلِب تِلاوَتُها المَنافِع والخَيرَ الكَثيرَ لِصَاحِبها، فَقَد غَدَا إنشادُها ضَربًا مِن التعبُّد عِندَ بَعضِ الأفرَادِ والجَماعَاتِ، بل هي "شِعَارُ أهلِ الصَّلاحِ، وسِمات أَهلِ الفَلاحِ، ومِمّا يَتَنَافَس فِيه

[1]– ينظر.. مجموعة مواقع مداد: **شرح حديث : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)،نقلا عن الموقع الألكتروني: http://midad.com/article/196829** تاريخ النشر: 08 نوفمبر 2007م، تاريخ الاطلاع: 25 دسيمبر 2018م.

[2]– يوسف النّبهاني: **المجموعة النّبهانيّة في المدائح النّبويّة**، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج4، ص16.

المُتنافِسونَ، ويَدأَبُ فيه المُخلصُون، إذْ هِي مِن أعظَمِ وَسَائلِ النّجاحِ، وسَببٌ لِمُضَاعَفة الأربَاحِ"[1] في اعتِقادِ البعض مِنهم.

وإضَافةً إلَى كُلّ هَذا، يستغلّهُ الشّعَراءُ فيمَا يُعرَف بالجدلِ العَقائِدي القائمِ بينَ المُسلمِينَ وأهلِ الكِتابِ، حَيثُ كانتِ –ولا تزال– المَدائح النّبوِيّة وَسِيلةً من وسَائل الدّفاعِ عنِ الدّينِ الاسلَامِيّ، وعن نبيّهِ (ﷺ) وأصحَابِهِ، والردِّ علَى أهلِ الكِتَابِ المُنحرِفينَ الّذينَ يَنتقِصُونَ مِن قيمَةِ الإسلَام والمُسلِمينَ، وتَسفِيه آرائِهم، ورَدِّ حُجَجِهم الباطِلة وبيان حقيقتهم، يقولُ البُوصَيري أيضًا فِي هَذا الشّأنِ مثلًا:

ما بَالُ مَنْ غَضِــبَ الإلَـهُ علَيهِم حَادُوا عَنِ الحَقِّ المُبينِ وَنكبُوا

عَبدُوا، وَمُوسَى فِيهم العِجلَ الّذي ذبحُوا بِه ذَبْحَ العُجُـولِ وعذَّبُوا

وَصَبَّوا إلَى الأوثَـانِ بَعــدَ وَفَاتِه والرُّسُل مِن أَسَفٍ عَلَيهِم تَندبُ [2]

فمَقصُود البُوصَيري بـ "مَن غَضبَ الإلَه عَليهِم" هُو أهلُ الكِتابِ مِنَ اليَهودِ، الّذينَ أشَارَ إليهِم الله تَعَالى فِي أَكثَر مِن مَوضِعٍ فِي مُحكَم تَنزِيلِه، حَيثُ بيّن الإمَام أنّهُم ابتَعدُوا وَحَادُوا عَن الطَرِيقِ الصَّحِيحِ وَهَلَكوا، لثم أشارَ بَعدَ ذَلكَ إلَى النّبيِّ مُوسَى عَليهِ السَّلَام وَالأَذَى الّذي لَحِقَ بِه واستِمرَار قومِه فِي عِبَادةِ الأوثَانِ بَعدَ وَفاتِه... وَكُلّ هَذِه الإشَارَات تَجعَل القَارِئَ يُدركُ حَقيقَة أهلَ الكِتَاب مِن اليَهود، والضّالِينَ مِن النّصَارَى.

وبِهَذا تكُونُ الأسبَاب الدّينيّة العَقائدِيّة مِن أهمّ عَوامِل شُيوعِ قَصَائدِ المَدائِح النّبوِيّة بَينَ الأفرَاد والجَمَاعَات فِي مُختلَف الأمصَارِ والبُلدَانِ عبْرَ مُختلفِ العُصُورِ والأزمِنَة بِالنَّظَرِ إلَى أهَمِيتها فِي نَشرِ الدّينِ الإسلَامِي وَبيَان حَقِيقتهِ والدّفَاعِ عَنه.

[1]– ينظر.. عائشة الباعونيّة، **شرح الفتح المبين**، المطبعة الخيريّة، القاهرة، مصر، 1986م، ص23.

[2]– محمد بن سعيد البوصيرى: **الدّيوان**؛ شر/تع: محمد التونجى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص93.

4-2. أسبَاب جُغرافيّة سِياسِيّة:

من أهمّ أسبَابِ انتشارِ المَدائِح النّبوِيّة أيضًا سبَب منطقيٌّ- إن صَحّ التّعبير- يُمكنُ أن نستنتجَهُ بإعمَال عُقولِنا قليلًا، ويتمثّل في انتشار الدّين الإسلَامي فِي مُختلَفِ أنحاءِ العَالمِ بِسببِ اتّساعِ رُقعَة الدّول الإسلَاميّةِ **جُغرافيًا**؛ حَيثُ تتفجَرُ عَواطِف المُسلمِين وقَرائِحهم (خاصّة فِي مَواسِم الحَجّ والعُمرةِ واحتفالَات المَولِد النّبويّ) تُجَاه نبيّهِم رَسُول اللهِ (ﷺ) حُبًّا وشَوقا لزيارَة الكَعبة المُشرّفَة، وزيارَة قبرِه، وذِكر مُعجِزاته وصِفاتِه الخَلقيّة والخُلُقيّة، وَوَصف رِحلَة السّفرِ إلَى البقاعِ المُقدّسَة والعودَة مِنها وغيرها مِن مَظاهِر المَدحِ والثّنَاءِ.

كمَا تَسبّبتِ العَواملُ **السّياسيّة** الناتِجة عن كَثْرَة الحُروبِ والنّزاعَاتِ وتَهَجّم الغُزاة (المَغول والصَلِيبيينَ خاصّة) عَلَى الإسلَام فِي دَفعِ الشّعَراء إلى الدّفاعِ عَن الإسلَامِ ومُقدسَاته، وَمَدحِ نَبيّه، وَرَفع قَدرِه، والإشَادَة بِعظَمتِه، والدّعوَة إلى نُصرَة الإسلَام وَالمسلمين، وإلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تعَالى، فالشُعرَاء عادَة ما يُوصلُون رَسَائلِهم السياسيّة إلى الحُكّام والسّياسِيينَ فِي مُختلَف العُصُور إلى يَومنا هَذا مِن خِلال إشاراتهم الشِعرِيّة -بينَ الحِينِ والآخرِ- في مُختلف أشعارِهم وقصائِدهم، ومنها مَدائِحِهم النّبوِيّة الّتي استغَلُوهَا في الحُروب قديما كَوسِيلة فنّيّة لشَحذِ الهِمَم، وتنظِيمِ الصّفُوفِ لمُواجَهَةِ العَدُوّ للدّفاعِ عن الدِّيار والمُقدّسَات، مِن خِلال التّأسِي بِمَواقِف رسُولِ الله (ﷺ) في توحيدِ المُسلمِين ولمِّ شَملهم، وفي مَواقفِه وقَـرَارَاته أثنَاء فُتُوحَاته الإسلامِيّة الّتي قَامَ بها، والحُروبُ الصَّليبيّةُ ومَعَارك "التَّتَار" خير مثال على ذلك؛ حيث كَانَت -كما هو معروف تاريخيا- بمثابة دُروس قاسِية للمُسلِمين، أزاحَت السّتارَ عَن خِلافاتهم الدّينيّة والسّياسيّة، وأبانَت عَن عَجزِهم، وضُعفِهم فِي الدّفاعِ عن أوطَانِهم.

4-3. أسبَاب اجتِمَاعِيّة نَفسِيّة:

لا تُعتَبَر المَدَائِحُ النّبوِيّة –عبرَ مُختلَف العُصورِ– مُجرّد وَسيلةٍ للمَدحِ والثّناءِ أو التوّسُل، أوْ مُجرّد ترفٍ فنّــيٍّ دينــيّ أوْ نـزوةٍ شعـريّةٍ وجـدانيّةٍ لدى الشّعرَاءِ في ظرفٍ من الظُروفِ فَقَط، وإنّمَا هيَ حاجةٌ اجتماعـيّةٌ ونفـسيّةٌ في ظرفٍ تراكمَت فِيهِ الأحزانُ، وتوالَت فيهِ الاضطِرابَاتُ، وفقدَ فيهِ النّاسُ البَوصَلةَ الّتي تُرشِدُهم إلَى برِّ الأمَانِ وشاطِئِ النَجاةِ، فِي زمنٍ غابَ فيهِ النّموذَج الأكمل، والقدوَة الكَاملَة في جَميعِ مَجَالَات الحَيَاة الّتي تتوَحَّدُ بهِا كلمَة الأمّة، وتلتفُ حَولَها القلوبُ...

فلَم يكنِ الواقعُ المَرِير يرقى إلى ما يَطمح إليه النّاس، "ولا يُحقِّق لَهُم مَطلبَ وحدَتهم واتحادهم ورُقيهم وازدِهارهم، ويمحُو لهُم تلكَ الحيرَة وذلك الفراغَ الرّهِيب، فَلَم يَكن بِاستِطاعَة الشّعَرَاء سِوى استِحضَارَ الذّاكِرة واستدعَاءَ التّاريخ واستلهَامَ النّمُوذَج مِن شخصِ النّبيّ (ﷺ) باعتِباره المَثل المَنشُود، والتَعويضِ الأمثلِ لكلِّ ما كَان مَفقودًا في حياةِ النّاس"[1] في جَميعِ جَوانبِ حَياةِ الإنسَانِ، وَمنهَا الجَانبُ الاجتماعيّ؛ حَيث "تكثرُ الدّعواتُ للإصلَاحِ والتّخفيفِ عن النّاسِ، بِطُرقٍ شتّى، ومنهَا الشّعرُ الّذي ينتشرُ بَينَ النّاسِ، ويصِلُ إلى الحكّامِ، والّذي يُظهِر مَوَاطنَ الخَطأ والضُعف فِي المُجتمع، ويشيرُ إلى طُرق تَجَاوزه باقتضَاب، وبإشاراتٍ مُبطَنة، فيلهج بِه النّاسُ، ويردّدونَهُ، لِيدفَعُوا من بِيَدِه المَقدِرةَ على الإصلاحِ إلى فِعلِ ذلكَ."[2]

وهـكَذا كانَ الشُّعراءُ المادحونَ لرسولِ الله (ﷺ) يجتهدونَ في اِستغلالِ أشعَارِهم –رغمَ عديدِ السّقطاتِ مِن مُغالاة وأفكارٍ خاطئةٍ– لتنويرِ مُجتمَعاتِهم، "فَيربِطون

---

[1]– محمد شدّاد الحراق: **شعر المديح النّبوي حاجة اجتماعيّة ونفسيّة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: www.alnoor.se/article. ، تاريخ النّشر: 15 أكتوبر 2011م، تاريخ الاطّلاع: 17 جوان 2015.

[2]– يُنظَر.. عِزت ملا إبراهيمي، على رسولى: **تَدَاعِياتُ المَدائحِ النَّبويةِ على البيئة فى العصرِ المَملوكى**، مجلة كلّية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، ع34، 2017م، ص32.

بينَ مَديحِ الرّسولِ (ﷺ) وبينَ الواقعِ، ويَستلهمونَ مِن حَياتِه ما يَبعَثُ في نُفوسِهم القوّةَ والثّـقةَ لِمُواجهة القَضَايا، وما يساعِدُهم عَلَى مُواجَهة الأحداثِ، والتّغلُّبِ علَى المَشاكلِ والأزمَاتِ، ويُحاولون رَبطَ المَاضِي بالحَاضرِ، واستحضَارَ التّاريخِ وحياة الرّسولِ (ﷺ) وأمجاد الإسلامِ، للنّظرِ من خِلالها إلى الواقعِ"[1] فِي مُختلفِ جَوانبه، ومنهَا الجانبُ الاجتمَاعيُّ الّذي يؤثر على الجَانب النّفسيّ حَتمًا؛ فالشّاعر حُبًّا لمجتمَعِه ووطنِهِ وشَعبهِ تَجدُه يَجتهدُ في تقديمِ النّصحِ والإرشادِ في مَدائحِه مُستندًا في ذلِك إلى ذكرِ خِصَال الرّسولِ (ﷺ) وصِفاتهِ ومَواقفه النّبيلةِ في مُختلفِ مَواضيعِ الحياةِ اليوميّةِ ومجالاتِها.

4-4. أسبـاب تعليمـيّة تربـويّة:

وتُعتبرُ هذِه الأسبَاب أيضًا منَ العَواملِ الّتي ساهَمت -وستبقَى تُسهِم- فِي انتشَارِ شعرِ المَديحِ النَّبوِي وشُيوعِه منذ القدم، حيثُ "كانَت فِي طَليعَة الأشكَالِ الأدبيّة الّتي ظَهَرَت فِي العَصرِ المَملُوكِي؛ الهـادِفَة إلَى الإصلاَح الخُلُقِي مِثلَ الرَسَـائلِ والكُـتبِ الّتي تنَاوَلَت الاقتصَادَ والاجتمَاعَ والعَقيدَة بالدّرس والانتقَاد، وبَيّنت طُرُقَ الإصلاَح لَهَا، وَمنهَا (إغَاثةُ الأمّة) للمقريزي، و(مُعيد النِّعم) للسَبكِي، و(التّيسِير والاعتبَار) للأسَدِي"[2] وَغيرِها مِن المُصنفاَت المُفيدَة والقيّمَة.

وأسهَمت هذه الأسبَاب أيضَا في اِنتشَارِ المَدائحِ النّبوِيّة فِي العُصورِ المُتأخِرة والعَصرِ الحَديث وَعَصرِنا هَذا خَاصّةً، وذلكَ بِسببِ تَطوُّرِ أنظمَةِ التواصُل والتّعليمِ والتّربيّةِ وكثـرةِ المَدارسِ والثانوياتِ والجَامِعاتِ والمَعاهدِ في مُختلفِ أقطار البلاَد الإسلاَميّة، واهتمَام هَذه الأخيرَة بتدريس سيرَة الرّسولِ (ﷺ) لطُلابِ العِلمِ للاقتِدَاء بِه

[1]- يُنظَر.. عباس الجراري : **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**، مكتبة المعارف، الرّباط، المغرب، ط 6، 1979م، ج1، ص143.

[2]- عِزت ملا إبراهيمي، علي رسولى: **تَدَاعِياتُ المَدائحِ النَّبويةِ على البيئة فى العصرِ المَملوكى**، ص35.

(ﷺ)، واستخلَاصِ الدّرُوسِ والعِبَر، والاستفادَةِ مِنها فِي مُواجَهة مُختلَف مَجَالَات الحَياةِ، وتنظِيمِ مُسابَقاتٍ بِمناسَبة إحياءِ ذِكرى المَولِد النَّـبوِي الشّـريف لأحسَنِ القَصَائِد فِي مَدحِه والثّناءِ عليهِ (ﷺ).

وسَبَبُ كلّ هَذا الاهتمَام هو مَا تتضَمّنهُ سيرتُهُ (ﷺ) مِن قِيمٍ عُليا ومَواقفَ ونصائحَ قيّمة، وإرشاداتٍ هامّة، وأخلاقٍ عاليةٍ؛ تُسهمُ في تربيةِ الأجيالِ وتَنشِـئَتِهم نشأةً صَحيحةً وسَليمةً، وحتّى يَقتدُوا به ويَسلكُوا طَريقَ الهِدايةِ والإسلامِ للنّجاةِ في الدُّنيَا والآخرَة، إضافةً إلى أنَّ أشعَارَ إحياءِ ذِكرَى احتفالَاتِ المَولِد النَّبوِي "حافلةٌ بالمعلوماتِ التّاريخيّةِ والدّينيّةِ، ومَملُوءةٌ بِصُوَرِ العَظمَة والبُطولَة، والمَوَاقف الأخلَاقيّةِ الفذّةِ، بمَا فيهَا من القُدوةِ الحَسنةِ، والدّروسِ المفيدةِ، والمَوعِظةِ المُقنعَة"[1] الّتي لا نَجِدُها مُكتَمِلةً وشَافِيةً وافيةً لجميعِ نَواحِي الحَياةِ إلّا في سِيرتِه العَطِرة (ﷺ) ؛ فَهُوَ المَثَلَ الأعلَى للمؤمنين وقُدوتُهم الحَسَنةُ الّتي وَجَبَ عَلَيهِم اتبَاعها والاقتدَاء بِها، وهَذا مِصدَاقا لقولِه تَعَالَى : "**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.**"[2] وَمِصدَاقا لقولِه أيضًا فِي الآيةِ: "**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**"[3] الدّالَةِ عَلَى كَمَالِ صِفَاتِه وأخلَاقِه العظيمَة.

[1]– عِزت مِلّا إبراهيمي، علي رسولى: **تَدَاعِياتُ المَدائحِ النَّبويةِ على البيئة فى العصرِ المَملوكى**، ص35.

[2]– سورة الأحزاب، الآية: 21.

[3]– سورة القلم، الآية: 04.

5. أشــكَال شِعـر المَدِيحِ النَّبــوِي وأنمَــاطه:

اتّخذَت قَصيدَة المَديحِ النَّبوِي عَبرَ مُختلفِ العُصُور عِدّةَ أشكالٍ وأصنافٍ وتسمياتٍ مُعيَّنَةٍ ميزّت كلّ واحدَة عَن الأخرَى، واختلفَت بحسبِ طبيعةِ مَضمُونِها، أو سَببِ نَظمِها، أو زَمنِه، أو غيرِ ذلكَ، ومِن أهمّ أشكالِ المديحِ النَّبوِي الّتي سَلكت انزياحًا مُوحّدًا نذكرُ –بإيجاز– مَا يلِي:

5–1. البديعيّات الشّعريّة النّبويّة:

وهِي نوعٌ منَ القصَائدِ المَدحيّة الّتي انتشرَت فِي القرنِ الثّامنِ هِجرِي، وقد أشارَ الدّكتور زَكِي مُبارك إلَى هَذا النّوعِ منَ المدائحِ النّبويّة حينما تطرّق إلَى مُعارضةِ ابنِ جَابِر لبُردةِ الإمَامِ البُوصَيري قائلًا عنهُ: "قد شَغَلَ نفسَهُ بمُعارَضةِ البُردَة، وَلكن أيُّ مُعارَضَة؟ لقد ابتكرَ فنّا جَديدًا هُو "البَديعِيّات"، وذلِك أنْ تكُونَ القَصيدَة فِي مَدحِ الرّسُولِ، وَلَكن كُلّ بيتٍ مِن أبياتِهَا يُشيرُ إلَى فَنٍّ مِن فُنونِ البَديعِ"[1]؛ فهِي قصائدٌ طويلةٌ في مَدحِ الرّسولِ (ﷺ) علَى بَحرِ البَسيطِ، ورَوِيِّ المِيم المَكسُورَة، يتضمّنُ كُلّ بيتٍ مِن أبياتِها نوعًا مِن أنواعِ البدِيعِ[2]، يَجعلُها نوعًا مُتميّزًا مِن المَدائِح النّبويّة ذات الحِسّ الوِجدَاني المُرتبط بنِظام بَديعِيٍّ مُتنوّعٍ.

ولعَلَّ مَنشأَ القصَائدِ البديعيّةِ باتّفاقِ الدّارسين هي قصيدةُ "البردة" للإمامِ البُوصَيرِي الّتي كَانَ لَهَا أثرٌ كبيرٌ فِي تعليمِ عامّةِ المُسلمينَ الكثيرَ مِن مَكارِمِ الأدَبِ والأخلاقِ، والوُقوفِ علَى العَديدِ مِن المَحطّاتِ التّاريخيّةِ الدّينيّةِ؛ وخَاصّةً مَا يتعَلّقُ برسُولِ اللهِ (ﷺ)، يقولُ البُوصَيرِي فِي ثناياهَا:

يا أكْرَمَ الخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُــوذُ بِهِ سِواكَ عِندَ حُـــــدُوثِ الحَادِثِ العَمِمِ

---

[1]– زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص205.

[2]–يُنظَر.. علي أبو زيد: **البديعيات في الأدب العربي، نشأتها، تطوّرها وأثرها**، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983م، ص46.

أمْ هَبّــت الرّيحُ مِن تِلقَاء كَاظِمَة وَأَومَضَ البَرقُ فِي الظّلمَاءِ مِن إضَمِ

فَمَا لِعَينَيك إنْ قُــلْتُ اكْفُفَا هَمَتا وَمَا لِقَلبِك إنْ قُلْت اسْتَـــــــفِقْ يَهِم [1]

وأشهَرُ القَصَائدِ البَدِيعيّةِ المُتَفرّعَة عنها نَذكُر علَى سَبيلِ المِثالِ لَا الحَصر "بديعيّةُ صَفيّ الدّين الحِلّي" (677هـ-750هـ) (145 بيتا) الّتي وَسمَها بـ: "الكَافية البَديعيّة فِي المَدائحِ النّبوِيّة"، ويقولُ في مَطلِعِهَا:

إنْ جِئتَ سِلعًا فَسَلْ عَنْ جِيرَة العَلَم واقْرَا السَّــلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَم[2]

وَقَد ضَمَّنَ "الحِلّي" قَصِيدَته هذِه مُختلَف أنوَاعِ البَديعِ وأَسَالِيبِه -خَاصَّةً وأنّهُ كان يُشاع عنه تفكيره الدّائم فِي تأليفِ كِتابٍ فِي البَديعِ لولَا مَـرضه- وَأملَاها وَشَرَحَها فِي مُختَلَفِ المَجَالِسِ، وَلَكِنَّهَا لَم تكُن بِمثلِ قُوة وتأثيرِ بُردَة الإمام البُوصَيرِي التي تجَاوزَت كلّ الحُدودِ الزّمَانيّة والجُغرافيّة.

ومِنْ أَهمِّ البَديعِياتِ الأكثرِ شُهرَةً أيضًا بَديعِيّةُ ابن جَابر -الّذي أَشَرنَا إليهِ سَابِقًا- والّتي يَقولُ في مَطلِعهَا:

بِطَيبَةَ أنْزِل ويَمِّم سَــيّدَ الأُمَمِ وانْشُرْ لَهُ المَدْحَ وانْثُرْ أَطيَبَ الكَلِمِ [3]

وَقَد اعترَفَ لَهُ مُعاصِرُوه بِقيمةِ هذِه القصِيدةِ، حَيثُ تقدّمَ صَديقهُ "أبُو جَعفر الأَلبِيرِي" وَشَرَحَ بَديعيّتَهُ، مُعترِفًا بِأسبقِيّتِه فِي هَذا الفنّ، مُبيّنا أنّها "نادرَةٌ فِي فنّها ، فريدَةٌ في حُسنِها، تجنى ثَمر البَلاغةِ مِن غُصنِها، وتُنهِل سَواكِبَ الإجَادة مِن مُزنِها، لَم يُنسَج على مِنوالِهَا، وَلَا سَمَحَت قَريحَةٌ بِمِثلِها"[4] آنذَاكَ.

---

[1]- شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصّنهاجي البوصيري: **بردة المديح**، دار التراث البوديلمي، (نسخة pdf)، دط، دت، ص06.

[2]- صفي الدّين الحلي: **ديوان صفي الدّين الحلي**، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، ص685.

[3]- زكي مبارك، **المدائح النّبويّة في الأدب العربي**، ص169.

[4]- نفسه، ص169.

ومِن أشهَرِ البَديعيّات أيضًا: بَديعِيّة رائعَة للسَيّدة عَائشة البَاعونيّة؛ الّتي اعتبرَها بَعضُ الدّارسينَ مِن أرقَى البَديعِيّاتِ المُعارضَة لِقصِيدَة البُوصَيرِي، لأنّهَا كَانَت بعيـدَةً -إلى حدٍّ مَا- عَن مَظاهرِ التوسّلِ والاستغاثةِ برَسولِ اللهِ (ﷺ) الّتي نلمَحُها فِي بُردةِ البُوصَيري، تقول في مَطلَعِها:

فِي حُسنِ مطلـــع أقمَارٍ بذي سَلَم أصبَحتُ في زُمرَة العُشَــاق كالعَلَم

يَا سَعدُ إن أبصرَت عَينًا كَاظمَة وَجِئت سِلعاً فسَلْ عَن أَهلِهَا القِدَم

فَثَـــــمَّ أَقمَـــارُ تمٍّ طَالِـــعِينَ عَلَى طُويلِع حَيهِم وانـــزِل بِحَيهِم [1]

وإضافةً إلى هَذينِ البَديعيتَينِ؛ هُناك بَديعيةٌ مُحكَمَة النّسجِ لابنِ حُجّة الحَمَوي، وبَديعيتَان مُحكَمتانِ أيضًا لعبدِ الغنّي النّابلسِي، وغيرِها كثيرٌ لَا يَسعنَا في هَذَا المَقامِ أنْ نتطرّقَ إليهِا جَميعًا، والجَديرُ بالذّكرِ أنَّ لِهذهِ البَديعياتِ شُروحًا كَثيرَةً؛ فِيهَا الكَثيرُ مِن الفوائدِ الدّينيّةِ والنّحويّةِ والصّرفيّةِ والبلاغيّةِ والتّاريخيّةِ...

[1]- ينظر.. نوح مصطفى الفقير: **القصيدة البديعيّة لعائشة الباعونيّة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.ajlounnews.net/index.php?module=participations&c_id=&id=4347، تاريخ النشر: 01 مارس 2014م، تاريخ الاطلاع: 10 جويلية 2015م.

5-2. المُعارَضَـات الشّـعريّة النّبـوِيّة:

وقبلَ الخَوضِ فِي تَفاصِيلِ هَذا العُنوانِ لَا بَأسَ أن نَستوضِحَ مَفهُومَ المُعارَضَة لُغةً واصطِلَاحًا ، وأمّا لغة فهي فِي لِسَانِ العَرَب لابن مَنظور مِن الفِعلِ (عَارَضَ)، ونقول: "عارضَ الشَّيءَ بالشَّيءِ مُعارَضة: قَابَلَه، وفُلَان يُعارِضُني أي يُبَارِينِي، وفِي الحَدِيث: إنّ جِبريلَ عَلَيه السّلَام كَانَ يُعارِضُه القرآنُ فِي كُلِّ سَنةٍ مَرّة... مِن المُعَارَضَة المُقابلة"[1]، وَوَرَدَ فِي مُعجَم مُختَار الصَّحَاح للرّازِي: عَارَضَ، أي: "أَتَى إلَيهِ بِمثلِ مَا أَتَى، وَعَارَضَ الكِتَابَ بِالكِتَابِ أي قَابَلَه، وَمِنهُ أيضًا التَعريضُ وَهو ضِدّ التَصرِيحِ، يُقالُ عَرَّضَ لِفُلَان، وَبِفُلَانٍ إذَا قَالَ قَولًا وَهُو يَعنِيه"[2] ووردَ في قاموسِ المُحيط للفيروز أبَادِي: "عَارَضَ الطَرِيقَ جَانَبهُ، وَعَدَلَ عَنهُ، وَسَارَ حِيالَه، والكِتَاب قَابَلَه... وَعَارَضَ فُلانًا بِمِثل صَنيعِهِ: أتَى إليهِ مثلَ مَا أتَى."[3]

وأمّا اصطِلاحًا، فالمُعارضَة الشّعريّة مُصطلَح أدبيٌّ يرتبِطُ مَدلولُه الفنّي بِمَدلولِهِ اللّغوي ارتبَاطًا وَثيقًا، وأقربُ المَعَاني اللّغويّة إلَى مَدلُولِه الفنِّي هُوَ مَا يُفيدُ المُقَابَلةَ والمُبَارَاة والمُعَاظَمة والمُشَابَهة والمُحَاكَاة، وهيَ "أن يَنظُم الشّاعِر قَصيدَة فِي مَوضُوعٍ مُعيّن عَلَى بَحرٍ مِن البُحُور وَقافِيةٍ منَ القَوافِي، فيُعجَب بِها شَاعِرٌ آخر بِسَببٍ مِنَ الصّياغةِ المُتميّزة أو الإيقَاع اللّافِت أو المَعَانِي الظّاهِرَة أو الصُّورِ المُعبّرَة، فيَنظمُ عَلى

[1]– أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ: **لسان العرب**، مج ص167.

[2]– محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصّحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1986م، ص179.

[3]– أبو طاهر مجد الدّين محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشّـيرازي الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، ص647.

بَحرِها وَقافيتِها وَمَوضُوعها، مُلتزمًا بِذلك التزامًا تامًا أو مَحدودًا، حريصًا علَى أَن يُضَاهِي الشّاعرَ المُعارضَ إنْ لم يُفُقهُ ويتفوّق علَيهِ"[1].

والحَقيقَة أنَّ قَصَائد المُعارضاتِ عَامّةً ظاهرة مِن أقدمِ الظّواهرِ الشّعريّةِ الّتي عرفهَا الشّعرُ العَربيّ عُمومًا، حِينما كَان الشّعرَاءُ يتّخذونَ مِنها وَسيلة للرّدِ علَى مُنافِسيهِم ومُعارضِيهم، فَهِي "بابٌ مِن أبوابِ الشّعرِ التقلِيديّ الّذي يتصَدّى فِيه الشّاعرُ لقصيدةِ زميلٍ لهُ، سَواءً كَانَ قَديمًا أو مُعاصرًا؛ فَينظُم أبياتًا علَى وزنِها، ويقفُ فيهَا مَوقفَ المُقلّد إعجابًا، أو يُناقض زَميلَه فيثبتُ ما أنكرَ أو ينكرُ ما أثبتَ، بِحيثُ يعمَدُ الشّاعرُ إلى تتبعِ عمَلِ شاعرٍ آخرَ بدافعِ الإعجَابِ أو النّقضِ"[2] في غالِبِ الأحيانِ، أو لِمُجاراةِ الشّعراءِ الآخرينَ واختبَارِ قُدرَتِهِ علَى الإبدَاعِ، أو لأسبَابٍ دِينيّةٍ (مثل مُعارَضَات المَدائحِ النّبوِيّة) أو سِياسيّةٍ أو تاريخيّةٍ أو غيرِ ذلكَ.

وَقد عَرَفت بعضُ قَصَائدِ المَدِيحِ النَّبوِي هذِه الظَاهِرة كثيرًا، وبِخاصّةٍ قَصِيدةُ البُردَة للإمَامِ البوصَيرِي –رغمَ مَا تَحوِيه من بعض المبالغة والانحِراف العقائدِي– الّتي عارضَها الكَثيرُ مِن الشّعرَاءِ مِن مُختلَفِ العُصورِ والأمكِنةِ، فنَجِدُ فِي العَصرِ الحَديثِ –علَى سبِيل المِثال– قَصِيدةُ نَهجِ البُردَة (الّتي سَنعُود إليهَا في الفَصلِ الرّابع مِن الدّراسَة) لأميرِ الشّعَراءِ أحمَد شَوقِي، الّتي لَاقَت رَوَاجًا مُنقطِع النّظِير بالنّظَرِ إلَى حُسنِ سَبكِها وَجَمَال صُوَرِها الشّعرِيّة والوِجدانيّةِ، وشَبَـهِهَا بِبُـردَة البُوصَيري، ويقُولُ شَوقِي فِي مَطلعِها: (علَى وزنِ البَسِيط)

---

[1]– عبد الرؤوف زهدي مصطفى وعمر الأسعد: **المعارضات الشعريّة وأثرها في إغناء التّراث الادبي**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمان، الاردن، مج 36، 2009م، ص903.

[2]– أحمد زنبير، **المعارضة الشّعريّة عتبات التّناص في القصيدة المغربيّة**، دار أبي فراق، الرّباط، المغرب، ط1، 2008م، ص47.

ريمٌ عَلى القَــاعِ بَيــنَ البَانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُــرُمِ
رَمـــى القَضـاءُ بِعَينَـي جُؤذَرٍ أَسَـداً يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِــنَ الأَجَمِ
لَمّا رَنـــا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَــةً يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي
جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهــمَ في كَبِدي جُــرحُ الأَحِبَّةِ عِنـدي غَيرُ ذي أَلَمِ
رُزِقتَ أَسمَحَ ما في النّاسِ مِن خُلُقٍ إِذا رُزِقتَ اِلتِمـاسَ العُذرِ في الشِيَمِ
يا لَائِمي في هَـــواهُ وَالهَـوى قَدَرٌ لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَـــم تَعـذِل وَلَم تَلُم[1]

ومِنَ المُعَارضَات المَشهُورة أيضًا قَصِيدة "**كَشْفُ الغُمَّة فِي مَدْحِ سَيِّدِ الأُمَّة**" لِمَحمُود سَامِي البَارُودِي، وَهِيَ قَصِيدَةٌ مُطَوَّلَة تَتَكَوَّنُ مِن (447) بَيتٍ شِعريٍّ؛ يَقولُ فِي مَطلِعها: (علَى وزنِ البَسيطِ).

يَا رَائِدَ البَرقِ يَمِّم دَارَةَ العَلَــم وَاحْدُ الغَمَام عَلَى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ [2]

وَكَمَا هُو شَائعٌ عنهَا؛ تتميّزُ هذهِ القصِيدَة (وكَذا قَصِيدة نَهْج البُردَة لشَوقِي) بِتضمُّنِها لجزءٍ لا يستهان به من سِيرَة رَسُولِ اللهِ (ﷺ) مِن مَولِدِهِ إِلَى غاية وَفاتِه، وَهَذا باعترافِ البارودِي فِي حَدِّ ذاتِه، مُعتبِرًا إياهَا شَفيعَةً لَه يَومَ القيامَةِ، حيثُ قالَ فِي هذَا الشَّأن: "وَقَد ضَمّنتُها سِيرَة النّبِي (ﷺ) مِن حِينِ مَولِدِه الكرِيمِ إلى يَومِ انتِقالِه إلى جِوَارِ رَبهِ، وقَد بَنيتُهَا علَى سيرةِ ابنِ هِشامٍ، وسَميتُها " كَشفُ الغُمّةِ فِي مَدحِ سيّدِ الأمّةِ"، وَرغبَتِي إِلَى اللهِ أن تَكُونَ لِي ذريعَةً أمُتُّ بها (أيْ أتوسَّلُ بِهَا) يَومَ المِيعَادِ، وسُلَّمًا إِلَى النّجَاةِ مِن هَول المَحشَرِ"[3]، يَومَ لَا يَنفَعُ لَا مَالٌ ولَا بَنُونٌ إِلَّا مَن أَتَى اللهَ بقلبٍ سَلِيمٍ.

---

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، دت، مج1، ص190.

[2]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص143.

[3]– محمود سامي البارودي، **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، نسخة مصحّحة على نسخة الناظم المقروء، قرأها وعلّق عليها: مدحت يوسف السّبع، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011م، ص15.

5-3. المَولِديات النّبوِيّة:

وَهِيَ قَصَائدٌ شِعريّةٌ مدحيّةٌ تُنظَّمُ بِمُناسَبةِ الاحتِفالِ بذِكرَى المولِدِ النَّبوِي الشّرِيفِ أوْ تَحضِيرًا لَهُ فِي المَواسِم الأدَبيّةِ فِي عَصرِنَا الحَالِي فِي العديد من المَدَارِس وَالثانَويَاتِ والمَعَاهِد والجَامِعَاتِ، "والاحتِفالَاتِ الرّسمِيّةِ للرّؤسَاءِ والمُلوكِ –فِي بِلادِ المَغرِب الإسلَامِيّ خَاصَّةً– حَيثُ تُلقى بَينَ يَدَي السّلطَانِ"[1]، وتَتَبَارَى فيهَا مَواهِب الشّعَرَاء فِي بَثِّ مُختَلَف المَشَاعِر الدّينِيّةِ وإظهَارِ مَكَارِمِ السّيرةِ النّبوِيّة العَطِرة بِقصائِد تَأخُذُ حَظّا وَافرًا مِن النّسيبِ والحَنينِ والشّكوَى والرّجَاءِ، ثُمّ التّطرُّق إلَى المُلوكِ والسّلَاطينِ المُحتفِلِين بِهذِه الذِكرَى.

وَيُطِيلُ الشّعرَاءُ فِي هذِه القَصَائدِ النَّفَسَ، ويَعتبِرونَ ذلِكَ مِن الإطنَابِ الوَاجِبِ فِي مَعرَضِ المَدحِ وَالحَنينِ إلى مَهبَطِ الوَحي، وَمَنبَع الطُّهر، وَيُسَمُّونَ قَصَائدَهم بالمَولِدِيات، أو العِيدِيات[2]؛ مِن العِيد والأعيَادِ، وَهِي تَختَلفُ عَنِ المَوالِد فِي أَنَّ هَذِه الأخِيرَة تَكُون نثرًا مَسجُوعًا وَلَيسَت شِعرًا، "وَهِي ظَاهِرة دَأبَت عَلَيهَا الكَثيرُ مِن الزّوَايَا والفِرَقِ الصُّوفِيّة الّتي أَلَّفَت نُصوصًا نَثرِيّةً جَمِيلَة تَحتَفي بِمظَاهِرِ مِيلَاد الرّسُولِ عَليهِ أفضَلُ الصَّلَاة وَأزكَى التّسلِيم، بِالإضَافةِ إلَى الرّسَائلِ الّتي كانت تُبعَث إلَى الرّوضَة الشّرِيفَة، وَأغلَبُ هذِه المَوالِد لَا تَزالُ مُتفرّقَة فِي الخَزائِن الخَاصّةِ والزّوَايَا، والكَثيرُ مِنهَا مَخطُوطٌ"[3] يَحتَاجُ إلَى جَمعٍ وَتحقِيقٍ وَدِرَاسَةٍ وَبَحثٍ.

والجَديرُ بالذِّكرِ أنَّ المَولِديات النّبوِيّة كَانَت مَوجودَة مُنذُ القِدم منذُ القَرنِ الرّابِع للهِجرَة فِي العَهدِ الفاطِمِيّ عَلَى حَسَب بَعضِ الدّرَاسَات، "ولمْ تكُن كلّهَا مُتشابِهةً، وَذِكرُ

---

[1]– عبد الله بنصر العلوي: **المولديات ظاهرة مغربيّة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني:www.hespress.com ، تاريخ النّشر: 28 ديسمبر 2015م، تاريخ الاطّلاع: 22 فيفري 2016م.

[2]– سعيد بن الأحرش، **بردة البوصيري بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثّامن والتّاسع الهجريين**، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، 1998م، ص37.

[3]–عبد الله بنصر العلوي: **المولديات ظاهرة مغربيّة**، تاريخ الاطّلاع: 22 فيفري 2016م.

مُناسَبَة المَولِد النّبوِي فيهَا لَا يَكونُ دَائمًا، وَلَا يُمدَح فِيهَا صَاحِبُ الأمرِ، ويَقتَصِر الشّعرَاءُ فِي قَصَائِدِهِم عَلَى المَدِيحِ النَّبوِي فَقَط، فتَكُون القَصِيدَة مِدحَة نَبَويَّةً خَالصَة، لكنَ اسمَ "مَولدية" يَأتِيهَا مِن نَظمِها بِمناسبَة المَولِد النّبوِي الشّرِيفِ، أو لِأنَّ صَاحِبهَا أنشَدهَا فِي الاحتِفالِ بِالمولِد"[1] أمَامَ جُمهورٍ مُعيّنٍ.

وَمِن أمثِلَة شُعرَاء القَصَائِد المَولِديّةِ المَشهُورةِ فِي عَصرِ العَلوِيّينَ –عَلَى سَبِيلِ المِثالِ لَا الحَصرِ– نَذكُر مَا يَلِي:[2]

أ. الشّاعر: **مُحمَّد بن أحمَد المُرابِط الدِلَائِي الفَاسِي** (ت 1099 هـ . 1688م)، وهوَ شَاعرٌ مُجِيدٌ لَهُ قَصيدَة دَاليَة مُسَمّطَة، مِن مَجزُوءِ الكَامِل فِي أَربَعَةٍ وَخَمسِينَ بَيتًا شِعرِيًا، يَقولُ في مَطلَعِها:

بَــدْرُ الآمَـــانِي قَدْ بدَا بِربِيـــعِ مَـــولِدِ أحْـمَدَا

الهَادِي الشَّـفِيعُ مَـن غَدَا ودَعَا إلَى طُرُقِ الرَّشَادِ

ب. الشّاعِر: مُحَمّد بن القاسِم ابن زكُور الفَاسِي (ت1120 هـ . 1708م)، لَهُ ثَلَاثُ مَولِدِياتٍ... وأوَلُها مُوَشَّحَةٌ يَقُولُ فِي مَطلِعهَا:

يا لَيْلَـــةَ المِـــيلاَدِ ما كَان أَحْلَى سَمَرك

شَــفَيْت ذَا أنْـــكَادِ بَاتَ يَشِـــيمُ عُرَرَكَ

جـ. الشّاعِر "إدرِيس بن مُحَمّد العَمرَاوِي" (ت1296 هـ– 1853م)، وَيقُولُ فِي مَطلَع إحدَى مَولِدِيَاتِه:

إذَا لَم يَكُــنْ وَصْلٌ فَـــوَعْدٌ بزَوْرةٍ وإنْ أنتُم لم تَسْمَحُوا فابْـعَثُوا الطَّيفَا

إلَى أنْ يَقُول: (مُشِيرًا إلَى المُعجِزَات الّتي رَافقَت وِلَادَة المُصطَفَى عَلَيهِ السّلَام)

---

[1]– يُنظَر.. فاطمة عمراني: **المدائح النّبويّة في الشّعر الأندلسي**، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2011م، مج1، ص142.

[2]– للاستزادة يُنظَر.. عبد الفتاح مغفور: **قصائد المولديات في عصر العلويين**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://alquatan.ma/Article. ، تاريخ النّشر: دت، تاريخ الاطّلاع: 24 فيفري 2016م.

وَفِي المَولِدِ الأَسْمَى بَدَت مُعْـجِزَاتِه خَـــوَارِقٌ عَادَاتْ شَـــفَتنَا بِهَا الشَّفَا
كَإيوَان كِسْـــرَى إذْ تَـدَاعَى بِنَــاؤُهُ ومَا كَانَ يَخْشَى مِـن وثَاقتِـــه صَرْفَا
وتَنْكِيسُ أصْـنَام ورَجْـــمُ مُـخْـــاتِلِ يَرُومُ اسْتِرَاقَ السَّمْعَ مِنْ جَهْلِه خَطْفَا
وغَارَتْ عُيُونُ الفُرس عِند خُمُـودِنا لَهُم مِـن وقـــود لَمْ يَكُن أَبَـدًا يَطفَى

إلى آخر القَصِيدَة الّتي يبلُغُ عَدَدُ أبيَاتِها (60) بَيتًا، وَهِيَ قَصِيدَةٌ بَسِيطَةٌ فِي أسلُوبٍ سَلِسٍ سَهْلٍ لَا تَكَلُّفَ فِيهِ[1]، تَكثُر فِيهِ الألفَاظُ البَسِيطَةُ المُتداوَلَة بَينَ عَامّةِ النّاسِ.

5-4. النِّعَالِـيَاتُ النّـبوِيّـة:

وَهِي قَصَائدٌ دِينيّةٌ مدحيّةٌ نبويّةٌ مُحكمَةُ النسْجِ فِي نَظمِها، تُولِي اهتمَامًا بِوصفِ النّعلِ أو النِّعال النّبوِيّة، والنّعلُ "هِيَ مَا وُقِيَت بِهِ القدَمُ عنِ الأرضِ كالنّعلةِ، ومُؤنَثُهُ وجَمعُه نِعالٌ"[2]، ومِنه "النِّعالِياتُ" بِإضَافَة اللّاحقة (اليَاء وألِفُ المَدّ والتّاء)، وَقَد كَانَ للمَغاربَة سَبقٌ عَلَى المَشَارقَة فِي هذا اللّونِ منْ ألوَانِ المَدائِح النّبوِيّة، كَمَا "اهتمّتْ كُتبُ السِّيرَة النّبوِيّة بِهذا الأثرِ النّبويّ، فَعَرّفتها وَبَيَّنَت صِفَاتها، ثمَّ كَيفيَةَ لَبسِها ونَزعِها، كَمَا اهتم "أحمَد المقرِي" بِهذِه الأشعارِ وأفرَدَ لَهَا كِتابَه "**فَتحُ المُتعَال فِي مَدحِ النّعَالِ**" وَخَصَّصَ لَهَا جُزءًا مِن كِتَابِه "**أزهَارُ الرّيَاضِ**" حَيثُ أورَدَ قولَ الشّاعِر "مَالِك ابنُ المُرحل":

وَمِمَّا دَعَانِي وَالــدَّوَاعِي كَثِيرَة إلَى التّشَوّقِ إنّ الشَّوقَ مِمَّا أُكَاتِمُه
مِثَالٌ لِنَعلِي مَن أَحَـبَّ حَسوتُهُ فَهَا أَنَا فِي يَومِـــي وَلَـــيلِي لَاثِمُه
كَانَ مِثَالُ النّعلِ مِحرَابُ مَسجِدٍ فَوَجهِي فِيهِ شَاخِصُ الطَرفِ دَائِمُهُ
أُمَثِّلُه فِي رجلِ أكرَم مَن مَشَى فَبَصَرَتهُ عَينِي وَمَـــا أَنَا حَـــالِمُهُ

[1]- عبد الفتّاح مغفور: **قصائد المولديات في عصر العلويين**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://alquatan.ma/Article. ، تاريخ الاطّلاع: 24 فيفري 2016م.

[2]- يُنظَر.. أبو طاهر مجد الدّين محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ص626.

وأَربِطُه فَوق الشُّــؤُونِ تَمِيمَة لِجَـفنِي لَعلَّ الجَــفنَ يَرِقُّ أسَاجمُهُ

أَلَا يَأبَى تِمــثَالُ نَــعْلُ مُحَمّدٍ لطَــــاب معَاذِيـــــهِ وَقدس خَادمُهُ [1]

وَيَقُولُ الإمام يُوسف النّبهَانيّ[2] –ولنا عَودَة إليه في الفَصلِ الثّالِث مِنَ هذه الدِّرَاسَة– فِي وَصفِ النّعلَينِ الكَريمَتينِ لرَسُولِ اللهِ (ﷺ) مُبيّنًا مَدَى أفضَليتَهُ عَلَى النّبِي مُوسَى عَليهِ السّلَام، يَقُول:

عَلَى رَأسِ هَذَا الكَـــــونِ نَعْلُ مُحَمّدٍ سَمَـتْ فَجَمِيعُ الخَلقِ تَحتَ ظِلَالِه

لَدَى الطُورِ مُوسَى نُودِيَ اخلَعْ وَأَحمَد عَلَى العَرشِ لَمْ يُؤمَر بِخَلعِ نِعَالِهِ

فَلَمَا سَمعَه مُفْتِي حَضرَمُوت السّيِد "عَبد الرّحمَن بنُ عُبيد الله السَقّاف" لَم يُعجِبهُ ذلِك، فرَدَّ بِأنَّ الرّسُولَ (ﷺ) لم يُؤمَر بِخلعِ نِعالِه، لَكِنّهُ (ﷺ) نَزَعَهُ لشِدّةِ تَواضُعِه، يَقولُ المُفتِي:

يَقُولُونَ: إنَّ المُصطَفَى لَيلَةَ السَّرَى إلَى العَرشِ لَمْ يُؤمَر بِخَلعِ نِعَالِهِ

وَهَذَا مُحَالٌ عِـــندَنَا فِي مَقَامِ مَنْ تَوَاضُـــــــــعُه أَسْــنَى خِلَالَه [3]

ثُمَ عَقّبَ (النّبهَاني) بَعدَ هَذينِ البَيتَينِ قَائِلًا: "وَلَكنَ السّقافَ رَأَى النّبيَ (ﷺ) فِي النّومِ وَهُوَ يُشيرُ إلَى بَابِ الصّلَاة فِي النّعَالِ، فلَمَا استَيقظَ استنبَطَ منهَا أنّ المُصَلِي يُنَاجِي رَبّهُ، وَذَلكَ جَائزٌ فِي حَالَةِ لبسِهِ لِنعَالِه، فلَا مانِعَ مِن أن يكُونَ الرّسُولُ (ﷺ)

---

[1]– بلقاسم بوعزاوي: **وقفات مع شعر المديح النّبوي في الأدب المغربي**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://almahajjafes.net، تاريخ النّشر: 09 يونيو 2001م، تاريخ الاطّلاع: 27 فيفري 2016م.

[2]– **النّبهاني:** هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف النّبهانى (1849م– 1932م)؛ شاعر وأديب ورجل من رجال القضاء، ينتسب إلى "**بنى نبهان**" من عرب البادية بفلسطين، له كتب كثيرة حمل فيها عن أعلام الإسلام كابن تيميّة وابن قيّم الجوزيّة، من كتبه: جامع كرامات الأولياء، رياض الجنّة، والمجموعة النّبهانيّة في المدائح النّبويّة..

[3]– محمد بن علوي بن عباس المالكي المكّي الحسني، **الذّخائر المحمّديّة في شمائل وفضائل المصطفى صلّى الله عليه وسلم**، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2007م، مج1 ، ص104.

في حَالِ المُنَاجَاة بِنِعَالِه لأنَّ الحَالَ وَاحِدٌ"[1]، وَخُلَاصَة هَذا كلّهِ أنَّ ذِكرَ النِّعَالِ وَارِدٌ فِي سِيرَتِهِ (ﷺ) وَفِي شِعرِ مَادِحيهِ خاصّةً المَغاربَة مِنهُم.

5-5. الحِجَــازِيَاتُ النّبـوِيّة:

الحِجَازِياتُ هِي تِلكَ "القصَائد الغَزليّة النّسيبيّة الّتي تُعنَى بِذكرِ مَعاهِد الحِجَاز ودِيارِه كَذِكرِ سلع، ورَامَة، والعَقِيف، والعذيب، والغَدِير، وَأكنَاف حَاجِز، وهوَ سَبيلُ اخترَعهُ جريرٌ، وعبدُه البُحتُري، وَمَالَ إليهِ أبُو تَمَّامٍ إلَى أن استوَى واشتَدَّ عَضدُهُ لَدَى الشّريفِ الرضِي الّذي اشتهرَ بِه، حيثُ كانت حِجَازياتهُ نمطاً فنّياً أصيلاً"[2] كانَ لهُ تأثيرُه علَى مُختلفِ ألوانِ الشّعرِ العَربِيّ، وبِخاصّةٍ المدائحُ النّبوِيّة؛ حيثُ شَكّلت الحِجازياتُ النّبوِيّة آنذاك "فنًّا شِعريًا مُستقلًا صارَ في أيامِ المَمَاليكِ مِن لَوازِم المَدِيحِ النّبوِي"[3] وَألوَانِه الأكثرِ انتشَارًا.

والحِجَازياتُ النّبوِيّة بِصفَةٍ عَامّةٍ هِيَ قَصَائدٌ اهتمَ بِهَا المَغاربةُ أكثر مِن غيرهم لبُعدِ بِلَادهِم عَن بِلادِ الحِجازِ، وتَشوّقِهم لَها لِمَا تتميّزُ بِه مِن قَداسةٍ؛ اتّخذَتهَا لِكونِها شَهدِت مُنطلَقَ الوَحيِ والبِدَايَاتِ الأولَى للرّسَالةِ المُحمّدِيّة المُبارَكة ومُختلفِ مَراحلِها إلَى غَايةِ وَفاةِ رَسولِ اللهِ (ﷺ)، وَهِيَ تتضَمّنُ مِن جَانبٍ آخرَ أيضًا -إضَافةً إلَى المَدحِ – شَكاوى الشّعَـراءِ مِن جُـورِ الظالمِين والفاسِدين، وتَخاذُل الأمَراءِ عن نُصرَة المُسلِمينَ وتقصِيرهِم فِي حُقوقِ رَعيّتِهم.

---

[1]- محمد بن علوي بن عباس المالكي المكّي الحسني، **الذّخائر المحمّديّة في شمائل وفضائل المصطفى صلّى الله عليه وسلم**، ص104.

[2]- يُنظَر.. عبد المنعم الوكيلي: **حجازيات الشّريف الرّضي ونجديات الأبيوردي**، نقلا عن الموقع الإلكتروني لمجلة العربيّة: http://www.arabicmagazine.com، تاريخ النّشر: 03 ماي 2011م، تاريخ الاطّلاع: 05 مارس 2016م.

[3]- محمود سالم محمد: **المدائح النّبويّة حتى نهاية العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1996م، ص204.

وَفِي هَذِه القصَائِد يُعبّرُ الشّاعرُ عَن شَوقِه وَحَنِينِه إِلَى زِيارَة البِقاعِ المُقدّسَة، وَوَصفِ رِحلةِ السّفرِ إليهَا، والأمَاكِن الّتي مَرَّ بِهَا، والصّعُوبَاتِ الّتي اعترَضَتهُ والمُسَافرينَ مَعهُ أثناءَ ذلكَ، فَتجدُه يَبوحُ فيهَا عَن "شَوقِه وتلهّفِه إِلَى زِيارَة قبرِ النّبِيّ (ﷺ)، أوْ إِلَى الأمَاكِن الّتي شَهِدَت يَومًا مَا إشرَاقةَ الرّسَالةِ المُحمَديّةِ، وَعَاشتْ لَحظَاتِ الدّعوَة فِي مِحنتِها وانتِصارِها، وفِي شِدّتِها ورَخائِها، مُكثرًا مِن تَرديدِ أسماءِ الأماكنِ الحِجازيّةِ، ولا سِيمَا كلمَة "طَيبَة" الّتي تَعنِي "المَدينَة المُنوّرَة" وَمَواضعَ أخرَى مِثل: مِنَى، وَيَثرِب، وزمزم، والبَيت العَتيق، ونَجْد، والخَيْف، والحَطِيم واللّوى والغُور، وغيرِهَا مِن أسمَاءٍ مُوحيةٍ تكتنِز شُحنَةً تاريخيّةً كبيرةً، وتُعطي القَصيدَة بُعدًا زمنيًا، وتُثيرُ حَولَها جَوًّا رُوحانيًّا وعَبَقًا دِينيًّا يَزيدَان مِن تأثِيرِها وَقُوتِها"[1] رَغمَ مَشقَّة الرّحلَةِ وصُعوبَة مسَالكهَا وطولهَا.

ومِن أشهَر أعلَام قَصائدِ الحِجازِياتِ –كمَا سبَقَ الإشَارَة إليهِ– الشّرِيف الرّضِي الّذي "اهتمَّ بالمكَان لِما يحملُهُ مِن قَداسَةٍ دينيّةٍ نَابعةٍ مِن إيمَانِه بِه، ولأنَّ هذا المَكَانَ يَزرَعُ فِي نفسِه الطُمأنِينةَ والتّوازنَ النّاتجَ عن كَونِ الحِجاز بأمكنِتها تُمثّل المَهدَ الرّوحِي للفِكر الإسلَاميّ الّذي تمثّلَ بِهِ الشّريف، وَمِن هنا جَعَل الشّرِيف للمَكَانِ مَوقِعاً هَاماً فِي حِجازيّاتِه، فَقَدْ استخدَمَ المَكانَ كَمِحوَرٍ تَدُورُ مِن خِلَالِه الأحدَاثُ الّتي تَحمِل مَعنَى الشّوق والحَنين"[2] إِلَى زيَـارَة قبرِ رَسولِ اللهِ (ﷺ) والبقاعِ المُقدّسةِ لأداءِ مَناسِك الحَجِّ أو العُمرَة، وَمِن أشهَرِ حِجازِياتِ الشّرِيف الرّضي مِيمِيتُه "**ليلة السّفح**" الّتي يَقُولُ فِي مَطلَعِهَا:

يَا لَـيْلَةَ السَّـفحِ ألاَّ عُـــدْتِ ثَانِـيَةً سَقَى زَمَانكِ هطّـــال مِـنَ الدِّيَمِ

---

[1]– محمّد مجيد السّعيد، **الشّعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس**، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، 2008م، ص274.

[2]– يُنظَر.. نادر عبد الكريم حقّاني: **قراءةٌ نقديّة في حِجازيّاتِ الشّريف الرّضي– ليلة السّفْحِ أنموذجاً**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://arabic.balaghah.net، تاريخ النّشر: دت، تاريخ الاطّلاع: 12 مارس 2016م.

مَاضٍ مِنَ العَيشِ لَو يُفدَى بَذلْتُ لَـهُ كرائِمَ المَالِ مِن خَـــيلٍ ومِنْ نِعمِ
لَمْ أَقضِ مِنك لُباناتٍ ظَـــــفِرت بِهَا فَهَلْ لِيَ اليــوم إلَّا زَفـــرَةُ النّدَمِ
فَلَيتَ عَهــدَكِ إذْ لَـم يبْــق لِي أبداً لَمْ يُبْق عِندِي عَقَابِيلاً من السّقَمِ[1]

وتَتَميّز حِجازِيّات الشّريفِ الرّضِي عَامّةً بإبرازِهِ لِنزاهتِه وعفّتِهِ، وتغزّلِه العفِيفِ الّذي "يشعرُ فيهِ أحياناً بمذلّةِ الهَوَى شُعوراً مُقترناً بِمنزلتِه العزيزَة الّتي أذلّتهَا أهوَاءُ الفؤادِ، وهذَا الشّعورُ وهذِه المَنزِلةُ دَفَعَا الرّضي إلَى جَعلِ الحَديثِ عنِ العِفّة مُلازِماً أكثرَ شعرِه الغزلِيّ، فَكَانتَ العِفّة عَامِلاً مُطهّراً للجَانبِ الحَياتِي مِن الغزلِ"[2]، فنجدُه مثلًا يحاولُ تصويرَ قهرِه لشهواتِ النّفسِ علَى مَا بِها مِن لَواعِج العِشق، فقد تُضاجِعُهُ الحَسناءُ، وَلكنَّ السّيفَ بينَه وَبينَها، وَهو أدنَى الضّجِيعَينِ إليهِ، فمَا أبرعَ هذِه الكِنايةَ عنِ العِفّة الّتي يُصورّهَا قولُه:

تُضاجِعُني الحَسنَاءُ، والسَّيفُ دُونَها ضَجيعانِ لي، والسَّيفُ أدنَاهُما مِنِّي
إذَا دنَتِ البَيضَـــــاءُ مِنّي لِحَــاجَةٍ أبَى الأبيضُ المَاضِي، فَأبعدَها عَنّي
وإنْ نَامَ لِي فِي الجَفْنِ إنسَانُ ناظِرٍ تَيقَّــظَ عنّي نَاظرٌ ليَ في الجــفْنِ[3]

وتتميّزُ قصَائدُ الحِجازِيات عُمومًا بِبُعدِها عنِ المَدِيح السّياسِي (مدحُ الأمرَاء والمُلوك والسّلاطِين...) الّذي كَان فِي العَصرِ الجَاهلِي بِكثرَةٍ، لغرضِ التكسّبِ بالدّرجَةِ الأولَى، وَقَضَاء المَصَالحِ الشّخصِيةِ ونيلِ الشّهرَة مِن جِهةٍ أخرَى، كمَا تتمَيّزُ بِطُولها الّذي يسمَح للشّاعِر بأن يتطرّقَ إلى تفاصِيلٍ كثيرَةٍ تتعلّقُ بحياةِ الرّسُولِ (ﷺ) عامّة،

---

[1]– – يُنظَر.. نادر عبد الكريم حقّاني: **قراءةٌ نقديّةٌ في حِجازيّاتِ الشّريف الرّضي– ليلةُ السَّفْحِ نموذجاً**، تاريخ الاطّلاع: 12 مارس 2016م.

[2]– يُنظَر.. أحمد عبد الستّار الجواري: **الحبّ العذري– نشأته وتطوّره**، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، 2006م، ص35. وَ: عبد اللّطيف عمران: **شعر الشّريف الرّضي ومنطلقاته الفكريّة**، دار الينابيع، دمشق، سوريا، 2000م، ص185.

[3]– أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي: **ديوان الشّريف الرّضي**، تق/ إحسان عباس، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1994م، ج2، ص484.

وبمَا يُعانِيه الشّاعِر ويُكابدِه مِن شوقٍ إلى رَسولِ اللهِ (ﷺ)، وانكسارٍ لَا يجبرُه إلّا زيارَة البقاعِ المُقدّسةِ بأرضِ الحِجازِ.

ويَستهِل الشّعَراءُ حِجازِياتِهم عَادةً بإعلَانِ شَوقِهم إلَى زيارَة قبرِ الرّسول (ﷺ)، ثم يُمعِنون فِي وَصفِ مَا يُكابِدونَه مِن شَوقٍ، ويَتوسّلونَ إليهِ بأسَالِيبِ العُشّاقِ مِن المُتصوّفةِ وشُعراءِ الغزلِ، يَقولُ الشّرِيف الرّضي فِي هَذَا الصّدَد "وهوَ مَقرُوحُ الكبِد مَع الشّوقِ، لَا يقوَى علَى الصّبرِ والتجلُّدِ مِن شدّةِ الوُجْد، ويشرّعُ فِي مَذاهبِ الغَرامِ، ويُعيرُ دُموعَه لِسائر العُشّاق:

وما شَـــرِبَ العُشّـــاقُ إلّا بَقيّتِي ولا وَرَدُوا فِي الحُبِّ إلاّ عَلَى وَرِدِي"[1]

ثُمّ يُطيلُ الشّعرَاءُ حَديثَهم عنْ كمَالَات الرّسولِ (ﷺ) ومُعجِزاتِه، لتنتهِيَ حِجازِيَاتهُم بالتوسّلِ مرّة أخرَى، حَيثُ يذرِف الشّاعِر مَا استطَاعَ مِنَ الدّموعِ، ويتذلّلُ ويَخضَعُ مُستسلِما، يَقولُ الشّاعِر العَبدَرِي[2] –علَى سَبيلِ المِثال لَا الحَصر– مُتوسّلًا خاضِعًا فِي خاتمَةِ إحدَى حِجازياته أثناءَ رِحلتِه إلَى الحَجّ:

أنَا ضَـيفُ رَبي ثمّ ضَـيفُ نبيِّهِ أَمنٌ إلَى أمـــنٍ، فأوعد أوعد

أنَا فِي حِمَى مَن لَا يَخيسُ بذِمةٍ فَخْـرُ الوَرَى خيرُ البَرِيةِ أحْمَد

أنَا فِي حِمى من لا يُحيطُ بمَدحِهِ لَفظُ البَـليغِ وَلَا يُراع مُمَـجِّد[3]

---

[1]– نادر عبد الكريم حقّاني: **قراءةٌ نقديّةٌ في حِجازيّاتِ الشّريف الرّضي– ليلةُ السَّفْحِ نموذجاً**، تاريخ الاطّلاع: 12 مارس 2016م.

[2]–**العبدري:** هو أبو عبد الله العبدري المعروف بالحيحي و(الحاحي)، لُقب بالعبدري نسبة إلى بني عبد الدّار بن قصي من قريش، والحاحي نسبة إلى بلاد "حاحا" المغربيّة الّتي ولد بها ونشأ بها، الواقعة على بعد 60 كيلومترا من مدينة الصويرة في الشّاطئ الأطلنطي، وهو رحالة ومؤرخ وقاض وفقيه مغربي في القرن السّابع الهجري، توفي نحو 700هـ، كان شاعرا فحلا وأديبا نقادا، لم تذكر كتب التراجم معلومات كافية عن نشأته وحياته.

[3]– أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري، **رحلة العبدري**، تح: علي إبراهيم كردي، تق: شاكر الفحام، دار سعد الدّين للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 2005 م، ص: 439، 440.

وَخِتامًا يُمكن أنْ نقولَ أنّ الحِجازيَات النّبوِيّة هِي قَصَائد عِشقٍ للذّاتِ النّبوِيّة، يَغرَق فِيها الشّعرَاءُ فِي حُبّ الرّسولِ (ﷺ) ويَستشعِرونَ وُجودَه، فيتذكَرونَه فِي كُلّ شَيءٍ تقريبًا –مِن مَولِده إلَى غَايةِ وَفاتِه –عبرَ الفَيافِي والقِفار أثنَاء رِحلتهِم إلَى بِلاَد الحِجاز لأجلِ أداءِ فريضَةِ الحَجّ أو مَناسِك العُمرةِ فِي غالبِ الأحيَان، حَيثُ يلتقِي المَاضِي بالحَاضِر، ويُبعَثُ الأملُ والطُمأنِينةُ فِي مُستقبلٍ أفضَل.

5-6. المَلَاحِم الشّـعرِيَّة النّبـوِيّة:

وهيَ قصَائدٌ شِعريّةٌ مُطوّلةٌ كَثيرًا (أكْثرَ مِن أَلفِ بَيتٍ شِعريٍّ) مَليئَة بالأحدَاثِ غالباً، ذاتُ طابعٍ قصصيٍّ بطولِيّ بارِز فِي مَدحِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، وتارِيخِ الأمّةِ الإسلاميّةِ عَامّة، "ظهرت كَلَون شعرِيّ في الأدبِ العربيِّ فِي العصرِ الحديثِ فقط، وظهرت مِنهَا أعمَالٍ ومُحاولاتٍ مُميّزةٍ كانَ مِن أَهمِّها المَلاحِم الإسلَامِيّة الأربَعة المتمثِّلة فِي "دِيوانِ مجدِ الإسلَام" المَعرُوف بـ "**الإلياذة الإسلَامِيّة**" للشّاعِر "**أَحمَد مُحَرَّم**"[1] ولنَا عَودَة إليهِ فِي الفَصلِ الثالث مِنَ الدّرَاسَة، وَمُتفرِّقاتٌ مِنَ "الإلياذةِ الإسلاميةِ" للشّاعِر "**مُحمَّد مُحمّد السنبَاطِي**" الّذي اعتمَد في إلياذتِهِ علَى الشّعرِ العمودِي مَضفُورًا بالنّثرِ؛ الّذي ارتأى فِيهِ أنّه ضَرورة لَا يمكنُ الاستغنَاءُ عَنها، ومَلحمَة "عيد الغدِير" أوّلّ مَلحمَة عربيّةٍ للشّاعرِ "بُولس سلَامَة" الّذي أَنصَفَ الإسلامَ بكِتابَاته وأشعَارِهِ رغمَ أنّه مَسيحيّ الدّيانَة، ومَلحمَة: "إشراقات السّيرَة الزّكيّة" للشّاعِر "عزيز

[1] – **أحمد محرم**: شاعر مصري من أصول شركسيّة اسمه الكامل أحمد محرّم بن حسن بن عبد الله الشّركسي، من شعراء القوميّة والإسلام، كان من دعاة الجامعة الإسلاميّة وعودة الخلافة العثمانيّة الّتي دعا إليها محمّد عبده وجمال الدّين الأفغاني في عصره، ولد في قرية إبيا الحمراء التّابعة لمحافظة البحيرة بمصر عام 1877م. قرأ السّيرة النّبويّة والتّاريخ، وحفظ الحديث الشّريف والشّعر، وطالع النّصوص الأدبيّة السّائدة، عاصر ثورة 1919 م، وعاصر دنشواي ومصطفى كامل وسعد زغلول وتأثر بهم في شعره الوطني، كان يعقد بقهوة المسيري بدمنهور ندوته الشّعريّة كل ليلة؛ حيث كان يرتادها مفكرو وشعراء البحيرة والإسكندريّة لأنّه كان شاعرا حرّا ملتزما، ويعدّ أحمد محرم من شعراء مدرسة البعث والإحياء في الشّعر العربيّ الحديث، التي كان من دعاتها محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم... الّذين اجتهدوا في تجديد الصّياغة الشّعرية بعد تدهورها في العصر العثماني.

أبَاظة" الّتي تتنَاول السّيرَة النّبوِيّة طيلةَ المُدّة المُنقضِية بينَ النّبِي عيسَى بنُ مَريمَ عليهمَا السّلامُ ونبيّنَا مُحمّد (ﷺ) إلى غَاية حَجّة الوَدَاع.

ومِن أشهرِ المَلاحِم الشّعرِيّة النّبوِيّة أيضًا –علَى سبيلِ المِثالِ لا الحَصرِ– مَلحمَة الشّاعِر العِراقي "**الشّيخ كاظِم الأزري**"، المَعروفة بالأزرِيّة فِي مَدحِ الرّسولِ الكَرِيم، وذِكر فَضائِله ومُعجزاتِه، ويبلُغ عَددُ أبيَاتِها ألفَ بيتٍ شِعريّ، بَقِي مِنهَا (580) بيتًا فقَط، يقولُ الأزري فِي مَطلَعِها:

لِمَنِ الشّمْــسُ فِي قِبَــابِ قبَــاهَا شَفَّ جِسـمُ الدُّجَى بِرُوحِ ضِياهَا [1]

وتُعدّ الأزريّة فِي نظرِ أهلِ الشِّيعةِ خاصّة "آيةً فِي الفنِّ الملحمِيِّ، ومفخرة مِن مفاخِرِ الشّعرِ العربِيِّ، بل مُعجِزة مِن مُعجِزاتِهِ؛ لِما اجتمَع فِيها مِن جَوانِبِ المَتانةِ والجَزالَة، وَرِقّة المَعانِي، وَدِقّة التّعبيرِ، وتركِيزِ الفِكرَة، وَقُوةِ الحُجّةِ، وَسَلاسَة البَيانِ، وَسَلَامَة اللّفظِ والاستِدلالِ المَتينِ عَلَى العَقيدَة الحَقّةِ والمناحِي الأخلَاقيّةِ ومدحِ الرّسولِ الأكرَم (ﷺ) وآله الطّاهرِينَ، والتّركيزِ– فِي نظرِهم– علَى الحَقّ المُغتصَبِ لأميرِ المُؤمنينَ عَليّ (عليه السّلام) فِي الوِلايةِ المَنصُوصِ عليهَا مِن الله ورَسولِهِ، إلَى جَانبِ ذِكر الكثيرِ منَ الحَقائِق والقَصَص فِي التّاريخ الإسلَامِيّ وبِخاصَّةٍ فِي صَدرِ الاسلَامِ"[2] ومَا بَعدَ وفاةِ الرّسُولِ (ﷺ).

ومنَ المَلَاحِمِ الشّعرِيّةِ الّتي نالتْ شُهرَة واسِعةً أيضَا فِي هذَا الشَأن؛ المَلحمَة المَعرُوفَة باسمِ "**الإلياذَة الإسلَامِيّة**" للشّاعِر المَصرِي الكَبيرِ "**أحمَد مُحَرَّم**" الّتي أشَرنَا إليهَا سَابقًا؛ والّتي تَطرّقتْ إلَى حَياةِ الرّسُولِ (ﷺ) مِن وِلَادَتِه إلَى وَفَاتِه بِكلِّ

[1]– عبد الجليل ت: **المديح النّبويّ في الشّعر العربي المعاصر**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.nidaulhind.com، تاريخ النّشر :14 ديسمبر 2016م، تاريخ الاطّلاع: 31 ديسمبر 2016م.

[2]– يُنظَر.. محمّد طاهر الصّفار: **الأزريّة ملحمة تسرج التّأريخ**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://m.annabaa.org/arabic/historic/12110، تاريخ النّشر: دت، تاريخ الاطّلاع: 05 جانفي 2017م.

تَفاصِيلِها، وَصوّرَت بُطولَاتِه مُسجِّلةً مُختلفَ السّرَايَا وَالغَزوَات بِدقَائِقها وَجُزئِياتِها، وانتَهَت بِانتقالِ الرّسُولِ (ﷺ) إلَى الرّفيقِ الأعلَى، وتَختلِف عَن غَيرِها فِي كَونِها مَنظُومَة عَلَى بَحرٍ شِعريٍّ واحدٍ هوَ البحرُ الخَفيفُ، ومُرتبطَةٌ بِالحَقائِق التّارِيخِيّةِ بَعيدًا عنِ الخَيالِ إلَى حَدٍّ كَبيرٍ، وَيقولُ أحمَد مُحرَّم فِي مَطلَعِها:

املَأ الأرْضَ يَا مُحَـمّدُ نُـورًا وَاغمُرِ النّاسَ حِكمَةً والدُّهُورَا

حَجَبَتكَ الغُيوبُ سِرّا تَــجَلَى يَكشِفُ الحُجبَ كلَّها والسُتُورَا

عَبَّ سَيلُ الفَسَادِ فِي كُلِّ وَادٍ فَتَدَفَّــقَ عَلَيــهِ حَتَّى يَغُورَا [1]

وَمِن المَلاحِم الشِّعرِيّةِ الإسلَاميّةِ المُعاصرَة الّتي تستحِق الذِّكرَ فِي هَذا المَقامِ، والّتي لَفتت انتبَاه الأدبَاءِ والنّقادِ: "الأعمَالُ الشّعرِيّة المَلحمِيّةُ الكَامِلةُ للشّاعِر السّورِيّ "أحمَد الخَانِي"، بِعنوَان "المَلحمَة الإسلَاميّة الكُبرَى"، وذَلِك مِن نشرِ مكتبَةِ التّوبة بالرّياض، بالمَملكة العَربيّة السَعُوديّة سَنَة (1439هـ/2017م)، وتقعُ فِي (1456) صَفحَة (ما يُقارِب 33000 بيت شِعري)، ضَمّت فِي طياتِها قصَائدًا مَلحميَّةً طويلةً – مِن التّارِيخِ الإسلَامِي القَديمِ والحديثِ– حَولَ: غزوَة بَدْر، غَزوَة أُحُد، غَزوَة الخَندَق، غَزوَة مُؤتَة، مَعرَكة اليَرمُوك، مَعركَة القادِسِيّة، الحُروبُ الصَليبيّة، العُثمَانيونَ وفتحُ القُسطَنطِينيّة، الحَربُ العَالمِيّة الأولَى...[2] وغيرُها مِن المَواضيعِ الّتي تتضمّنُ مَدحًا لرسُولِ الله (ﷺ) بشكلٍ مُباشرٍ أَو غَيرِ مُباشِر.

وقَد أَخذَت القَصَائدُ المَلحَميّة: بَدرْ وأُحُد والخَنْدَق ومُؤتة واليَرمُوك حِصّة الأسَد مِن بينِ كُلّ هذِه القصَائد؛ فقَد أحصَى أحدُ الدّارِسينَ "عدَد الأبياتِ تحتَ كُلّ عُنوان، فجَاء كمَا يلِي: غزوَةُ بَدْرٍ: (4830) بيتاً، غَزوَةُ أُحُدٍ: (4508) بيتًا، غزوةُ الخَنْدَق:

[1]– أحمد محرم: **ديوان مجد الإسلام**، مؤسّسة هنداوي للثّقافة والتّعليم، القاهرة، مصر، 2012م، ص13.

[2]– يُنظَر.. أحمد الخاني: **الملحمة الإسلاميّة الكبرى**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.odabasham.net، تاريخ النّشر: 10 ماي 2018م، تاريخ الاطّلاع: 22 ماي 2018م.

(4945) بَيتاً، غزوَةُ مُؤْتَة: (2047) بيتاً، مَعرَكَة اليَرمُوك: (2323) بيتاً، مَعرَكةُ القادسيّة: (1403) أبيات، الحُروبُ الصَليبيّة: (4439) بيتاً، العُثمَانيون وفَتح القُسطَنطِينيّة: (1242) بيتاً، الحَرب العَالميّة الأولَى: (943) بيتاً، الحَرب العَالميّة الثانِية: (1012) بيتاً... إلخ"[1] وبِهذا تكُونُ "المَلحمة الإسلَاميّة الكُبرى" لأحمَد الخانِي عمَلًا شعريًا رِيَاديًا كَبيرًا يستَحِقّ الدّراسَة والتّمحيصَ مِن طرَفِ أهلِ الاختِصَاصِ.

6- المَرجِعِيّة التَنَاصِيّة لشِعر المَدِيحِ النّبوِي ومَصَادره:

بعدَ كُلّ مَا تَطرَّقنا إليهِ حَولَ مَوضُوعِ المَدَائِح النّبوِيّة، قَدْ يَتَسَاءلُ القارِئ عَن المَرجِعِيّة التَنَاصِيّةِ لِهَذا الغَرَض الشِّعْرِي بِصِفَةٍ عَامَّةٍ مَهمَا كانَ صَاحبُه، ومَهمَا كَانَت تَسمِيَته، أو زَمَانَه، أَو مَكَانه، وقد يتساءل عَن مَصدَر المَعلُومَات الدّينيَّةِ وَالتَارِيخِيّةِ الوَارِدَة فِيهِ، وبِتعبِيرٍ آخرَ: مَا هِي النُّصُوص المُباشِرة وَغَير المُباشِرة الّتي تتقَاطَع وتَتَنَاص مَعَها أشعَارُ المَدِيحِ النّبَوِي؟ وَمِن أينَ لِشُعراء المَدِيح النّبَوِي –وَخَاصَّة المُتأخِرِينَ مِنهم– بِكلِّ تلكَ المَعلُومَات الغزيرة المُتعَلّقة بالسّيرَة النّبوِيّة العَطِرة والتَاريخِ الإسلَامِي عَامّةً؟

يُجمِع الدّارِسُون أنَّ شِعرَ المَديحِ النّبوِي قدِيمًا وحدِيثًا يَقتبِس ويتقاطَع "ويَستوحِي مَادتَهُ الإبداعيةَ، ورؤيتهُ الإسلاميّةَ مِن القُرآن الكَريم أولًا، فالسُنّةِ النّبوِيّة الشّريفةِ ثانيًا، كمَا أنّ هنَاك مَصدرًا مُهِمًا فِي نَسجِ قَصَائِدِه؛ يَتمَثّل فِي كُتُب التّفسِير الّتي فَصّلت حَيَاة الرّسُول (ﷺ) تفصِيلًا كبيرًا، كمَا يَظهَر ذلِك جَليًا فِي تفسِيرِ ابنِ كثيرٍ علَى سَبيلِ التمثِيلِ لا الحَصر، والمُصنّفاتِ الّتي كُتبت حَولَ سِيرةِ الرّسولِ (ﷺ) سَواءً أكَانتْ قديمَةً أم حديثةً، مِثل: "**السّيرة النّبوِيّة**" لابنِ هِشامٍ، وسِيرة ابنِ اسحاق، و"**الرّحيقُ المَختُوم**" لصَفي الرّحمَن، و"**السّيرةِ النّبوِيّة**" لأبِي الحَسَن النّدوي، و"**السّيرة النّبوِيّة**" لابنِ حبّان، و"**الوَفَاء بِأحوَالِ المُصطَفى**" لأبِي الفرَج عبدُ الرّحمنِ الجُوزِي، و"**الشفا**

[1]– يُنظَر.. أحمد الخاني: **الملحمة الإسلاميّة الكبرى**، تاريخ الاطّلاع: 10 جوان 2018م.

بِتعرِيفِ حُقوقِ المُصطَفى" للقاضِي عَيّاض، و"**فِقه السّيرَة**" لسَعيد البُوطي، و"**فِقه السّيرة**" لمُحمّد الغَزالِي، و"**السّيرة النّبوِيّة**" لمحمّد متوَلِي الشّعرَاوِي، و"**المَنهَج الحَرَكِي للسّيرَة النّبوِيّة**" لمُنير محمّد الغَضبَان، و"**السّيرَة النّبوِيّة: دُروسٌ وعِبرٌ**" للدّكتور مُصطَفَى السّبَاعِي، و"**نُورُ اليَقين**" للخَضْري بك، و"**فِي السّيرة النّبوِيّة: قراءة لجَوانِب الحَذَر والحِمَايَة**" للدّكتُور إبراهِيم عَلِي مُحمّد أحمَد، و"**مُلخَص السّيرة النّبوِيّة**" لمُحمّد هارُون..."[1]

ولَعَلّ المُتأمّل فِي هذِه المَرجِعيات التَّناصِيّة والمَصَادر الدّينيّة التاريخيّة الّتي ينهَل مِنها شُعراء المَديح النّبَوي مَادّتَهم الإبداعيّة، يُلاحِظ أنّ أغلبهَا جَاء بَعد وَفاةِ الرّسولِ (ﷺ) بزَمنٍ، وَأكثرها مُستحدَث ومُتأخِر جَاء بَعد زَمنٍ طويلٍ مِن وَفاتِه (ﷺ) بَعد أنْ نَضُجَت قَصِيدة المَديحِ النّبوِي وأصبَحتْ أكثرَ اكتمَالًا، وَهذَا يَعنِي أنّهُ يَجبُ علَينا أنْ نَستَثنِي مِن هذِه المَرجِعيَات التناصيّة أشعَارَ المديحِ النّبوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلامِ حينمَا كانَ رَسُول اللهِ (ﷺ) عَلَى قيدِ الحَياةِ وَبعدَ وَفاتِهِ بزمنٍ قصِيرٍ، حَيثُ تكونُ المَرجِعيّةُ التناصِيّةُ حِينَها هِي أخذُ الشّعراءِ عن بَعضِهم البَعْض، أو لَا تَكُون أيّة مرجعيّة حِينَما يَتعلّقُ الأمرُ بالشّعراءِ المُقرّبِينَ مِن رَسُولِ اللهِ (ﷺ) الّذينَ كَانُوا يُرافِقونَه، وَبِمثَابةِ شُهُود عَيَانٍ علَى أخلَاقِه وَصِفاته وَمَا وَقَع له مِن أحدَاثٍ وغَزَوَاتٍ ومُعجِزاتٍ أمَامَ أَعيُنِهم.

[1]– ينظر.. جميل حمداوي: **شعر المديح النّبوي في الأدب العربي**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.diwanalarab.com، تاريخ النشر:08 جويلية 2007، تاريخ الاطلاع: 10 جوان 2018م.

7- شِعـر المَـدِيحِ النّبَـوِي بَـينَ القَبُولِ والرَّفـضِ:

عَرفَت أشعَارُ المَدائِح النّبوِيّة عَبر مُختلَف العُصورِ والأزمِنَة رُدودَ فِعلٍ مُختلِفةٍ ومُتَرَاوِحَةٍ بَينَ القَبُولِ والرّفضِ مِنَ الفُقهَاء والأُدبَاء والشُعرَاء والنّقادِ وَغَيرهِم، وَذلِكَ حِينَما يَتعَلّقُ الأمرُ بِطبِيعَةِ المَادّة الدّينِيّة المُتضَمّنَة فِي مُختَلَف الأشعَارِ وَمَدَى مُطَابَقتِها لحَقِيقَةِ وَوَاقِع حياة الرّسول (ﷺ) وصِفاتِه وأخلَاقِه، وَقَد رَصَدنَا -مِن خِلَالِ مَا اطّلَعنَا عَلَيهِ مِن دِرَاسَاتٍ وَبُحُوثٍ- ثَلاثَةَ مَواقِف مُتبَاينَة نُوجِزُها كمَا يَلِي:

أ- المَـدِيح النّبـوِي المَقـبول:

وَهُو ذَلِك المَدِيح الّذي اتُفِق عَلى قَبولِه، ولمْ يَنفرِد أحدٌ فيهِ بِرَدِّه ونِزاعِه، لِأنّهُ جَليُّ الفهمِ واضحُ الألفاظِ والقَصدِ، مَأخوذٌ من صَحِيحِ مَا وَرَد مِن أخبَارٍ عَن حَيَاة الرّسُولِ (ﷺ) وسِيرَته النّبوِيّة العَطِرَة، وَهُو كَثيرٌ ومُتدَاوَلٌ، وَلنُلَاحِظ مَثلًا البَيتَ الآتِي لِعَبدِ اللهِ بن رَوَاحَة فِي مَدحِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ):

تَحمِلُهُ النّاقَةُ الأَدمَاءُ[1] مُعتَجِرًا[2] بِالبُردِ كَالبَدرِ جَلَّى لَيـلَةَ الظُّلَمِ [3]

نُلَاحِظ أنّ هَذَا البَيتَ وَاضِحُ القَصدِ واللّفظِ (عَدَا كَلِمَتَي "**الأدمَاء**" و "**مُعتَجِرا**" اللّتَان تَحتَاجَانِ إلَى قَامُوسٍ لِأَن استِعمَالَهُما قَلِيلٌ فِي عَصرِنا الحَالِي، وَلكِن بالنِسبَة إلَى عَصرِ عَبدِ اللهِ بن رَوَاحَة وَبِيئَتِهِ وُمُعَاصِرِيهِ فَالأَكِيدُ والأرجَحُ أن مَعنَاهُما وَاضِحٌ وَسَهلٌ)، وَأَنَّهُ جَلِيُ الفَهمِ فِعلًا، وَمَعنَاهُ بَسِيطٌ، وَالمَدحُ فِيهِ بَعيدٌ عَنِ المُغَالَاةِ وَالمُبالغَة فِي مَدحِ رَسولِ اللهِ (ﷺ)؛ وَفيهِ مُجرّدُ وَصفٍ للنّاقَةِ، وَتشبيهٍ للرّسولِ كَالبَدرِ الّذي يَكشِفُ اللّيلَة الظَلمَاءِ.

---

[1]- **الأدماء:** من الأدمة في الإبل: وهي الناقة التي في لونها أدمة وهي سواد مخلوط بغبرة. والجسرة العظيمة من الإبل.

[2]- **المعتجر:** المُلتَفُ، مِن "اعتجر الرجل" إذا لفّ عمامته على رأسه.

[3]- وليد قصّاب: **ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره**، دار العلوم للطباعة والنّشر، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1981م، ص164.

ب- المَـدِيح النّبـوِي المَـرفُوض:

وَهُوَ ذلِكَ المَديحُ الّذي اتُفِقَ عَلَى رَدِّهِ وإنكَارِه والنّهي عَنه، لِأنَّهُ يَخرُجُ بِرَسولِ اللهِ (ﷺ) مِن مَرتَبَةِ الإنسَانيّةِ وَالعُبُودِيّة للهِ عَزَّ وَجَلَّ إلَى رُتبَة الأُلوهِيّةِ، ويَنسِب إليهِ حُدوثَ الأشيَاءِ ومُسبِبَاتِها، وغيرِها مِن مَظَاهرِ الشّركِ، وكُلّ هذا كُفرٌ واضِحٌ مُوجِبٌ للمَنعِ، وَهذَا النّوعُ مِن المَدِيحِ مَردُودٌ تَمَامًا؛ ظهَرَ بشَكلٍ قَليل بَعدَ استفحَالِ مَظاهِر التّصوّفِ في عَهدِ الإمَام البُوصَيرِي (العَصرِ العَباسِي) والعُصُورِ الّتي تلِيهِ إلَى بِدَايَاتِ العَهدِ الحَدِيثِ عِندَ بَعضِ الشّعرَاء، وَمِن أمثِلَتِهِ قَولُ الشّاعِر "عَبدُ الرّحِيم البُرعِي اليَمَانِي" مثلا (ت803هـ/1400م):

يَا سَيّدِي يَا رَسُـولَ الله يَا أَمَـلِي يَا مَـوئِلِـي يَـوَمَ تَلْـقَانِي

هَبْ لِي بِجَـاهِكَ مَا قَـدَّمْتُ مِنْ زَلَلٍ جُودًا وَرَجِّحْ بِفَضلٍ مِنْكَ مِيزَانِي

وَاسْمَعْ دُعَائِي وَاكْشِفْ مَا يُسَاوِرُنِي مِنَ الخُطُوبِ وَنفِّسْ كُلَّ أَحْزَانِي[1]

والمُتأمِّل قَليلًا فِي هذِهِ الأبيَات يُدرِكُ فِعلًا حَجمَ المُغالَاة الّتي وَقَعَ فِيهَا هَذَا الشَّاعِر إلَى دَرجَة مناداته لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ) بلفظ "**سيّدي**"، والتوسّلِ إليه، وَدُعَائِهِ أن يُنفِّسَ كُلّ أحزَانَهُ، وَأن يسمَعَ دُعَاءَه، وَهذَا انحِرَافٌ دِينِيٌّ وَاضِحٌ يَسمُو بِالرسُولِ (ﷺ) إلَى رُتبَة الألوهِيَّةِ وهو أمر غَير مَقبول تَماما في العَقيدة الإسلَامِيّة.

جـ- المَـدِيح النّبـوِي المُـختَلَف فِـيه:

وَهُو ذلِكَ المَدِيحُ الّذي اختُلِف فيهِ بينَ مَوقِفَي القَبُولِ والرَّفضِ، وَبَينَ الأَخذِ بِهِ أو رَدّهِ، وَهَذَا بِسَبَبِ غُلُو بَعضِ المَادِحِينَ وَمُبَالَغَتِهِم في وَصفِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، وَإيرَادِهِم لِضَعِيفِ السّنَدِ مِن الأَخبَارِ والآثارِ فِي أشعَارِهِم، أَو فَهمِهِم لِبعضِ النّصُوصِ أوِ الأحدَاثِ عَلَى وَجهٍ غيرِ صَحِيحٍ، وهَذا النَّوع مِن المدائِح واردٌ وكثيرٌ أحيَانًا فِي

[1]- سليمان بن عبد العزيز الفريجي: **مظاهر الغلو في المديح النّبوي**، مجلة البيان، الرياض، السعودية، ع 139، جويلية 1999م، ص58.

مُختلَف العُصورِ إلَى يَومِنا هَذا عَدا العَصرِ الإسلَامِي الّذي رَفَضَ فِيهِ الرّسولُ (ﷺ) كُلّ مَظاهِر التّعصُب والمُغالَاة، وَمِن أَمثِلَتهِ قولُ البُوصَيرِي مَثلًا:

فَانْسِبْ إلَى ذَاتِهِ مَا شِئتَ مِنْ شَرَفٍ وَانْسِبْ إلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

فَإنَّ فَضْـــلَ رَسُـــولِ اللهِ لَيسَ لَهُ حَدٌّ فَيَـــعْرُبُ عَنْـــهُ نَـاطِـقٌ بِفَم[1]

فَفِي البَيتِ الأولِ – فِي نَظَرِنَا– نُلَاحِظُ أنَّ الشَاعرَ قد وُفِّق فِي مَدحِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) لأنّهُ كَانَ شَريفًا وَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم فِعلًا؛ فقَد قَالَ الله تَعالَى عنَهُ –كمَا سَبَقَ وأنْ أشَرنَا–: "**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**"[2]، أمّا فِي البَيتِ الثّانِي فالبُوصَيرِي مِن جِهةٍ يُمكنُ أن نَرفُضَ بيتَهُ لأنَّهُ غَالَى كَثيرًا في مَدحِ الرّسُولِ (ﷺ) لأنّ الفضلَ الّذي لَيسَ لَهُ حَدٌّ علَينَا هُو لله تَعَالى وَحدَه، وَليسَ للرّسولِ (ﷺ)، ومِن جِهةٍ ثانيةٍ يُمكنُ أنْ نقبلَ بَيتَهُ المَدحِي هَذَا بِاعتِبارِ أنَّ تعبيرَه كِنايةٌ عَن كَثرةِ أفضَال رَسولِ اللهِ (ﷺ) علَى العَرَبِ والبشرِ عامّةً، وَهُنا تُصبِح مَسأَلةُ قَبول هَذا البَيتِ المَدحِي أو رَفضه مَسألةً نِسبيّةً تتراوحُ بَينَ الأخذِ والرّدِ، وَبَينَ القبولِ والرّفضِ على حَسَب دَرجَة المبَالَغة فِي وَصفِ رَسُولِ الله (ﷺ) والمُغالَاة فِيه.

[1]– محمّد يحيى الحلو: **البردة شرحا وإعرابا**، دار البيروتي، اسطنبول، تركيا، ط3، 2005م، ص226.

[2]– سورة القلم، الآية: 04.

8- المَـدِيح الـنّبَـوِي النّـسـوِي بين الـوُجُـود والـعَـدَم:

قَد يتسَاءَل القَارِئ فِي هَذا العُنوان عَن مدَى مُسَاهَمة المَرأَة فِي فَنِّ المَدَائِح النّبوِيّة عامّة، وَهَل مَدَحَتِ الرّسُولَ (ﷺ) أم لَا؟ وَالإجَابَة هُنا هِيَ أنَّ المَدَائِحَ النّبوِيّة النّسوِيَّةَ مَوجُودَة مُنذُ القِدَم، ولَم تَقتَصِر -عَبرَ مُختلَف العُصُور- عَلَى فِئَة الرِّجَال فَقَط، بَل النّسَاءُ أيضًا أدلَينَ بِدَلوِهنَّ فِي هَذا المَوضُوع، لأنّ المَرأة مِثلُها مِثل الرّجلِ تُؤثرُ وتتأثرُ بِما يَدورُ حَولَهَا فِي المُجتمَع مِن جِهَة، وَلأنَّ الرّسُول (ﷺ) من جِهَة ثانِيةٍ مَبعُوثٌ للعَالمينَ جَميعًا دُون استثناءٍ، وَقُدوةٌ للّذينَ آمنُوا بِه نِساء كَانُوا أَم رِجَالًا، لَا فَرقَ بَينَهم إلّا بالتّقوَى، وَلأنَّ فَضلَهُ (ﷺ) كَانَ عَلَى الجَميعِ دُونَ استثناءٍ كَانَ مَحَلَّ فَخرٍ وإعجَابٍ وثَنَاءٍ مِن طَرفِ الجَميعِ أيضًا، فَالأكِيدُ إذًا أنّ المَرأة بدَورهَا أيضًا مَدحَتهُ وأثنَت علَيهِ مِثلُها مِثلَ الرّجُل، إلّا أنّ ذِكرَ مَدحِها وَتوثِيقِهِ واهتمامِ الدّارسينَ بِه كَانَ قَليلاً جِدًّا -وغيرُ مَوجُود فِي كَثِير مِن المُؤلفَات والمُصنَّفات-، وَلم يَكُن بِالدّرَجَة الّتي نَالَها مَدحُ الرّجالِ لرسُولِ اللهِ (ﷺ)، وخَاصّةً فِي بِداياتِ نشأةِ هذَا الغَرضِ الشّعرِي باستثنَاءِ مَا قَلَّ مِمَّا رَثتهُ بِه -هَذَا إذَا اعتبَرنَا الرّثَاء هُنا مَدحًا- نِساءُ بيتِهِ المُقرّبات بَعد وَفَاتِه (ﷺ)، مثل رِثاءِ "فاطمَة الزَّهرَاء" رَضِي الله عَنهَا، وَرِثاءُ صَفيّة بِنتُ عَبدِ المُطَلِب (رضِيَ اللهُ عنهَا) الّتي تَقولُ فِي إحدَى قَصَائِدِها:

أَلَا يَا رَسولَ اللهِ كُنتَ رَجَـاءنَا وَكُنتَ بِنَا بَرًّا وَلَـم تَكُ جَـافِيا

وَكَانَ بِنا بَرًّا رَحِيـمًا نَبِـيُّـنَا لِيَبكِ عَلَيكَ اليَومَ مَن كَانَ بَاكِيا

لَعَمْرِي مَا أَبكِي النّبِيَّ لِمَوتِـهِ وَلَكِن لِهَـرجٍ كَانَ بَـعدَك آتِيا

كَانَ عَلَى قَلبِي لِفَـقدِ مُحَـمّدٍ وَمِن حُبِّه مِن بَعدِ ذَاكَ المُكَاوِيا

أَ فَـاطِم صَلَى اللهُ رَبّ مُحَـمّدٍ عَلَى جدثٍ أَمسَى بِيَثـرِبَ ثَاوِيا

أَرَى حُسـنًا أيتَمَـتهُ وَتَـرَكتهُ يَبكِي وَيدعُو جَدَه اليَـومَ نَائِيا

فدَى لِرسُولِ اللهِ أُمِّـي وَخَالّتي وَعَمِّي وَنَفسِي قصـرَه وَعِيَالِيا

صَبِرتَ وبَلَّغتَ الرّسَالَة صَادِقاً ومُت صَلِيبَ الدّينِ أبلَجَ صَافِيا [1]

وَمِنَ الأسمَاءِ القَلِيلَة –مِن مُختَلَفِ العُصورِ– الّتي صَادَفتنا أثنَاءَ اطلَاعنَا عَلَى إحدَى المُصنَّفات الكَبِيرَة المُتعلّقةِ بالمَدَائح النّبوِيّة، وَهِي "مَوسُوعَة المَدَائِح النّبوِيّة" للحَاج عبد القَادِر الشَيخ عَلِي أبُو المَكَارِم –عَلَى سَبيلِ المِثالِ لَا الحَصرِ– المُتكَوّنَةُ مِن عِشرِينَ مُجَلَدًا ضَخمًا (الصَادرة بلُبنَان سَنَة 2004م)، نَجدُ أسمَاء تُعدّ عَلَى أَطرَاف الأصَابِعِ ذَكَرَها المُصَنِّفُ فِي الأجزَاء التَالِيَة بالتَرتِيبِ:[2]

1- الجزء الأول (01): وذَكرَ فِيهِ المُصَنِّف الأسمَاءَ الآتيةَ: صَابرَة مَحمُود العزي (ص220)، عَائشة الّتيمُورِية (ص224).

2- الجزء الرابع(04): وذَكرَ فِيهِ المُصَنِّف الأسمَاءَ الآتيةَ: صَابرَة مَحمُود العزي (ص37، 397)، السّيدَة صَفِية بِنتُ عَبد المُطّلِب (ص401).

3- الجزء الثالث عشر(13): وذَكرَ فِيهِ المُصَنِّف الأسمَاءَ الآتيةَ: آمِنَة بِنتُ وَهب (ص165)، زَينَب عزب (ص323).

4- الجزء السّابع عشر(17): وذَكرَ فِيهِ المُصَنِّف الأسمَاءَ الآتيةَ: صَابرَة مَحمُود العزي (ص87، 287)، نَجَاة شَاور رَبِيع (ص236)،

5- الجزء الثامن عشر(18): وذَكرَ فِيهِ المُصَنِّف الأسمَاءَ الآتيةَ: رُوحِيّة القلِينِي (ص59).

6- الجزء التّاسع عشر(19): وذَكرَ فِيهِ المُصَنِّف الأسمَاءَ الآتيةَ: إيمَان كُردِي (ص24)، صَابرَة مَحمُود العُزَي (ص38)، حَليمَة السَّعدِية (ص239)، خَديجَة بنتُ خويلد (ص240)، بَاكزة خَاكِي (ص437).

---

[1]– موقع إسلام ويب: **رثاء صفية بنت عبد المطلب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.islamweb.net/ar/fatwa، تاريخ النشر: 14 جانفي 2008م، تاريخ الاطلاع: 15 جوان 2018م.

[2]– يمكن تحميل الموسوعة كاملة من الأنترنت للتحقق من الأسماء الواردة في الموسوعة .

إذًا، هَذِهِ الأسمَاء القلِيلَة دَلِيلٌ قَاطِع عَلَى قِلّة المَدَائِحِ النّبوِيّة النّسوِيَة المُوثَّقَة، لأنّ مِثلَ هَذِه المُدوَنَة الضَّخمَة (عِشرُون مُجلَدا لَا يَقلُ كُلّ وَاحِد مِنهَا عَن 300 صفحة) كَانَ مِنَ المَفرُوضِ أَن يُذكَرَ فِيهَا عَلَى الأقلِّ مَائة (100) اسمٍ، بِمُعَدَلِ خَمسَةِ شَاعِرات لِكلِّ مُجَلَّد، ولَكنَّ هَذَا لَم يَتحَقّق إطلَاقا، وَمَا عَسَانا نَقول فِي هَذِه الحَالَة إلَّا أنَّ هَذِه الأسمَاء القلِيلَة يَكفِي أنّهَا سَتَبقَى تَدلُّ عَلَى أَنَّ المَدَائحَ النّبوِيّة النّسوِيّة مَوجُودَة مُنذُ القِدَم إلَى يَومِنَا هَذَا.

وَلكِن مَا يَجدُر الإشَارَة إليهِ حقًا هوَ أَنَّ المُصَنِّف (الحَاج عبد القَادِر الشَيخ عَلِي أبُو المَكَارِم) أَشَارَ مُتأسِفًا فِي مُقدّمَة الجُزء العِشرِين أنّهُ لَم يَتمَكَن مِن التَرجَمَة إلى الكَثيرِ مِن الشّعرَاءِ لِعدَمِ تَمَكُنهِ مِن الحُصولِ عَلَى مَدائِحِهم، يَقُول: "وَمَن دَوَاعِي الأسَف الشَدِيد، أنّ بَعضَ الشُعرَاء لَم تتمْ تَرجَمَتُهُم فِي المَوسُوعَة، إمّا لِضَيَاع تَرجَمَاتِهم خِلَال التَارِيخِ، أَو لِعَدَم حُصُولِ المُؤلِّفِ عَليهَا خلَالَ فَترة تَألِيف المَوسُوعَة، أَو لأيّ أسبَابٍ أخرَى، فَلَعلَّ المُستقبَل كَفيلٌ بِكشفِ مَعلُومَاتٍ عَنهُم، وَمُلاَحظَة أخرَى: هُناكَ كَثيرٌ مِن الشّعرَاء المُعَاصِرينَ للمُؤلِّف ـ أحياءً وأمواتًا ـ لَم يَتمِّ الحُصولُ علَى جَميعِ مَدائحِهم النّبوِيّة، إمّا لأنّها لَم تكُن مَنشُورَة، أو لِأنَّها قَد نُظِمَت بَعدَ تألِيفِ المَوسُوعة."[1] وَهَذِه الأسبَاب ـ في نَظرِنا ـ هِي مِن أهَمّ الأسبَابِ الّتي أعَاقَت تَوثِيقَ المَدَائِح النّبوِيّة لِكثِيرٍ مِن الشّاعِرَاتِ النّسوَة –وحَتَى الرّجَال– وَخَاصَّة قَبلَ ظُهُورِ الأنتَرنَت وَوَسَائلِ الطَبع والتَوَاصُل الحَدِيثَة والمُعَاصِرَة.

وفِي هَذا السّياق أيضًا يَجدرُ بنَا الإشَارة إلَى كِتابٍ صَدَر قبلَ سنوَات قَليلَة بِعُنوان: "من المُعارَضَات المُعَاصِرَة لقصِيدَة البُردَة للبُوصَيري" لصَاحِبه "عبد السّلَام البَسيُونِي، تَضَمّنَ فَصلًا مُخصَّصًا للمَدِيح النّبوِي النّسوِي، تَحتَ عُنوان "مُعَارَضَاتٌ

[1]– الحاج عبد القادر الشيخ علي أبو المكارم: **موسوعة المدائح النّبويّة**، ج20، ص08.

نِسائيةٌ" بَدَأَه بِتوطِئَة حَولَ الفَصلِ، ثمّ أورَدَ فِيه ثَلَاثَ مُعارَضَاتٍ نِسَائيةٍ حَسنَةِ النّظمِ والمَعَانِي هي:

أ- معارضة الشّاعرة العراقية "**باكزة أمين خاكي**" (1932م- ت: 2003م) بعنوان: "من وحي البردة"، تقول في مطلعها:

قَد أَسفَــرَ الكَــونُ عَن نُورٍ لهُ ألق جَـاءَ الوُجُودُ إلَى العُلَيَا مِنَ العَـدَم
مُحمّـــــدٌ للأَلَى هَـــديٌ وَمَرحَمَةٌ لَولَاهُ مَا جَـــاءَ مِن لَـوحٍ وَمِن قَلَم[1]

ب- معارضة الشّاعرة السّورية "**مريم محمّد يمق**" بعنوان: "يا قلب عش للهوى"، تقول في مطلعها:

حَدَّثـــتُ قَلـــبِي بِرِفــقٍ كَي أُعلِّمهُ فَنَّ التَعَشُّقِ ..دُونَ الحُزنِ والأَلَمِ
لَكِـنَ قَلـــبي حفِي فِـــي مَحَــبَتِه فَالعِشقُ حلٌّ بِهِ والوُجدُ دفقُ دَمِي[2]

جـ- معارضة الشّاعرة الفلسطينيّة "**نبيلة الخطيب**" بعنوان: "بوح الرّيم"، تقول في مطلعها:

مِن روعِ الـرّيم بَينَ البَانِ والعَلَمِ وَقَبـــلَ ذَلكَ لَم يَجـــفلْ..وَلَم يجـــمِ
مَا كنتُ أعلمُ أنّ اللّحظَ ذُو رَهفٍ وَيحَي؛ سفحت دمًا فِي الأشهُرِ الحُرُمِ! [3]

وتَوثِيقُ هذِه المُعَارضَات دَليلٌ عَلَى بَعض الاهتِمَام بالمَدَائِح النّبوِيّة النّسويّة فِي عَصرِنَا هَذا مِن طَرفِ البَاحثينَ والنّقادِ وَأهلِ الاختِصَاصِ، وَعلَى طَلَبةِ العِلم أن يُولُوا لَهَا بَعضَ الأهَميةِ وأَن يَدرسُوها مِن حَيثُ شَكلِها وَمَضمُونِها لِيكَشِفُوا أسرارهَا وَخباياهَا وَمُميِّزَاتِها عَن المَدائِح النّبوِيّة الرِّجَالية إن صحَّ التّعبِير.

---

[1]- عبد السّلام البسيوني: **من المعارضات المعاصرة لقصيدة البردة للبوصيري**، نسخة (pdf)، دط، دت، مُحمّلة من الموقع الإلكتروني: www.islamsyria.com › portal › uploads › CMS › maktabah › aqa، تاريـــــخ النشر: أكتوبر 2012م، تاريخ التّحميل والاطلاع: 25 جوان 2018م، ص64.

[2]- نفسه، ص68.

[3]- نفسه، ص77.

الفَصل الثَّانِي

خَصَائِص شِعر المَدِيح النَّبَوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإِسلَامِ

1. مـــــدخَـــــل:

2. أعـلَام شِـــعر المَـديـــح النّـبَـوِي فِـي عَـــصـــرِ صَـــدرِ الإســـلَامِ:

3. خصَائص شِعر المَديح النّبوِي فِي عَـصرِ صَدرِ الإسلَامِ من حيثُ الشّـــكلِ:

4. خصَائِص شِعر المَديح النّبوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ من حَيثُ المَضمُـونِ:

خَصَائِص شِعر المَدِيحِ النَّبَوِي فِي عَصر صَدر الإِسلَام

1. مـــدخَـــل: ص68
2. أعـــلام شِـــعرِ المَـــديحِ النّـــبوِي فِي عَصـــرِ صَـــدرِ الإســـلامِ: ص69
2-1. حـــسّـــانُ بـــنُ ثابـــتٍ (ت 54هـ):
2-2. كـــــعـب بنُ مـــــالـكٍ (ت 51هـ):
2-3. عبـدُ اللهِ بـــنُ رَواحَـــة (ت 08هـ):
2-4. كَـــــــعب بن زُهَـــــير (ت 26هـ):
3. خصَائصُ شِعر المَديح النّبوِي فِي عَصر صَدرِ الإسلامِ من حيثُ الشَّكلِ: ص92
3-1. اعـتِـمـــادُ أوزانِ البُـــحـــورِ الطَـويلَةِ:
3-2. وحدةُ الـقافـــيةِ والـــرّوِي والتّـــصـــريـــعِ:
3-3. ظاهرة الـتّـــوازِي وتَـــوَلُّدُ الـــتّكرار عنـهَا:
3-4. قلّةُ الأبياتِ المَخصُوصَة بِمَدحِ الرّسُول وقِصَر القَصَائِد قَبل وَفَـاتِهِ:
3-5. غِـيـــابُ عُـنـــــوانِ الـقَـــصَـــائِـــــدِ:
4. خصَائِصُ شِعْر المديحِ النّبوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلامِ من حَيث المَضمُون:ص104
4-1. الطّابعُ الدّينِي الإســـلامِي وصـــــدقُ المشاعرِ بعيدًا عَنِ المُـغَالَاةِ:
4-2. الوَظِيـــــــفَةُ الـــدَعويّةُ الإرْشَـــــادِيَّـــةُ وَقُـــوَةُ المَـــــعَانِي:
4-3. الاقتباسُ منَ القرآن الكَريم والسنّـة النّبويّة:
4-4. الألفَاظ والحقل المعجَمِي الدِّينِي الإسلامي:
4-5. تَعَـــدُّد المَوضُوعَاتِ والأَغـرَاض الشِّـعرِيَّة:

1. مَدخَـــل:

يتّفقُ النّقادُ والمؤرخونَ –وعلى رأسِهم الدّكتور: "شَوقي ضَيف" أشهرُ مؤرخِي الأدبِ العربيِّ في القرنِ العِشرين– علَى أنَّ عَصر صَدر الإسلَام يُحتسَب انطلاقًا من عهدِ النّبي (ﷺ) إلى غايةِ وفاةِ عليٍّ بن أبِي طالبٍ سنةَ 40هـ، فَبَعد ظُهورِ الإسلامِ وانتشارِ المفاهيمِ والقيمِ الجديدةِ الّتِي جاءَ بِهَا النّبيُّ (ﷺ) والتّعاليم الّتِي دَعَا إليها – كمَا سبقَ وأنْ أشرنَا إليهِ فِي مقدّمةِ هذهِ الرّسالةِ– أَحدَثَت تلكَ القيم تغييرًا كبيرًا في مختلفِ مجالاتِ الحياةِ في شبهِ الجزيرةِ العربيّةِ، ومنهَا المجالُ الفنيُّ والأدبيُّ؛ حيثُ تهذّبَ الشّعرُ وارتقَى فِي مضامينِهِ ومعانيهِ بالدّرجةِ الأولَى، ولكنْ معَ هذا؛ انقسمَ الشّعراءُ إلى فرقتينِ متباينتينِ همَا:

– فِرقةٌ لم تتقبّلْ فكرةَ الـدّينِ الـجَديدِ؛ تُنكِرهُ وتُدافعُ عن دِينِ الآباءِ والأجْدادِ، وتتمسّكُ بأفكارِهم ومُعتقدَاتِهم، وتُعادِي الإسلامَ والمسلمينَ، وتهجُو رسولَ اللهِ (ﷺ) وأصحابَهُ بِأَقْسَى قصائدِ الهِجاءِ، وتُسِيءُ إِلَى سُمعَتِهِم وأعراضِهِم وعقيدتِهِم بشكلٍ مباشرٍ وغيرِ مُباشرٍ، بقيادةِ شُعراءِ الكُفرِ والشِّركِ وعلَى رأسِهِمْ خاصّةً: "عبدُ الله بن الزّبعرِي" و"أبُو سُفيان بنُ الحارثِ بنُ عبدِ المُطلب" وعمرُو بنُ العاص" قبلَ إسلامِهم وتوبتهم إلَى اللهِ تعالَى.

– وفرقةٌ أخرَى ذاقت حَلاوةَ الإيمانِ، ودَافعت عنِ الإسلامِ والقيمِ والمَبادئِ الّتِي جاءَ بِهَا، وردّت علَى هِجاءِ الكُفارِ والمُشرِكينَ، ومَدَحتِ النّبيَّ (ﷺ) ونافحت عن رسالتِهِ وأعلت من شأنِها، وكانَ علَى رأسِهم: حسّان بنُ ثابت (شاعرُ الرّسولِ)، وعبدُ اللهِ بنُ رَواحَة، وكعب بن مالكٍ... وهم الشّعراءُ الّذينَ سَنسلّطُ عَليهِم الضّوءَ فِي بدايةِ هذَا الفصلِ، ونختارُ من قصائدِهم قَصِيدةً نَعتمدهَا كمدونةِ بحثٍ لدراستِنَا هذهِ، إضافةً إِلَى بحثِ مُختلفِ خَصَائِصِ شِعرِ المَدِيحِ النّبويِّ –شكلاً ومَضمونًا– فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ عامّةً، وقد كَانت دِراسَتُنا لكلِّ هذا كَالآتي:

2 . أعــلام شِعر المَــدِيحِ النّبَوي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام:

مِن أبرزِ أعلامِ شعراءِ صدرِ الإسلامِ الّذينَ ذاعَ صِيتُهم أثناءَ حياةِ الرّسولِ (ﷺ)، وأثناءَ مرافقَتِهم لَهُ –وحتَّى بعدَ وفاتِهِ– نذكرُ مَا يَلِي:

2-1- حسّان بن ثابتٍ الأنصَاري (ت50/ 54هـ):[1]

فضّلَ رَسولُ اللهِ (ﷺ) أن يتكفّلَ الشّعراءُ الأنصارُ بمهمّةِ الرّدِ علَى هجاءِ شعراءِ الكّفارِ والمُشركينَ وعِدَائِهم للمُسلمينَ، وكانَ حسّانٌ أولَ من وافقَ علَى ذلكَ، "إذْ يُؤثَر عنهُ قولُهُ (ﷺ): "**مَا يَمْنَعُ القَومَ الّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ الله بسِلاحِهِم أنْ يَنْصُرُوهُ بِأَلْسِنتِهِم؟**" فَقَالَ حَسَّانُ بنُ ثابتٍ رَضي اللهُ عنهُ: "**أنَا لَهَا**"[2]، ومنذُ تلكَ اللّحظةِ –كمَا يرَى مَحمُود عَلِي مَكّي– "أصبحَ حسَّان شاعرَ الرّسولِ الأوَل، وأبرزَ المدافعينَ عنْ الإسلامِ ومناقضِي خصومِهِ، ولهَذَا فإنّهُ جديرٌ بأنْ نتأمّلَ شعرهُ فِي الدّفاعِ عنْ قضيّةِ الإسلامِ."[3]

وَقَد كانَ حسّانٌ صحابيًا جليلًا من أهمِّ الشُّعراءِ الّذينَ حَمَلُوا لواءَ الإسلامِ عاليًا، ودَافعُوا عن قِيمِهِ ومبادئِهِ وتعاليمِهِ، وعلَى رأسِ الّذينَ كَلّفهُم رَسُول اللهِ (ﷺ) بمَهَمَّةِ

---

[1]– **حسّان بن ثابت:** هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار، أجمع المؤرخون على أنه عاش 120 سنة، منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام، وذكر بعضهم أنه وُلد قبل مولد النّبي صلى الله عليه وسلم ببضع سنين، وتوفي سنة 54هـ، ويرى آخرون أنّه مات سنة 50هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان، كانت أسرة حسّان ذا شأن عظيم في الجاهلية والإسلام، أمه هي سُخطى بنت حارثة، وكان له أخوان هما: أوس بن ثابت، وأبو شيخ أُبَيّ بن ثابت، والّذي عُرف من أخواته هما: كبشة ولبنى، وكلتاهما أدركتا الإسلام وأسلمتا، كانت له زوجة من الأوس تدعى: عمرة بنت الصامت بن خالد، وزوجة أخرى اسمها: شعثاء، وهي التي أكثر من ذكرها في شعره، كان حسّان شديد العصبية لقومه، وعلى صلة بالشعراء الّذين يفِدُون إلى عكاظ في المواسم، ومنهم: النابغة، والأعشى، والخنساء، اقتصر مدحه في العصر الإسلامي على النّبي صلّى الله عليه وسلم، وخلفائه، وكبار الصّحابة؛ الذين أبلوا بلاء حسنا في الدّفاع عن الإسلام، نصّب حسّان نفسه للدّفاع عن الدّين الجديد ورسوله حتّى لُقب بشاعر الرّسول، وأصبح شعره سجلا لجميع الأحداث التي توالت على المسلمين. للاستزادة: يُنظَر.. حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، شر/تق عبدأ مهنا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 1993م، من ص 07 إلى 15.

[2]– أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصفهاني: **الأغاني**، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج4، ص137.

[3]– محمود علي مكي: **المدائح النّبويّة**، ص12.

التَّصدِي للشّعراءِ المُشركينَ والكفّارِ، والرّدِ عليهِم وهِجائهِم؛ فكانَ النّبيُّ يحثّهُ علَى ذلكَ فيقولُ لهُ: "**اُهْجُهُمْ –أَوْ هَاجِهِمْ– وَجِبْرِيلُ مَعَكَ**"[1]، ويقولُ لَهُ فِي موضعٍ آخرَ "**اُهْجُ قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ**"، فيقولُ لهُ حسّان –مبيّنًا لهُ أنّهُ سيتجنّبُهُ فِي هجائِهِ لَهُم–: "وَالّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ"، وقالَ حسَّان فِي مَوضعٍ آخرَ: "وَالّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيم"[2] فقالَ النّبيُّ (ﷺ): "**يَا حسّان اُهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ أَوْ فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ**"[3] وكانَ إذَا سمعَ هِجاءَه ضدَّ المُشركينَ قالَ: "**لَهَذَا أشدُّ عليهِمْ مِنْ وَقْعِ النّبَالِ**".[4]

وَيتميّزُ شِعرُ حَسَّانٍ عُموماً بأنّهُ "شِعرُ مُسَاجَلاتٍ ونقائضٍ مَعَ شُعراءِ قُريشٍ، أو فِي رِثاءِ من ينالُ الشّهادةَ فِي المَعاركِ معَ المُشركِينَ"[5]، كمَا يتميّزُ بالصّدقِ والإخلاصِ لرسولِ اللهِ (ﷺ) خاصّةً، وصَحَابتهِ ومن تَبِعَهُ عَامّةً، إضافَةً إلَى قُوّةِ الرُّوحِ والحَمَاسَةِ الشّديدتينِ، لأنّهُ كانَ يهجُو خصومَهُ هِجاءً لاذعًا علَى الطّرائقِ الجَاهليّةِ؛ خاصّةً بعدَ مَعرفتِهِ أنسَابَ قريشٍ، وَمَا تعلّمهُ منْ الأنسابِ مِنْ أبِي بَكرٍ الصِّدِيق رَضِيَ اللهُ عنهُ، "وَمِنْ أُولَى قَصائِدِهِ وجيّدِهَا فِي ذلكَ همزيتُهُ الّتِي يمدحُ فيهَا الرّسولَ (ﷺ) ويَهجُو فيهَا أبا سُفيانَ بنُ الحارثِ، وهيَ القصيدةُ الّتِي سنعتمدُهَا كمدونةِ بحثٍ للفصلِ التّطبيقِي لِهذهِ الدِّراسةِ؛ وافتتحَهَا بقولِهِ:

عَفَت ذاتُ الأصَابِعِ فَالجِوَاءُ إلَى عَـذْراءَ مَنــزِلُــهَا خَـــلاءُ

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيـــهَا الرَّوَامِـسُ والسَّـــمَاءُ

---

[1]– رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2]– رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

[3]– رواه الإمام أحمد عن البرّاء بن عازب.

[4]– يُنظَر.. زين الدّين الزبيدي: **التّجريد الصّحيح لأحاديث الجامع الصّحيح**، دار النّفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص308.

[5]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص13.

وكانَـــتْ لا يَزَالُ بِهـا أنِيسٌ خِلالَ مُرُوجِـــهَا نَعـــمٌ وَشَـاءُ [1]

وهيَ قَصِيدةٌ تجرِي علَى الطرائقِ الجاهليّةِ (وسنعود إليهَا فِي الفصلِ الرّابع من الدّراسة)، بدأَهَا الشّاعر بذكرِ الدّيارِ الخَاليةِ، ثمَّ انتقلَ إلَى ذكرِ محبوبتِهِ، والمواضعِ الّتِي كَانَ يتردّدُ عليهَا في بِلاَدِ الشّامِ لِمَدحِ أمراءِ بنِي غسّانَ، وفيهَا جزءٌ إسلاميٌّ يُهمّنَا – يُرجَّحُ أنّهُ قيلَ علَى فتراتٍ– يتعلّقُ بمدحِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، يقولُ فيهِ حسّانٌ:

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللَّـهِ فِيـــنَا وَرُوحُ القُـدْسِ لَيْسَ لَـــهُ كِفَـاء

وقالَ اللهُ قَـدْ أرسَـلتُ عبْـدًا يَقُولُ الحقَّ إنْ نَـفـــعَ البَـــلَاء

إلَى أنْ يقُولَ:

أَلَا أبلِـغْ أبَـا سُفيـانَ عَنِّي مُغَلـغَلَةً[2] فقدْ بَرِحَ الـخَفَـــاء

بأنَّ سُيُوفنَا تَركتْـكَ عبْـدًا وعَبْدُ الـــدّارِ سَادَتُـهَا الإمَـــاء

هَـجَوْتَ مُحَمَّدًا وأجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْـــدَ اللهِ فِـــي ذاكَ الـجَـــزَاء

أَ تَهجُوه ولَسْـتَ لَهُ بكُـــفْءٍ فشَـــرُّكُما لخَيـــركُما الفِـــــدَاء

هَجَـوْتَ مُبارَكًـا بَـــرًّا حَنِيـــفًا أَمِيـــنَ اللهِ شِيمَـتُـــهُ الـوَفَـــاء

فَـمَنْ يَهـْجُو رَسُـولَ اللهِ مِنكُـمْ وَيمْدَحُـــه وَينْـــصُـرُهُ سَـــوَاء؟

فَـإنَّ أَبِـــي وَوَالِـدَه وعِرضِـي لِعِـــرض مُحَـمّدٍ مِنْـكُمْ وِقَـــاء [3]

وَمِن أقوَى القَصائدِ المدحيّةِ الّتِي نظمَهَا حَسَّان فِي الدّفاعِ عن رسولِ اللهِ هِيَ العَينيَّةُ الّتِي ظَهرتْ فِيهَا بوادِرُ الرُّوحِ الإسلامِيّةِ وبذورُ المَدائِحِ النّبويّةِ، وهيَ قصيدةٌ لم يُختلَف كَثيرًا فِي نَسبِهَا إليهِ، حيثُ قالَها حينمَا قَدِمَ وَفْد تميمٍ عَلَى النّبيِّ (ﷺ) قائلينَ:

---

[1]– زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص30. وللاطلاع على القصيدة كاملة يُنظَر في ملاحق الدّراسة.

[2]– **المغلغلة**: أي الرّسالة التي تسير من بلد إلى بلد.

[3]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص13–14.

"جِئنا لنُفاخِركَ، وقد جئنَا بِشاعِرنَا وخَطِيبنَا، فقامَ خطيبُهم عطَارِد بنُ حَاجب فتكلَّمَ، وَقَامَ خطيبُ الرّسُولِ ثابتُ بنُ قيْسٍ فَأَجَابَ، ثمَّ قامَ شاعِرُهمْ الزَّبرقَان فَقَالَ:

نَحـنُ الكِـرَامُ فَـلَا حَـيَّ يُعَـادِلُـنَا مِـنَّا الـمُـلُوكُ وَفِيـنَا يُقْـسِم الربُّـعُ [1]

وَكَمْ قَـــسرنَا مِنَ الأَحيَاءِ كُلِّهم عِـنـدَ النّهَابِ[2] وَفَـضْلُ العِزِّ يُتّـبَعُ

وَنَحنُ نُطـعِمُ عِنْدَ القَحْطِ مطـعَمَنَا مِـنَ الشِـــوَاءِ إذَا لمْ يُؤنِسِ القَــزعُ [3]

ثمّ تـرَى الـنّاسَ تَأتينَا سـرَاتُهُم مِـن كُـلّ أَرْضٍ هُـوِيّا ثُمّ نَصـطَنِعُ

فَنَنحَر الكُومَ عَبْطا فِي أَرُومَـتِنَا للنّـازِلِينَ إذَا مَـا أُنزِلُـوا شَبَـــعُوا [4]

فَــلَا تَــرَانَا إلَى حَيٍّ نُفَاخِـرُهُـم إذَا اسـتَـــقَادُوا وَكَانَ الرّأسُ يُقْتَطَعُ [5]

إنَّـــا أَبَيـــنَا وَلَا يَــأبَى لَنا أَحَـدٌ إنَّـــا كَـذَلِكَ عِندَ الفَـــخرِ نَرتَـفِعُ

فَمَــن يُقـــادِرُنا فِي ذَاكَ يَعرِفُنَا فَيَرجِـــعُ الـقَـــوْم والأَخبَار تُستَمَعُ"[6]

وَلمَّا سَمعَ حَسّان بنُ ثابِت هذِه القصِيدَة – بَعدَ أَن بَعَثَ إليهِ رَسولُ اللهِ (ﷺ) لِأَنّهُ كَانَ غَائِباً عَن ذلكَ المَجلسِ – قَالَ قصيدَتهُ العَينِيّة المَشهُورَة مُعارضًا لَهَا، والّتِي يَقُولُ فِي مَطلَعهَا:[7]

إنَّ الذَوَائِـــبَ مِنْ فهرٍ[8] وَإخوَتهِـمْ قَدْ بَيّنُوا سُنَّـــــــةً لِلنّاسِ تُتَّبَـعُ

يَرْضَى بـــهَا كُلُّ مَن كَانَتْ سَرِيرَتُـهُ تَقوَى الإلَه وبالأَمْـــرِ الّذِي شَرَعُوا

---

[1]– **الرّبع:** أي ربع الغنيمة، وهو نصيب الرئيس دون أصحابه ممن يكسبون الحرب.

[2]– **قسرنا:** أي قهرنا وغلبنا. **النّهاب:** أي الغنائم، مفردها نهب.

[3]– **القزع:** أي الغيم.

[4]– **الكوم:** جمع كوماء، وهي النّاقة الضخمة. النّحر عبطا: أي من دون علّة. الأرومة: الأصل.

[5]– **استاقادوا:** أي أعطوا مقادتهم وخضعوا.

[6]– يُنظَر.. زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص27–28.

[7]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص152.

[8]– **الذّوائب:** الأشراف. **فهر:** أصل قريش.

قَـــــومٌ إذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُـم أوْ حاوَلُوا النّفْعَ في أشياعِهِمْ نَفعوا

سَـــجِيةٌ تِلكَ مِنــهُمْ غَيرُ مُحدَثَـةٍ إنّ الخَـــلَائِقَ، فاعلَمْ، شرُّها البِدَعُ [1]

وَخَتمَ حَسّان بنُ ثابِت مُعارَضتهُ مادحًا قومَ رَسولِ اللهِ (ﷺ) مُفضِلًا إياهم بقَولِه:

أكرمْ بقومٍ رسولُ اللهِ شِيـــــعَتهمْ إذَا تَـــفرّقَتِ الأهْـــــوَاءُ والشِّيَـــعُ

أُهْدِى لَهُمْ مِـــدَحي قلـــبٌ يُؤازِرُهُ فِيما يُحِبُّ لِـــــسَانٌ حائِكٌ[2] صَنَعُ

فإنّـــهُمْ أفضَـــــلُ الأحْيَاء كُـــلّهِمِ إنْ جَدّ بِالنّاسِ جِدُّ القَوْلِ أوْ شَمـعُوا [3]

وَلمَّا فَرغَ حَسّان مِن قَصيدَته اعترفَ الأقرعُ بنُ حَابِس –أَحدُ رِجالِ الوفدِ– أنَّ خَطِيبَ رَسولِ اللهِ (ﷺ) أَخطَبُ مِن خَطِيبِهم وَشَاعِرُه أشعَرُ مِن شَاعِرِهِم، ثمّ أَسلَمُوا... والمُوازِن –مِن حَيث المَضمُون– بينَ هذهِ الأبيَاتِ والقَصيدَة عَامّة وَمَا قَالَه الزَبرقَان بنُ بَدر؛ يُلَاحظُ جَيّدًا بُروزَ الرّوحِ الإسلَاميّةِ فِي شِعر حَسّان–مَع أنّهُ لَم يَخرُج عَن تَقالِيد القَصيدَة الجَاهليّةِ– خَاصّةً في الأبيَاتِ الأخِيرَة، عَلَى عَكسِ شِعرِ الزّبرقان الّذِي يُجَسّدُ مَظَاهِر التَعصُّبِ الجَاهلِيّ والطَّبيعَة البَدوِيّة الخَشِنَة، والجَفاء الّذِي كَانَ عَلَيه وَفدُ تَميم والأعرَاب.

ومِن أجوَدِ مَدائِح حَسّان وأطوَلِها مَرثِيَتُه الّتِي رَجّحَ الدّكتُور زَكِي مُبَارَك أنّهَا قِيلت بَعدَ وَفاةِ الرّسُولِ (ﷺ) بزمَانٍ[4]، وَلَم تُقَل مُباشرَة بعدَ مَوتِه، وَهوَ مَا يُفسِّرُ مَا يُلاحَظُ فيهَا مِن نَزعةٍ صُوفيّة"[5] لم تكُن مَوجُودَه آنذَاك، وَيبلُغ عَددُ أبيَاتِها سِتّةً وأربَعِينَ بيتًا شعريًا، وقد اُختُلِفَ في نِسبتِها إليهِ، وأثبَتهَا ابنُ هِشامٍ فِي سِيرَتِه نَقلًا عَن أبِي زَيدٍ

---

[1]– يُنظَر.. حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص152

[2]– **لِـسَانٌ حائِكٌ**: أي حاذق.

[3]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص17. **شمعوا**: فرحوا.

[4]– ترجيح نظم هذه القصيدة بعد وفاة الرّسول بزمان يعني أنها لا تنتمي إلى عصر صدر الإسلام، وهذا جعلنا نتراجع في اعتمادها كمدزنة بحث للفصل التطبيقي لهذه الدراسة إضافة إلى التشكيك في نسبتها كما هو وارد في المتن.

[5]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص26. ويُنظَر.. زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص44 إلى ص50.

الأنصَارِي؛ وَكُلّ هذَا (إضَافَةً إلَى كَونِها مَرثِيّة) جَعلَنا لَا نَعتمِدُها كَمُدَونةٍ للفصلِ التّطبِيقِي لِهذِه الدِّراسةِ رَغمَ جَودَتِها وحُسنِ سَبكِها فِي كَثيرٍ مِن أبيَاتِها، وَبُرُوزِ مَلَامِح المَدِيحِ النّبوِيّ والقيم الإسلاميّة فيها بشكل واضح، وقد ذَكَر حسّان في مطلعها حُجُرات الرّسول (ﷺ)، وبَيته، ومَسجدَه، وقَبره، وبيّنَ مَدى حُزنه الشّدِيد علَى رَحِيله، يَقول حَسّان:

بِطَيبـــة رسْـــم للرّسُـولِ وَمَعهَـدُ ... مُنِيــر وَقَــد تَعـفُو الـرّسُوم وتَهْمُد

وَلَا تَمتَحِي الآيــاتُ مِن دَارِ حُرمَة ... بِها مَنبَر الهَادِي الّذِي كَانَ يَصعَـد

و واضــحُ آثَـــارٍ وبَاقي مَعَــالم ... ورَبْــعٌ له فيه مُصَلّى وَمَسـجِـــد

بها حُجُرات كَانَ ينــزِلُ وَســطَها ... مِن اللهِ نُــورٌ يُستَضَــاءُ ويُوقَــد

مَعَارف لَم تُطمَس عَلَى العَهد أيّهَا ... أتَـاها البـلَى فالآي منها تَجَـــدَّد

عَرفـتُ بِهَا رَسم الرّسُول وَعَهـدَه ... وقَبْرا بها وَارَاه فِي التُّـــرْب مُلحِــد

ظلَلتُ بِها أبكِي الرّسولَ فأسْعَـدَت ... عُيــونَ وَمِثـلَاها مِن الـجفْن تُسعِد

يُذَكِّـــرْن آلاء الرّسولِ وَمَــا أَرَى ... لَهَا مُحصِـيا نَفسِي فَنَفــسِي تَبَلَّـد

مُفجَّعَـة قد شَفَّــها فَقْـدُ أحــمَد ... فَـظَــلّــت لِآلاء الرّسُول تُعَـــدّد[1]

وَخَصّ حَسّان بنُ ثابِت مَدحه لرَسولِ الله (ﷺ) فِي خِتام قَصيدتِه ذاكرا فَضَائله ومَكارمَ أخلَاقه وَصِفاته، قَائلا أيضا:

وَمَا فقدَ المَاضُونَ مِثل مُحمَّـــد ... وَلَا مِثلَه حَتّى القِيامَة يُفـــقَد

أَعفَّى وَأوفَــى ذِمَّـــةً بَعـدَ ذِمّة ... وأَقـــرَب مِنــهُ نَـائِلا لَا يُنَـــكَّد

وأبذَلَ مِــنهُ للطّــرِيفِ وَتالِـــدٍ ... إذا ظَــنّ مِعطاء بِمَا كان يُتْلَد

وأكرَم صِيتا فِي البُيوتِ إذا انتمَى ... وأكرم جَــدًا أبطحــيًّا يُســـوَّد

[1]– أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج 4، ص260.

وأمنع ذِروَات وأثبتَ فِي العُلا دَعَائم عِزٍّ شَاهِقات تُشَيَّد
وأثبتَ فَرعًا في الفُرُوع وَمنبَتًا وعُودا غذَاه المُزن فالعُود أفيَد
ربّاه وَلِيدًا فاستَتَمَّ تَمَامَه عَلَى أكرَمِ الخَيرَات رَبٌّ مُمَجَّد
تَنَاهَت وَصَاة المُسلِمين بكَفِّهِ فلا العِلمُ مَحْبُوسٌ ولا الرَّأْي يُنفَد [1]

وَأبدَى حَسّان في الأبيَات الثّلاثة الأخيرَة مِن قَصِيدتهِ رَجَاءه فِي لِقاءِ رَسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، والخُلود مَعَه فِي جَنّة الخُلد، مُبيّنا أنّ ذَلكَ هُو مَا يسعَى إلَى تَحقِيقه وَيرجُوه، يقول:

أقُولُ وَلَا يُلقَى لِقَولِي عَائِب مِنَ النّاسِ إلّا عَازِب العَقل مُبعَد
وليسَ هَوَاي نَازعًا عَن ثَنَائِه لَعَلّي بِه فِي جَنّةِ الخُلدِ أَخلُد
مَعَ المُصطَفى أرجُو بِذَاكَ جِوَاره وَفِي نَيل ذَاك اليَوم أسعَى وأجهَد [2]

وَمن أشهَر مَدائِح حَسّان بنُ ثابِت –الخَالدة إلَى يَومنا هَذا– فِي مَدح الرّسولِ (ﷺ)، قولُه: (من الوَافر)

وأَحسَنُ منكَ لم ترَ قطُّ عَيْنِي وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كأنّكَ قدْ خلقتَ كَمَا تَشَاءُ [3]

ويُعتبَر هذان البَيتانِ الوارِدَان فِي دِوانهِ تَحتَ عُنوان "**خُلِقتَ كَمَا تَشَاء**" مِن أشهَر مَا خَلّد اسمَ "حسّان بنُ ثابِت" مِن ذَهَبٍ فِي مَدح رَسول الله (ﷺ) إلى يَومِنا هذا، والمُتأمّل فِيهما –بَل السّامِع لَهما فَقط– يُدركُ وَيلتمِس فِعلًا مَدى جَمالهما ورَوعَتهمَا، ولحَسّان شِعر كَثير فِي مَدح رَسول الله (ﷺ) بَعد وَفاته، جَمعَه الدّارسُون فِي دِيوانٍ خاص باسمِه، واهتمُوا بِنشرِه وَدراستِه وشرحِه اهتمَاما كبيرًا، "غيرَ أنّه قد دَخلَه كثيرٌ من

[1]– أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج 4، ص260.
[2]– نفسه، ص262.
[3]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص21.

الشِّعر المَوضُوع ممّا يجعَل تلخيصَ شِعره الصّحِيح مِمّا حُمِل عليه أمرًا من الصّعوبَة بمَكان"[1]، ولهَذا لَن نخوضَ فيهَا جَميعًا حتّى لَا يَطول بَحثنا دونَ فائدَة كبيرَة، وَسنركّزُ علَى هَمزِيّته الّتِي يَقول فِي مَطلعهَا "عَفَت ذَات الأصَابِع فَالجِواء" الّتِي تخدُم بَحثنا؛ والّتى سَبقَ الإشَارة إليها والحَديث عَنها.

2-2- كَعب بن مَالك الأنصَارِي (ت 51هـ):[2]

كانَ كَعب بن مَالك رَضي الله عنهُ صَحَابيا جَليلا " لَم يتّخذْ مِن الشّعرِ صِناعة يَمتهنها أو سَبيلا للعَيش، بَل كلّ مَا وَصل إلينَا مِمّا نظمَه كَانَ في إطَار أغراض نَفسِه المُؤمنة، وَمُلابَسَات حَياته المسلمَة، فصَدرتْ قَصَائده صُدورا طبيعيًا كما يَصدر الضّيَاء عَن الشّمسِ"[3] بَعيدًا عَن التكلّفِ أو التكسّبِ، فكانَ مِن أهم مَن اعتمدَ عليهِم رَسول الله (ﷺ) في الحُروب والمَغَازي –على غِرار حَسّان بن ثَابت– لتهديد المُشركين وَتوعُدّهم والرّد على هِجائهم أحسَن ردٍّ.

وعَلَى الرّغم مِن أنّهُ لم يَكن شَاعراً مُحترفاً مُتمكّنا إلّا أنّه استطَاع أن يكُون مِن النّاطِقين الرّسمِيين باسمِ الإسلَام، والمُدافعين عنه في حُروب اللّسانِ والبيَانِ، والمَادحِين لِرسول الله (ﷺ) وأصحَابِه ضِمن شِعره الحَماسيّ الحَربيّ إن صَحّ التّعبير، "فقد كَان

---

[1]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص13.

[2]– **كعب بن مالك الأنصاري:** هو كعب بن مالك بن أبي كعب، وهو عمرو بن القيْن بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن علي الانصاري السَلَمي، لُقِب بالأنصاري (بعد الإسلام) نسبة للأنصار؛ وهم الذين نصروا رسول الله وآوَوْه والمهاجرين الذين كانوا معه، أسلم قديماً وشهد العقبة ولم يشهد بدرا، كانت كنيته في الجاهلية: أبو عبد الله، وذكر بعضهم أنه: أبو عبد الرحمن، وقال بعضهم: أبو محمد، وقيل أيضا كانت كنيته: أبا بشير، ذهب بصره في خلافة معاوية. قال عنه ابن سيرين: كان شعراء أصحاب رسول الله: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رَواحَة، وكعب بن مالك، وقال أيضا: أما كعب، فكان يذكر الحرب، يقول: فعلنا ونفعل، ويتهددهم. وأمّا حسّان، فكان يذكر عيوبهم وأيامهم. وأما ابن رَواحَة، فكان يعيرهم بالكفر. توفي كعب في خلافة معاوية: –عن الهيثم، والمدائني– سنة أربعين. وروى الواقدي: أنّه مات سنة خمسين. وعن الهيثم بن عدي أيضا: أنه توفي سنة إحدى وخمسين للهجرة. رحمه الله ورضي عنه. للاستزادة: يُنظَر.. سامي مكي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الانصاري)**، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1990م، مج 18، ص47 إلى ص74.

[3]– سامي مكي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الأنصاري)**، مج 18، ص75.

مِن شُهود بيعَة العَقبة، وتخلّف عن "بَدر"، إلّا أنّه شَهدَ بَعد ذلكَ "**أُحُدا**" وما بعدها، وكَان أَحَد الثّلاثة الّذِين تخلّفوا عَن "**تبوك**" ثم نَزلت آيات بالتّوبَة عَلَيهم، وَصَفه ابن سَلّام بأنّه شاعِر مُجِيد، وثبتَ عنهُ شِعر كثير في كُتب السّيرة النّبويّة العَطرة معظمهُ في مشاهِد الرّسول (ﷺ) وغَزواتِه، وفِي مُناقضة شعرَاء قريش"[1] والرّد عَلَيهم.

وَمن نَماذج شِعر كَعب الّتِي اشتُهر بِها، مَا قالَه في يَوم بَدر –رَغم أنّه لَم يشهَده– مُبيّنا مَكانة الرّسول (ﷺ) بينَ قومِه، واصفاً جنودَه وكأنّهم أُسُود تفوَّقوا على العدُو بِقوة، يَقولُ كعب:

أَلَا هَل أتَى غَسّان فِي نَأي دَارِهَا وَأخبر شَيء بالأمُورِ عَليمهَا
بِأن قَد رَمتْنا عَن قِســـيّ عَداوَة مَعدّ مَعا جُهَّالها وحَليـــــمُهَا
لأنَّا عَبَدنا الله لَــم نرْجُ غَـــيرَه رَجَاء الجِنانِ إذ أتانَا زَعِيمُهَا
نَبِيّ لَه فِي قَومِـــــــه إرثُ عِزّة وَأعرَاقُ صِدق هَذّبتهَا أَرومـهَا
فَسَاروا وَسرنَا فالتَـــقينا كأنّنَا أسُود لِقاء لَا يُرجَى كَلـــيمُهَا
ضَربنَاهُم حَتّى هَـوَى فِي مَكرنَا لَمنْخر سَوْء مِن لُؤيٍّ عَظِيمُهَا
فَولَّوا وَدسنَاهُم بِبيـضٍ صَـوَارم سَواء عَلينا حِلفها وصَميـمهَا [2]

وقال أيضاً متوعّدا أبا سُفيان بن حَرب في أبيَات مُحكمَة النّظم:

لَعَمْر أبيـكُما يا بَـــــنِي لُؤي عَلَى زَهو لَدَيـــكم وانـــتِخَاءِ
لَمّا حَامَت فَـوارِسُكم بِـــــبَدر وَلَا صَبرُوا بِه عِـــندَ اللّقَاءِ

إلى أَن يَقول:

فمَا ظَـــفِرت فوراسِـــكُمْ بِبَدرٍ ومَا رجَعوا إليكمْ بِالسَّـــوَاء

---

[1]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة** ، ص27.

[2]– يُنظَر.. أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج 3، ص24–25.

فلَا تعجَل أبا سُفـــيان وَارقُب جِيادُ الخَيل تَطْلُع مِـن كدَاء

بنصرِ اللهِ روحُ القــدْسِ فِيهَا ومِيكالٌ، فَـــيَا طِـيّبَ المَـلاء[1]

وَله قَصيدَة طَويلة مَشهورة أيضًا رَدّ بِها عَلَى هبيرة بن أبي وَهب المَخزومِي بَعدَ غزوة أحُد، افتتحَها قَائلًا:

أَلَا هَل أتَى غَسّـــان عَـنّا وَدُونَـهم مِن الأرضِ خَــرق سِيـرُهُ مُتنَـعنِع

صَحَــار وَأعــلَام كَـــأنَّ قتَــامـهَا مِن البُــعدِ نَقْـــع هَــامِـد مُتقَطِّع[2]

كما صَوَّر كَعب بن مَالك في ثنايَا قَصيدَته مَدَى طَاعَة المسلمينَ لرسولِ الله (ﷺ)، وإقبالِهم عَلى التّضحِية والاستشهَاد مِن أجلِ إعلَاء كَلمَة الله ونُصرَة دِينِ رَسوله، يقولُ كَعب:

ولمّا ابتنَوا بالعَــرضِ قَــالَ سُراتـنَا عَلَام إذا لَم تَمنَع العرضَ نَـــزرَع؟

وَفينَا رَســـــولُ الله نَتّـــــبعُ أمرَه إذَا قَــالَ فينَا القَــول لَا نَتــطلّــع

تدَلّى عَـــلَيه الرّوحُ مِن عِـندِ رَبّــه يَنزّلُ مِن جَـوّ السّمَـــاء وَيُرفَـــع

نُشَـــاورُه فِيـــمَا نُريـدُ وَقصـــرنَا إذا مَا اشتَهَى أنّا نُطِـيعُ ونَســمَع

وَقَالَ رَسولُ اللهِ لَـمّا بَـــدَوا لَـــنَا ذَروا عَنكُم هَـولَ المَنيةِ وَاطـمَعُوا

وَكُونوا كَمَن يَشــرِي الحَيَـاة تَقرُّبا إلَى مَـــلكٍ يُحيا لَـدَيه ويُـرجَــع

إلى غَاية أن قال:

وَدارَت رَحـانا واستَــدارَت رَحَـاهُـم وَقَــد جُعــلُوا كُلّ مِن الشّـرِّ يَشـبَع

وَنحــنُ لَا نَـــرَى القتـــلَ سُبّـــةً عَلَى كُـلّ مَن يَحـمِي الذّمَار[3] وَيمنَـع[4]

ومِن أشهَر مَا نَظمه كَعب بن مَالك أيضًا شعرٌ كثيرٌ وحسنٌ، نظمَه فِي غَزوة

---

[1]- يُنظَر.. أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج 3، ص25.

[2]- نفسه، مج 3، ص114.

[3]- **الذّمار**: ما يجب على الرّجل أن يحميه.

[4]- يُنظَر.. أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج 3، ص115-116-117.

الخندَق، وخَاصّة حينَما أجَاب عَبد الله بن الزّبعري السّهمي، وَردَّ عَنه مُصوّرا ارتدَاد المشرِكين عن المَدينة وَخيبَة أملهِم، وَاصفًا خيلَ جُنود المُسلِمين وَصفًا بَليغا، يَقولُ كَعب مُفتـتِحا:

لَأبقَى لَنا حَدَث الحُـرُوب بَقِـــيّة مِن خَيرِ نحـــــلَة رَبّنا الوَهَّابِ
بَيضَاءُ مُشرفةُ الـذّرَى وَمعَاطــنَا حُمَّ الجُذوعِ غَزيـرَةُ الأحـــــلَابِ
كَاللّوبِ يُبذَل جمّـهَا وَحَفيـــــلهَا للجَارِ وابـنِ العَـــمّ والمُنـــتَابِ
وَنزَائِعا مِثلَ السِّـــــرَاجِ نَمَا بهَا علف الشعير وجـزة المقـــضابِ
عري الشّوَى مِنها وَأردَف نَحضَهَا جُرد المتـون وسائـــــر الآرابِ
قُودًا تَرَاح إلَى الصِّياحِ إذَا غَـدَت فِعلَ الضِّـــراءِ تـرَاح لِلكَـــلّابِ[1]

وخَتمها كَعب بن مَالِك مُبيّنا مَدى إيمَان المُسلمين واطمِئنانِهم، واستِسلَامهم لِقدر اللهِ تعالَى وإرادتِه، سَاخِرا مِن قريشٍ فِي آخرِ بيتٍ شِعريّ، مُتنبئا لَهم الخسَارة المُؤكَّدة، يقولُ كَعب:

وَمَواعِـظُ مِن رَبـّنَا نُهـــدَى بِها بِلسَـانِ أزهَـــر طَـــيِّب الأثـوَابِ
عُرِضَت علينا فاشتَـــهينا ذِكــرَهَا مِن بَعد مَا عُرِضَت عَلَى الأحـزَابِ
حِكمًا يَرَاهَا المُجرِمُون بِزعـمِهِـم حرجًا ويفْـــهَمُها ذَوو الألبـَــابِ
جَاءَت سَخِينة كَي تُغالِب ربّـــهَا فلَيغـــــلبَنَّ مُغـالبُ الغَـــــلّابِ [2]

وأوردَ ابنُ هِشام فِي سِيرتهِ عَن عَبد الملِك بن يَحيى بن عبّاد عَبد الله بن الزّبير،

---

[1]– يُنظَر.. سامي مكي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الأنصاري)**، مج 18، ص83. ويُنظَر: ابن هشام، **السّيرة النّبويّة** ، مج 3، ص220.

[2]– أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج3، ص222.

قالَ: لمّا قالَ كَعب بن مَالك البيتَ الأخِير "**جَاءت سَخِينة كي تغالب رَبَّها....**" قالَ لَه رَسول اللهِ (ﷺ): لَقد شَكَرك الله عَلَى قَولك هَذا.[1] والمقصُود بـ: "**سخينة**" في هَذا البَيتِ، هو: قُريش، وَهو لَقبٌ لَها، سُمِّيت بِه لأنّها كَانت إذا ذَبحَت ذَبِيحَة أُتِيَ بِعجزها وصُنِع مِنه خَريزة (لحمٌ يُطبَخ بطريقةٍ معيّنةٍ)، وَلم تكُن قُريش تكرَه هَذا اللَّقب، لأنّهَا لَو كَرِهته لما سَمح كَعب بن مَالك لِنفسه أن يَذكره وَرَسول اللهِ (ﷺ) مِنهم، أو لَتركه أدبًا واستحياءً مِنه.

ولِكعبٍ بن مَالك شِعر كَثير فِي نَقضِ شُعراء قُريش وَمعَارضتِهم فِي الحُروب والمَغازي، لَا يخلُو ضِمنيا بينَ الحِين والآخر مِن مَديحِ رَسولِ الله (ﷺ)، ولَا يسعنا أن نَذكره وَنفصّل فِيه كلّهُ، لأنّه لَيس مِن صُلب مَوضوعِ دِراستنا، "وما يُلاحَظ علَى نَقائِض كَعب أنّها ظَهرت بِمجموعِها فِي ظِلّ الأيامِ الإسلَاميّة، فلَه قَصيدة قالها فِي "**بدر**"، وأخرى في غزوة "**السّويق**"، وواحدة في "**أُحُد**"، وواحدة في غزوة "**بني النُضَير**"، واثنتان في **الخَندق**"[2] وقد تحدّثنا قَليلا عَن بَعضها فِيما سَبق.

ولَعلّ أشهَر مَا اِمتدَح بِه كَعبٌ رسولَ الله (ﷺ) هو مَا قالَه بَعد وَفاته مُلِحًّا علَى عَينيهِ أن تبكِيا علَى رَسولِ الله (ﷺ) بِدمعٍ مُنهمِر، مُبيِّنا بَعضَ خِصَالِه الحَمِيدة ومَناقبه ومَآثره، يقول كَعب:

أيَا عَينُ فابكِي بِدَمْــع ذُرَى ... لِخَيرِ البَــريّةِ والمُصــطَفَى
وَبَكّي الرّسُول وحَقَّ البُــكَى ... عَلَيهِ لَدَى الحَرْبِ عِنْدَ اللُّقى
عَلَى خَيرِ مَن حَملَــت نَاقَة ... واتقَى البَريّة عِــندَ التّــقَى
عَلَى سَيّد مَاجِــدٍ جحــفَل ... وَخيرُ الأنَــامِ وَخيــرُ اللّهَا
لَه حَسب فَــوقَ كُــلّ الأنَا ... مِ مِــن هَاشِمٍ ذَلِك المُرتَجَى

---

[1]– أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج3، ص222.

[2]– يُنظَر.. سامي مكّي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الأنصاري)**، مج 18، ص101.

تَخص بِمَا كَانَ مِن فَضـلِهِ وَكَانَ سِـرَاجًا لَنَـا فِي الدُّجَى

وَكَانَ بَشِـــيرًا لَنَا مُنـــذِرَا وَنُورًا لَـنَا ضَـــوؤُه قَـد أَضَا

فَأنقَـــذَنَا الله فِي نُـــورِه وَنَجَـا بِرَحـمَتِه مِـــن لَـظَى [1]

كَمَا مَدَح كَعبٌ بنُ مَالِك رَسولَ الله (ﷺ) فِي أَبياتٍ أخرَى مُتفرّقة مِن قَصائِد مُختلفة، فِي مَواقف مُختلفة، عدّد فِيها أخلَاقه وخِصَالَه متأثّرا بِما جَاء بِه الإسلَام مِن مناقبَ وقيمٍ جَديدة؛ تَختلِف عمّا كَان يَمدَح بِه الشّعرَاء الجَاهِليون مَمدُوحِيهم، وَنذكر مِنهَا عَلى سَبيلِ المِثال لا الحَصر مَا يلي:

أ- بيان عَدل رَسول الله (ﷺ) ومَدَى التزامهِ بِالحقِّ، وَدعوَته إلَى مَا يُنجِي مِن نَار جهنّم، يقول كعب:

الحَـقُّ مَنطِـقُه، والعَـدلُ سِيـرتُه فَمـــن يَجُبــه إليـهِ يَنـجُ من تَبَـب[2]

ب- بيان مَدى صِدقه (ﷺ) في تبليغِ رسالتِه وتأديتِها وإنذارِ النّاس وتبشيرِهم، يقول كَعب في هذا الشّأن:

نَذِيـــرٌ صَـــادقٌ أدّى كِتـــابَه وآيـــاتٌ مُبَـــيِّنَـــة تُنـــــيرُ[3]

جـ- إثبَات مُعجِزات الرّسولِ (ﷺ) ومُقارنتِها بِمُعجِزات الأنبيَاء:

قَارنَ كَعب (رَضي الله عنه) مَثلا في البَيتينِ المُوَاليين بَين مُعجِزة لسَيدنا سُليمان عليه السّلام (وَهي تَكَلُّمه مَع النّمل) وَبينَ مُعجِزة للرّسول (ﷺ) وهِي تَسبِيح الحَصَى بينَ كَفيهِ، يقول كَعب:

وإنْ تكُ نَمـلُ البرِّ بِالـوَهم كلَّمَـت سُليمَانَ ذَا المُلْكِ الّذِي لَيسَ بِالعمي

فَهذا نَبِـــيّ الله أحمَـــد سَبّـحَت صِغَار الحَصَـــى فِي كَـفّهِ بِالـــتّرنّم[4]

---

[1]- يُنظَر.. سامي مكّي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الأنصاري)**، مج 18، ص143.

[2]- نفسه: ص88.

[3]- نفسه: ص88.

[4]- نفسه: ص88.

وَيقول أيضًا ذاكِرا مُعجِزة مِن مُعجِزات سَيدِنا مُوسَى (عليه السّلام)، وَهي تَكليمُه اللهَ عَلى جَبلِ الطُور:

فَإن يَكُون مُوسَى كلّمَ اللهَ جَهـرَة عَلى جَبَــلِ الطُورِ المُنِـيف المُعَظّمِ

فَقَد كَلّــمَ اللهُ النّـــــبِيّ مُحَــمّدًا عَلَى المَوضِع الأعلَى الرّفِيعِ المُسَوّمِ[1]

والمُلاحَظ عَامّة فِي شِعر كَعبِ بن مَالك أنّ غَرض المَدح لَا يَطول فِيه؛ ولَا توجَد فِيه قصَائد مُطوّلة خَاصّة بِمدحِ رَسولِ اللهِ (ﷺ) مِثلمَا وَجدنَا عِند حَسّان بن ثَابِت مَثلًا وَغيرِه مِن الشّعرَاء، وإنّمَا مَدحُه لَه كَان مُوزعًا عَلى مُعظم قَصائِده، "فلَا نكَاد نَمُرّ على قصيدَة مِن قصائدِه دون أن نَعثرَ علَى إشَارةٍ يَختصّ بِها رَسول اللهِ (ﷺ) أو آلِهِ الطَّيبين."[2]

وَمَا يتميّز بِه مَدح كَعبٍ أيضًا هو عَدم مُغالَاته وتقيّدِه بتعَاليمِ الرّسولِ (ﷺ) الّذِي "لم يكن راغِبا فِي أن يَمتدحه الشّعرَاء بِما كَان يُمتَدَح به المُلوك، بَل كَانَ هَمُّه أن يَنصَرِفوا إلى التّأكيد علَى أمورِ الدّينِ الجدِيد، ونشره والتّمكِين له فِي الأرضِ."[3] والابتِعادِ عَن مَجالِس التّباري والافتِخار الّتِي لَا فائِدة تُرجَى مِنها، والّتِي كَانت – فِي كثيرٍ من الأحيَان– في ذَلك الزّمَان سَببا فِي حُدوثِ النّزاعَات والحُروبِ والكَراهيّة بَينَ الأفراد والجمَاعَات، وبِناء علَى كلّ ما سَبق لَن نَعتمِد أيّ نصٍّ من النّصُوصِ الشّعريّة السّابِقة لِكَعب بن مَالِك فِي مَدحِ الرّسولِ (ﷺ) كَمدوّنة بَحثٍ للفصلِ التّطبيقيّ لِهذه الدّراسَة بالنّظرِ إلى قِصَرها الشّدِيد.

---

[1]– سامي مكّي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الأنصاري)**، ص88– 89.

[2]– نفسه: ص90.

[3]– نفسه: ص86.

2-3- عَـبد الله بن رَواحَة (ت 08 هـ):[1]

كَان عَبد الله بن رَواحَة سَيّدا عَظيمَ القدرِ في الجَاهليّةِ والإسلَامِ، وَثالِث الشّعراءِ الكِبار الّذين تَبنَّوا الدّعوةَ للإسلامِ، وسَخَّروا مَقدرتهم الوجدَانيّة والشّعريّة فِي سبيلِ خدمَة الإسلَام والمُسلِمين، وتَصَدّوا لِلدّفاع عَنهم ضِدّ كلّ مَن أرادَ النّيلَ مِنهم أو التّشكِيكَ فِي مِصدَاقية دَعوتِهم وَنبيهم، حَيث شكّل مع حسّان بن ثَابت وكَعب بن مَالك جَبهةً شِعريّةً قويّةً تقِفُ إلى جِوار رَسولِ الله (ﷺ)، وتردّ عَنه الهَجمَات الشّعريّة الشّرسَة الّتِي كَانت تستهدِفه وأصحَابه، وتشكّك فِي نبوّته وحقيقةِ بَعثِه.

وَكانَ النّبي (ﷺ) يُحِبّ ابن رَواحَة، ويُثني علَيه وعلَى شِعره، ويدعُو لَه فِي أكثرَ مِن مَوقِف، لأنّه كَان مِن أوائلِ الّذِين بايعوهُ على مَشارِف مَكّة، وَحَمَلوا الإسلَام إلَى المَدينَة ومَهّدوا لِهجرتهِ، ومِن أهمّ من شَارك مُشاركة فعّالة في المَعارك الأدبيّة الشّعريّة الّتِي لم تنفصِل عن المَعارك الحَربيّة آنذاك، حَيث كَان الشّعر فِيها سِلاحًا فتّاكا يَجرحُ مثلمَا يَجرحُ السِّنانُ، ويَطعنُ مثلما يطعنُ السّيفُ، ومِن أشهرِ مَا نُسب إليهِ مِن شِعر؛ مَا

---

[1]- **عبد الله بن رَواحَة:** هو عبد الله بن رَواحَة بن ثعلبة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري، وُلد في يثرب، وفيها نشأ وترعرع وشبّ، أمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة، كان كاتبًا وشاعرا في بيئة لا عهد لها بالكتابة، وضع مقدرته الشعرية منذ أن أسلم في خدمة الدّين الإسلام ورسوله. أسلم على يد الداعية العظيم مصعب بن عُمير، وعندما هاجر الرّسول الكريم إلى المدينة المنوّرة، صار عبد الله بن رَواحَة من أبرز شعراء الرّسول، يلازمه، ويمدحه، ويشيد بالإسلام ومبادئه السامية، ويردُّ على شعراء المشركين، بايع الرّسول في بيعة العقبة الأولى والثانية، كان لتربية الرّسول أثرٌ واضح وملموس في حياة في حياته، فإذا أمره سارع ونفذ، وإذا نهاه عن أمر اجتنبه وتركه، كان النّبي لا يترك موقفًا أو حدثًا يمر على أصحابه دون أن يربِّيهم أو يعلّمهم، كان صوّاما قوّاما عادلاً ورعًا ذا أمانة يخاف الله، وممن أنعم الله عليهم بالجهاد بالسيف واللسان، فهو الذي جاهد مع النّبي في بدر وأُحد، وحفر الخندق مع الصّحابة، وبايع بيعة الرّضوان، وكان أحد القُوّاد الثلاثة في غزوة مؤتة . وجاهد بلسانه كما جاهد بسيفه، فكان شِعْرُهُ سيفًا حادّا على رقاب الكفار والمشركين، وكان يحمل سيفه وشعره في كل الغزوات، فكان يقول:

خلُّوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكلّ الخير في رسوله**

استشهد عبد الله بن رَواحَة في غزوة مُؤْتة، وكان أحد قُوّادها، ودُفن في بلدة مؤتة إلى الجنوب من مدينة الكرك، وذلك في العام الثامن للهجرة. للاستزادة: يُنظَر.. وليد قصّاب: **ديوان عبد الله بن رَواحَة ودراسة في سيرته وشعره**، ص13 إلى ص18.

قَاله فِي غَزوة بَدر المَوعِد [1] فِي السّنةِ الرّابعَة للهِجرة مُتوعِدا أبا سُفيان، مُعبّرا عَن وَلَائِه وإخلَاصِه لِرسُول اللهِ (ﷺ) إلَى دَرجَة أنّه يَفديهِ بِمالِه وأهلِه، يَقول ابن رَواحَة:

وَعَدْنَا أبَا سُفيَان بَدْرا فَلَم نَجِدْ لِميعَادِه صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيا

فأُقسِمُ لَو وَافيتَنا فَلقَيتَنا لأبت ذَمِيمًا وَافْتقَدتَ المَوالِيا

تركنَا بِها أَوصَالَ عتبَة وَابنه وَعمرًا أبَا جَهلٍ تَركنَاه ثَاوِيا

عَصَيتم رَسُول الله أُفٍّ لِدينِكُم وأَمْرُكم السَيئ الّذِي كَانَ غَاوِيا

فَإنِّي وَإن عَنَّفتُمُونِي لَقَائِل فِداً لِرَسول الله أَهلِي وَمَالِيا

أطَعنَاه لَم نَعدِله فِينَا بِغيرِه شِهَابا لَنا فِي ظُلمَةِ اللّيلِ هَاديا [2]

وَمِن أشهَر مَا عُرِف بِه ابنُ رَواحَة مِن شِعرٍ أيضًا مَا قَاله حِينمَا دَخلَ مَكّة المُكرّمَة مَع رَسولِ الله صَلّى الله علَيه وسَلّم فِي عُمرة القَضَاء وَهُو آخِذ بِخُطَام نَاقَته ثائِرا مُفتخِرا، يَقول ابنُ رَواحَة:

خَلّوا بَني الكُفّارَ عَن سَبيلِه خَلّوا فَكُلّ الخَيرِ فِي رَسُولِه

يَا رَبّي إنّي مُؤمِن بِقيلِهِ أعْرِفُ حَقَّ الله فِي قَبُولِه

نَحنُ قَتلنَاكُم عَلَى تأوِيلِه كَمَا قَتلنَاكُم عَلَى تَنزِيلِه

ضَربًا يُزيلُ الهَامَ عَن مُقيلِه وَيذهِلُ الخَلِيل عَن خَلِيلِه [3]

وَبلَغت دَرجَة إخلَاص ابن رَواحَة وإيمَانه بالله تعالَى إلَى غَاية أنّه تمنّى الشّهَادة حينمَا بُعث في الجيش المُتوَجّه إلى "**مُؤتة**" في السّنة الثامِنة للهِجرَة، حَيث قَال وهُو يتأهّبُ للخُروجِ:

---

[1]– **غزوة بدر المَوعد:** سُمِّيت بهذا الاسم لأنّ الرّسول واعد أبا سفيان عند بدر، غير أن هذا الأخير لم يحضر ولم يكن في المَوعد.

[2]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة** ، ص33–34.

[3]– يُنظَر.. محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: **السّيرة النّبويّة**، تح/تع/تج: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص503.

لَكـنّنِي أسألُ الرّحــمَنَ مَغْــفرةً وَضَربةً ذَاتَ فَرغٍ تَقـذِفُ الزّبَدَا

أو طَعنَةً بِيَدي حـرَّان مُجْــهِزَة بِحَرْبة تَنـفُذ الأحشَــاءَ والكَبِدا

حَتّى يُقَالَ إذا مَرُّوا على جَدَثي أرشَــده الله مِن غَازٍ وَقَد رَشَدا[1]

وودّعَ عَبد الله ابنُ رَواحَة النّبيَ (ﷺ) مُستعمِلا لَفظة "**السّلَام**" –وهيَ اسم من أسماء الله الحُسنى– الدّالة علَى تأثّرِه وتأثُر الشّعرَاء عَامّة بالمُصطَلَحَات والمَعَانِي الإسلَاميّة آنذاك، قائلا:

خَلف السَّلَام عَلَى امـرِئ وَدَّعتُه فِي النَّــخلِ خَيــرَ مُشيِّــع وَخَلِـيل[2]

وَكَان لِشعر ابن رَواحَة مَفعولٌ سِحريّ يَزرَع الإرادَة والحَمَاس فِي نفوسِ المُجاهِدين، حَيث انطَلَقوا لِملَاقاة جَيشِ الرّوم وَهُم يهتفون: الله أكبر.. الله أكبر.. وَبَعد استِشهَاد "زيد بن حَارثة" ومَن بَعدِه "جَعفَر بن أبِي طَالِب" تَلَاهما ثالِث الأمرَاء "عَبد الله بن رَواحَة" وَقد حَمل رَاية القيادَة واستجمَع كلّ قواه بعدَ أن تردّد وأخذَ يصيحُ بالمُسلِمين مُتأثرا قائلا:

أقسَـمتُ يَا نفــسُ لَتَــنْزِلَـنّه طَائِـعَـة أو لَا لَــتُكْــرِهَـنّــه

إنَّ أجلَبَ النّــاس وَشـدُّوا الرّنه مَـا لِــي أراكِ تكــرَهِين الجَــنّة

قَد طَالــمَا قد كُنـت مُطمَــئِنّه هَل أنــتِ إلّا نُطــفَة فِــي شَنّة

جَعفَر مَا أطيبَ رِيحَ الجَنّة [3]

وقال ابن رَواحَة أيضا:

يَا نَفــسُ إلا تُقتَــلي تَــمُوتِي هَذَا حَمَّــامُ المَــوتِ قَد صلِيتِ

وَمَا تَمَــنَّيتِ فقَــدْ أُعْطِــيتِ إن تَفعَــلِي فِعْلَــهما هُديـتِ [4]

---

[1]– يُنظَر.. محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: **السّيرة النّبويّة**، ص504–505.

[2]– يُنظَر.. وليد قصّاب: **ديوان عبد الله بن رَواحَة ودراسة في سيرته وشعره**، ص37.

[3]– نفسه: ص99.

[4]– يُنظَر.. محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: **السّيرة النّبويّة**، ص508.

وهكَذا تَحقّقت أُمنِية عَبد الله بن رَواحَة بِضربَة سَيف أو طَعنةِ رُمحٍ كَما طَلَب، نَقلته إلَى عَالم المُجاهِدين الشّهداء الفائزين بِرضوان الله تعَالَى ورَسوله، بَعد أن خَرجَ مَع النّبيّ فِي غَزواتهِ وجَاهد بِسيفه وَلِسانه إلَى آخر لَحظة مِن حَياته.

ومِن أشهَر شِعْره في مَدحِ رَسولِ الله (ﷺ) حِينما ذَكره لزوجتِه، وبيَّنَ فضلَه وتقواه وَعِبادَتَه ووَرَعَه، مُتحدِّثا عن فضلِ هَذا الدّين الجَدِيد علَيهِ، يقول:

وَفِـينَا رَسُـول الله يَتـــلُو كِتَـــابَه إذَا انشَقّ مَعرُوف مِن الصّبحِ سَاطِع

أرانَا الهُـدَى بَعدَ العـــمَى فَقـلُوبنَا بِهِ مُـــوقِنَـــات أنّ مَا قَـــالَ وَاقِـــع

يَبيتُ يُجَـــافِي جَنـــبَه عَن فِـــرَاشِه إذَا استثـقَلت بِالكَافِرينَ المَضَـــاجِع

وأعلَم عِـلمًا لَيسَ بِالظّـــن أنّـــنِي إلَى الله مَحشُـــور إلَـيهِ وَرَاجـــــع[1]

ومدَحَه مُنشدا حِين تقدّمَ الرّسول (ﷺ) لِيودعَه في غَزوة مُؤتة قائِلا:

أنتَ الرّسُول فمَـن يُحرَم نوافِـــلَه والوَجـــهُ مِنـه فَـقَد أَزْرى بِهِ القَـدَر

فَثَـــبَّت الله مَا آتـاكَ مِن حـــسَن فِي المُرسَلين ونَصْرا كالّذِي نُصِـروا

إنِي تَفَـرَّسْت فِيكَ الخَـــيرَ نَافِلَة فِراسَة خَالَفتُ فِـــيكَ الّذِي نَظَرُوا [2]

وَمَن أحسَن مَا مَدَح به عبدُ اللهِ بن رَواحَة النّبي أيضا، قوله:

لَو لَم تَـكُنْ فِـيه آياتٌ مُبَـــيّنَةٌ كَانَـت بَدِيـــهَـتُه تُنْبِـيك بالخَبَرِ

فثَـبَّتَ اللهُ مَـا أتَـاكَ من حَسَن قَفَوتَ عِيـــسَى بإذنِ اللهِ والقَـدرِ [3]

وَكلّ هذِه الشّواهد الشّعريّة تدلّنا فِعلا أنّ عَبد الله بن رَواحَة كانَ فَارِسا شُجَاعا، وشَاعِرا مُجيدا سَخّر كُلّ طاقاتِه الشّعريّة الإبداعيّة لخِدمَة الدّين الإسلاَميّ وإعلاَء كلِمَة الحقّ، ونُصرَة رَسولِ اللهِ (ﷺ) وصَحَابتهِ، والمُلاحَظُ جَليا علَى هذِه الشّواهِد أنّهَا مُجرّد

---

[1]– يُنظَر.. وليد قصّاب: **ديوان عبد الله بن رَواحَة ودراسة في سيرته وشعره**، ص93–94.

[2]– محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص35.

[3]– وليد قصّاب: **ديوان عبد الله بن رَواحَة ودراسة في سيرته وشعره**، ص94–95.

أبياتٍ وقطعٍ شعريّةٍ، ولَيست قصَائدًا مُطوّلة مَخصُوصَة بِمدح رَسولِ اللهِ (ﷺ)، ولِذلكَ لَن نعتمِد أيًّا مِنها كمُدونَة بَحثٍ للفَصلِ التّطبيقِي لِهذِه الدّراسَة لِقصرِها الشّدِيد.

2-4- كَعب بن زُهَير (ت 26هـ):[1]

كان كَعب بن زُهَير بن أبي سَلمى أحَد الشّعراء المُخضرَمِين فِي عَصرِه، بَلغَ مِن الشّعرِ والشّهرَة حَظّاً وَافراً خَاصّة بَعد مَدحِه للنّبي (ﷺ)، وقصّة مدحه لِرسول الله مَشهورة، سَال عمّا قالَه فيها مِن شِعر-**لاميته المشهورة "بانت سعاد"**- حِبر كَثير إلَى يَومنا هَذا شَرحا ونَقدا وتَحلِيلا وَمُعارَضَة، رَغم أنّه لَم يَكُن صَادِق النيّة فِي مَدحِه، بل كانَ هدفه الأول هو النّجاة مِن المَوت، حَيث يُروَى أنّه حِين هاجَر بُجَير بن زُهَير -أخو كَعب- إلَى المَدينة التقَى بِرسولِ الله (ﷺ) وأسلَم علَى يديهِ، فلمّا عَلِم كعب بذلك وبّخه وطلَبَ منهُ العدُول عمّا فَعل، لأنّه اعتنقَ دِينا لَم يكن عَليه أحدٌ مِن آبائِه، وسَخِر منه مُتعرِّضا إلى النّبي بمَا لَا يليق، نَاعِتا إياه بالمَأمون، قال كَعب حينها:

ألا أَبْلِغا عَنّي بُجَيْرا رِسَالةً فَهَلْ لَكَ فيما قُلْتُ -وَيْحَكَ- هَلْ لكَا
شربتَ مَعَ المأمونِ كَأسًا رَويّةً فأَنْهَلَكَ المأمونُ مِنهَا وعَلّكَا
وخالَفْتَ أسبَابَ الهُدى وَتَبعتَهُ عَلَى أيّ شيء -رَيْبَ غَيرِكَ- دَلّكَا

---

[1]- **كَعب بن زُهَير**: هو كَعب بن زُهَير بن أبي سلمى المزني، شاعر مخضرم عالي الطبقة، عاش عصرين مختلفين، هما عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام، كان ممن اشتُهِر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر دمه، فخاف كعب على نفسه وجاء إلى رسول الله مستأمناً إياه، وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها "بانت سعاد فقلبي اليوم متبول" فعفا عنه النّبي، وأهداه بردته، وكَعب بن زُهَير من أعرق النّاس في الشعر؛ أبوه هو زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات السبع، وأمه امرأة من بني عبد الله بن غطفان، يقال لها كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم، وأخوه بجير، وابنه عقبة، وحفيده العوّام بن عقبة، وكلّهم شعراء. تلقن كعب الشعر عن أبيه مثله مثل أخيه بجير، وكان زهير يحفظهم الشعر ومنه شعره، ويقال عن كعب أنه كان يخرج به أبوه إلى الصحراء، فيلقي عليه بيتاً أو سطراً ويطلب منه أن يجيزه تمريناً له، كما كان كعب في عصر ما قبل الإسلام شاعراً معروفاً، حاول أن ينظم الشعر منذ حداثته فردعه أبوه مخافة أن يتسفّل ويأتي بالضعيف، فيكون سُبّة له وتشويها لمجد الأسرة، وبعد أن تأكّد من نبوغه ومقدرته سمح له بالانطلاق، فكان من المبرزين المقدمين. للاستزادة: يُنظَر.. كَعب بن زُهَير: **ديوان كَعب بن زُهَير**، شر/تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ص3 إلى ص7.

علَى خُلقِ لَـم تُلْفِ أُمّـا وَ لَا أبـا عَلـيهِ ولَم تُـدركْ عَلَـيه أخاً لَـكـا [1]

وَلمّا وصلَ هَذا الشّعر "**بُجَيْراً**" كَره أن يَكتمه عَن رَسولِ الله (ﷺ)، فأسمَعهُ إياه، فتفَطّن النّبيّ إلى أن المَقصُود بالمأمُون هو رَسول الله (ﷺ) نفسه، فتوعّدَه وأهدَر دَمَه، ثمّ ردّ كَعب على أخِيه بَعد ذلِك قائلا:

من مُبَلّـغٍ كَعبًا فَهَـل لَك فِـي الّتِي تَلُومُ عَلَيـهَا بَـاطِـلاً وَهِيَ أحـزمُ

إلى الله –لَا العزى ولَا اللّات– وَحدَه فتَنْجُو إذَا كَـانَ النَـجاءُ وتَسـلمُ

لَدَى يَوم لا يَنْـجو وَلَيـسَ بِمُـفْلِتٍ مِنَ النّاسِ إلّا طَـاهرُ القَلبِ مُسْلمُ

فَدِينُ زُهَيرٍ وهُـوَ لَا شَـيءٌ دِيـنُه وَدِينُ أبِـي سَلـمَى عَلَـيَّ مُحَرَّمُ [2]

وَبعدَ مُشاركة "**بُجَير**" في غَزوَة "**حُنَين**"، وفي حِصَار الطَائِف وَقِتال المشرِكينَ مِن "**ثـقيف**" عَاد إلـى المَدينـة فـي صُحبَة رَسول الله (ﷺ)، وأخذَتـهُ صِلة الرّحمِ بأخِيه فكتبَ إليهِ يقولُ إنّ النّبِيّ يَهُمُّ بقتلِ كلّ مَن يؤذيهِ مِن الشّعرَاء المُشرِكينَ، ودعَاه إلـى القدومِ عَليهِ لأنّه لَا يَقتُلُ أحدًا جَاءَ تائِبا إليهِ، وإلاّ فلْيُمعِنِ الهَرب والنّجَاء فِي الأرضِ، ولمّا جَاء كَعباً كتابُ أخيهِ ضَاقت بِه الأرضُ وأرجفَ بِه أهله، وقَالُوا إنّهُ مَقتول"[3] فهَامَ يترامَى علَى القبائلِ أن تُجِيرَه فلمْ يُجِرهُ أحَدٌ.

ثمّ خرجَ إلَى المَدينة فنزلَ علَى رَجلٍ من "جُهَينة" كانَ يَعرِفه، فَغَدا بِه إلى رَسولِ اللهِ حينَ صَلَّى الصّبحَ؛ "فصَلَّى مَعه ثمّ أشَارَ إليهِ –صَلّى اللهُ علَيه وَسَلَم– فقَال: هَذا رَسول اللهِ (ﷺ) فَقُمْ إليهِ فاستأمِنه، فقَام كَعبٌ إلَى النّبيّ (ﷺ) حَتّى جَلَس إليهِ، فوضَعَ يَده فِي يَدِه، وَعرّفه بِنفسِه مُوضِّحا لَه أنّهُ جَاء لِيستأمِنه تَائباً مُسلماً، فقبِل مِنه رَسولُ اللهِ (ﷺ) توبَتهُ، وَكفّ رَجُلا من الأنصَار أرادَ أن يَضرِبَ عُنقه، حَيثُ قَال لَه: "دَعهُ عَنك، لَقد جَاء تَائباً نَازعاً عَمّا كَان علِيه قالَ: فَغضِبَ كَعب عَلى هَذا الحَيِّ مِن

---

[1]– يُنظَر.. زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص20–21.

[2]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص46.

[3]– نفسه، ص47.

الأنصَار لِما صَنعَ بِه، وذَلك أنّه لَم يَتكلّم فِيه رَجلٌ مِنَ المُهاجرينَ إلا بِخَير. فقَالَ قصِيدَته اللاميّة الّتِي يَمدَح فيهَا رَسول الله (ﷺ)، حَيث بَدأها بِوصفِ مَحبوبَتِهِ ونَسيبٍ ذَكرَ فِيه خَوفه وإرجَافَ الوُشَاة بِه مِن عَدوّهِ[1]، يَقول كَعب بن زُهَير فِي أولِ لاميته المشهُورَة مَا يلِي:

بانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُتَبْولُ مُتَيّمٌ إثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُولُ[2]

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إذْ رَحَلُوا إلّا أَغَنّ غَضِيضُ الطّرْفِ مَكْحُولُ

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً لَا يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلَا طُولُ

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنّهُ مُنْهَلٌ بِالرّاحِ مَتعْلُولُ

شُجّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

تَجلو الرّيَاحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بِيضٌ يَعالِيلُ

يا ويحَها خُلّةً لَوْ أَنّهَا صَدَقَتْ ما وَعْدِت أَوْ لَوَ انّ النّصْحَ مَقْبُولُ

لَكِنّهَا خُلّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ

وَمَا تَمَسّكُ بِالوصل الّذي زَعَمَتْ إلّا كَمَا تُمْسِكُ الْماءَ الْغَرَابِيلُ كَانَتْ

مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إلّا الْأَبَاطِيلُ

أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ يَعْجَلْن في أَبَد وَمَا لهنّ طَوالَ الدَّهر تعجيلُ

فَلَا يَغُرّنْكَ مَا مَنّتْ وَمَا وَعَدَتْ إنّ الْأَمَانِيّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

أمْسَتْ سُعادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلّغُهَا إلّا الْعِتَاقُ النّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ[3]

---

[1]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص47. ويُنظَر.. زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص21.

[2]–ورد الشطر الثاني من البيت الأول في "جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي بصيغة:

مُتَيّمٌ إثْرَهَا (لَمْ يُفدَ) مَكْبُولُ

[3]– كَعب بن زُهَير: **ديوان كَعب بن زُهَير**، ص60 إلى: ص62.

ثمّ انتقلَ كَعب إلَى وَصفِ نَاقته وَصفًا دَقيقا علَى التّقاليدِ الشّعرِيّة القديمَة المَعروفَة إلَى أن مَدَح رَسولَ الله (ﷺ) قائِلا:

وَقالَ كُـلُّ خَلـــيلٍ كُنـــتُ آمُلُـهُ لا أُلفِيَنَّـــكَ إنّـي عَنكَ مَشـغُولُ
فَقُـلتُ خَلّوا طريـــقيَ لا أَبا لَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحـمَنُ مَفعُـولُ
كُلُ اِبنِ أُنثى وَإن طـالَت سَلامَـتُهُ يَوماً عَلى آلَـةٍ حَدباءَ مَحـمُولُ
أُنبِئتُ أَنَّ رَسـولَ اللَـهِ أَوعَـــدَني وَالعَفوُ عِندَ رَسولِ اللَـهِ مَأمُـولُ
مَـهلاً هَداكَ الّذي أَعطَاكَ نافِلَـةَ الـ ـقُرآنِ فيها مَواعـيظٌ وَتَفصُـيلُ
لا تَأَخُـذَنّي بِأَقـــوالِ الوُشاةِ وَلَم أُذنِب وَإن كَثُـرَت عَلـيّ الأَقـاويلُ [1]

ثمّ خَتم كَعب قَصيدَته بِأبيَاتٍ يَمدَح فِيها رَسولَ الله (ﷺ)، واصِفا إياه كَسَيف مِن سُيوف اللهِ مَسلول، كمَا أثنَى فِيها علَى المُهاجِرين لِخُروجِهم مَع رَسولِ الله مِن مَكّة إلَى المَدينَة بإرادَتهِم مُقتنعِين بِما يَفعلون، لَا خَوفا مِنه، وَلا تَهيُّبا مِن القِتالِ والمَوت، يقولُ كَعب في هذا الشّأن:

إنَّ الرّسول لَسَيـــفٌ يُستَـــضاءُ بِـهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيـــوفِ اللَـهِ مَســـلولُ
في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قـالَ قائِلُهُم بِبَطـــنِ مَكَّـــةَ لَمّا أَسلَموا: زولوا
زَالـــوا، فَمـــازالَ أَنكـاسٌ، وَلا كُشُـفٌ عِنـدَ اللِقـــاءِ وَلا ميـــلٌ مَعـــازيلُ
شُـمُّ العَرانـينِ أَبطـــالٌ لَبوسُـــهُـمُ مِن نَسْـجِ داوُدَ في الهَيـجا سَرابيلُ
بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّـــت لَـها حَلَـقٌ كَأَنَّـها حَلَقُ القَفـــعَاءِ مَجـــدُولُ
لَا يَفرَحـونَ إذا نـالَـــت رِماحُـــــهُمُ قَوماً وَلَيسـوا مَجـازيعاً إذا نيـلوا
يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُـهُم ضَربٌ إذا عَـــرَّدَ السُّـــودُ التَنابيلُ
لَا يَقَـعُ الطَـــعنُ إلّا فـــي نُحـــورِهِمُ ما إن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ [2]

---

[1]– كَعب بن زُهَير: **ديوان كَعب بن زُهَير**، ص65.

[2]– نفسه، ص67.

وَلمّا فَرغ كَعب مِن إلقَاء قَصيدته وإنشَادِها، عَفا عَنه رَسولُ الله (ﷺ) وكَسَاه بُردَته الشّريفة؛ فَسُمِّيت قصِيدَته بِـ "البُردة" نِسبة إلى ذَلِك، ثمّ حَسُن إسلَامه وأخذَ يُصدِر شِعْرا يتضَمّن مَواعظا وحِكمًا كَثيرة تأثُّراً بأحكَامِ القرآن الكريم ومَبادئ الدّينِ الجَديدِ، وبهَذا أنقذَ الله تعَالَى كَعبًا بن زُهَير مِن الكُفر والشِّرك، وهدَاه إلى الإسلَام، وَمِن ظَلَام الجَاهليّة إلَى النّورِ المُبِين.

وَقَد أخذَت هَذِه القَصِيدة اهتمَامًا كَبيرًا جِدّا مِن طَرفِ الشّعرَاء إلَى يَومِنا هَذا، حَيث شَطّروهَا وَخمّسوهَا وَعَارضُوها، وشَرحَها الشّارِحونَ والدّارسون بتفصِيلٍ ودقّةٍ متناهيةٍ، مُتتبِعِين فيها كلّ كَبيرة وصَغيرة، إلاّ أنّ المتأمّلَ جَيّدا فيهَا يلمَح بِوضوحٍ ضُعفَ رُوح الدّينِ الإسلَاميّ فِيها رَغم قوّة سَبكِها ونَظمِها، وَهذا فِي الحَقيقة لَيس بِغريبٍ لأنّها قَصِيدة علَى طَريقةِ نَظم شُعراءِ الجَاهلية، ولكِن عَيبها أنَّهَا لَم تُقَل بِصدقِ نِيّة لِمدحِ رَسولِ اللهِ صلّى الله علَيهِ وسلّم.

وهذا مَا جَعلنا نوافِق –إلى حَدٍّ كَبير– مَا ذهَب إليه الدّكتور زكِي مُبارك الّذِي توصَّل إلَى أنّ "كَعبًا بن زُهير لَم يَقل لَاميتَه وَهو مَأخوذٌ بِعاطفةٍ دينيّةٍ قويّةٍ، تسمُو بِه إلَى رُوحِ التّصوّفِ، إنّمَا هِي قَصيدَة من قصَائد المَديحِ، يَقولُها الرّجلُ حِين يَرجو أو يخَاف، ولَيست مِن المَدائِح النّبويّة فِي شَيء"[1] مِثلُها مِثل دَالية الأعشَى الّتِي تكلّمنَا عنهَا سَابقا، وَبِناء علَى كُلّ مَا سَبق لَن نَعتمِد هَذه القصِيدَة كَمدوّنَة بَحثٍ للفَصلِ التّطبيقيّ لِهذه الدّراسَة.

[1]– زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، ص22.

3. خصَائِص شِعر المَدِيح النّبوِي في عَصر صَدر الإسلَام مِن حَيث الشّكل:

تميّزَت أشعَار المَدائِح النّبويّة مِن حَيث شَكلِها وَهيكِلها العَام وَمُقوّمَات بِنائِها المفصَليّة فِي عَصر صَدر الإسلَام باستنَادِها إلَى خَصائِص القَصِيدة الجَاهلِيّة العَمودِيّة المَعروفَة، القَائِمة علَى نِظام الشّطرَين وَوِحدة الرّوِي والقَوافِي مِن بِداية القصِيدَة إلَى نِهايتِها، والتّصرِيع والتّرصِيع والتّوازي وغَيرها مِن الضَّوابط الشّكليّة، وَهِي خَصَائص لَا تَتَحقّق دَائما فِي القَصِيدة الحَدِيثة (المُتأخِّرة مِن العَصر الحَدِيث خاصّة) والمُعاصِرة؛ الّتِي تَخلّى فِيها الكَثير مِن الشّعرَاء عَن ذَلك النّظَام الصّارِم – خَاصّة فِي الشّعرِ الحُرِّ– وتَخلّصُوا من الكثِير مِن قَواعِده الّتِي طَالما يَترتّب عَنها نَوعٌ مِن المِعياريّة والثّبات والرّتابَة المُفضِية إلَى المَلل والنّفورِ عِند المتلقِي فِي كَثِير مِن الأحيَان.

وفِيما يلي نلخّصُ أهَمّ هذِه الضّوابِط الشّكلِيّة[1] الّتِي تميّزت بِها القَصِيدة المَدحِيّة النّبويّة فِي هَذا العَصر:

3-1. اعتمَاد أوزانِ البُحور الطَّوِيلَة:

الحَديث عَن أهمّ أوزانِ قَصِيدَة المَدِيح النّبوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام وأكثرِها استعمَالا وعَلَاقتها بِمَوضوع المَدائِح النّبويّة هو فِي الحَقيقة حَديث –غَير مُباشر– عَن أهمّ أوزانِ قصِيدة مَا قبل ذلِك العَصر (أي العَصر الجَاهِلي) وأكثرهَا تداولًا، ذَلك أنّ شَكل القَصِيدة وَهيكَلِها العَام لَم يَتغيّر بَين لَيلَة وَضُحاهَا بِمُجرّد نُزولِ الوَحي علَى رَسول اللهِ (ﷺ) وانتِشَار رِسالَتهِ، وإنّما التّغيّر كانَ بَادِئ ذِي بدءٍ وبِشَكلٍ تَدرِيجِي علَى مُستوَى ألفاظِ القَصَائد ومَضمُونها بِشكل جُزئي، والمُطّلع عَلَى مُختلَف أشعَار العَصرَين يُلاحِظ ذلك بِوُضوح.

---

[1]– لم نتطرّق إلى جميع الضّوابط الشّكلية التي تتميز بها قصيدة المديح النبوي وخاصة ما يتعلق بالإيقاع الداخلي لها (التكرار بأنواعه، المقاطع الصوتية وأنواعها، الحروف المهموسة والمجهورة...) لأن دراسة هذه الخصائص يتطلّب منا إحصاءها أولا، وذلك ليس بالأمر السّهل والهين بالنظر إلى ضرورة تقيّدنا بعامل الوقت المحدّد لإنجاز هذه الدراسة، ولكثرة القصائد والشعراء على حدٍّ سواء.

وَبِناء على هَذا تميّزَت المَدائِح النّبويّة فِي عَصرِ صدرِ الإسلَام علَى مستوى الإيقَاع الخَارِجي لَها بِكثرَة نَظمِها علَى أوزانِ البُحورِ الطّويلَة، وَخاصَّة **بَحر الطّوِيل وبَحر البَسيط وبَحر الخَفيف وبَحر الكامل وبَحر الوافر...** "وهي بُحُور -كما هوَ مَعروف عِند أهلِ الاختصَاص- كَثيرةُ الاعتِماد فِي قَصَائِد الشِّعر العَرَبِي القَدِيم"[1] لاحتِوائها علَى عددٍ أكبَر مِن التّفعيلات وأنواعِها مُقارنة بِبقيّة البُحور، حَيث تُتِيح للشّاعِر استعمَالاَت لغويّةٍ أكثَر، أضِفْ إلى أنّهَا كَانت تُستَعمل للأغراضِ الجَليلة والهَامّة، وَهو مَا يتنَاسب مَع مَوضوع المَديح النّبوِي كَونُه مِن الأغرَاضِ الجَليلَة والمَواضِيع الهَامّة كَمدحِ الملوكِ والأمراءِ والتّصوّف الرّوحَانِي وتشيّع آلِ البَيت وغَيرِها.

وَكيفَ لَا يُمدَح رَسولُ الله (ﷺ) وَهو أعظَم خَلْق اللهِ مَكانَة وأدبًا وخُلُقا؛ فَقد قَال الله تعَالَى عَنه فِي هَذا الشّأن فِي مُحكَم تنزِيله: "**وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**"[2] رَدًّا عَلى المُشركين الّذِين اتّهمُوه بالجُنون وقلّلوا مِن قيمتهِ، وكيفَ لا يُمدَح (ﷺ) وهوَ سَيّد الأولِين والآخِرين كمَا قالَ عَن نفسِه؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيد قال (ﷺ): "**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**"[3]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّه (ﷺ) قَالَ: "**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ.**"[4] وبناء علَى هذا -وغيرِه من الآياتِ والأحادِيث- كانَ مَوضُوع مَدح رَسُول الله (ﷺ) مِن أهمّ مَا حرّض قَريحَة الشّعراء وَوِجدَانهم علَى الإبدَاع والنّظم.

---

[1]- للاستزادة حول الموضوع ينظر.. محمّد بشير: **نظرات في البحور المتداولة بكثرة في الشّعر العربي استخدامها في الشّعر الأردي**، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع22، 2015م، من ص27 إلى ص48.

[2]- سورة القلم، الآية: 04.

[3]- رواه التّرمذي، وصحّحه الألباني في صحيح التّرمذي.

[4]- رواه مسلم

ومِن أمثلَة قَصَائد المَديحِ النّبوِي الّتِي نُظمَت فِي عَصر صَدر الإسلَام –علَى سَبيلِ المِثال لَا الحَصر– علَى أوزَان البُحورِ الطَّويلة عَينيَّة حَسّان بن ثَابِت المَشهورَة **(إنّ الــذّوائبَ منْ فِـهْـرٍ)** –الّتِي أشرنا إليها سَابِقا في الصّفحة (73)– حِين ردَّ علَى شَاعِر وَفد بَني تَميم "الزبرقان بن بَدر" مُدافِعا عَن الرّسولِ (ﷺ)، فَهِي مَنظومَة عَلَى **بَحر البَسيط** وتفعيلَاته الأصليّة كَما هُو مَعرُوف هي:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

وللتّأكّد من بَحرِ القصِيدة نُقَطِّع البَيت الأوّل مِنها، يقول حَسّان:

إنّ الــــذّوائبَ منْ فِـهـرٍ وإخوتَـهـم قدْ بَيّنُوا سُنّـــــــــةً للنَّاسِ تُتَّبَـعُ

إنّ ذْذَوَاْ	ئِبَ مِنْ	فِـهْـرِنْ وَإِخْـ	ـوَتَهُـمْ	قَدْ بَيْـيَـنُوْ	سُنْنَـتَنْ	لِنْـنَاْسِ تُتْ	تَبَـعُوْ
0//0/0/	0/ //	0// 0/0/	0///	0//0/ 0/	0//0/	0/ /0/0/	0///
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

ونُلاحِظ جَليا تَحوُّل التّفعيلة **(فَاعِلُن)** إلى **(فَعِلُنْ)** في الشّطر الأول مِن البَيت وَعَروضه وضَربه، وذلِك بِسبَبِ زِحَاف الخَبن (حَذف الحَرف الثّانِي السّاكِن) فِي الحَشو وهو زِحاف حَسن، وبِسبَب عِلّة القَطع (وهي حَذف آخر الوَتد المَجمُوع مَع إسكَان مَا قبله) في الضّرب والعَروض وهِي عِلّة طَبيعيّة كَثيرة الوُرود فِي هَذا البَحر أيضا.

وَلنُقطّع البَيت الأوّل أيضًا مِن لاَمية "كَعب بن زُهَير" المَشهورة "بَانَت سُعَاد":

بانَتْ سُعَادُ فَقَـلْبِي الْيَــوْمَ مُتَــبْولُ مُتَيّـــمٌ إثْرَهَا لَمْ يُـــجْزَ مَكْــبُولُ[1]

بَاْنَتْ سُعَاْ	دُفَقَلْ	بِلْـيَوْمُ مَتْ	بُوْلُوْ	مُتَيْيَمُنْ	إِثْرَهَاْ	لَمْ يُجْزَ مَكْ	بُـوْلُوْ
0//0/0/	0/ //	0// 0/0/	0/0/	0//0/ /	0//0/	0/ /0/0/	0/0/
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعْلُنْ	مَفَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعْلُنْ

[1]– يُنظَر.. كَعب بن زُهَير: **ديوان كَعب بن زُهَير**، ص60. (ورد الشطر الثاني في رواية أخرى بصيغة: لم يُفْدَ)

وتقودنَا هَذه التفعِيلَات الّتِي تحصلنا عليها إلى الحديث عن "**بحر البسيط**" أيضا، حيث نلاحظ جليا دخول زحاف الخبن (حذف الحرف الثّاني السّاكن) على تفعيلتي (**مُسْتَفْعِلُنْ**) في الشطر الثاني، وَ(**فَاعِلُنْ**) في الشطر الأول، وتحوُّلهما إلى الصيغتين: (**مُتَفْعِلُنْ** وتُنقَل إلى: **مَفَاعِلُنْ**) وَ(**فَعِلُنْ**) على الترتيب، وزحاف الخبن هذا زحاف حسن – كما سبق وأن أشرنا– وكثير الورود في هذا البحر، كما تحولت تفعيلة عروض البيت وضربه من (**فَاعِلُنْ**) صيغة (**فَعْلُنْ**) بسبب علّة القطع (وهي حذف أول أو ثاني الوتد المجموع) وهي علّة بالنقص قليلة الورود في بحر البسيط.

وغير هذه القصائد المنظومة على أوزان البحور الطويلة كثيرة لا يسعنا أن نتطرّق إليها جميعا بالنّظر إلى كثرتها وتقيّدنا بعامل الوقت.

3-2. وحدة القافية والرّوي والتّصريع:

يتّفقُ أهلُ الاختِصَاصِ أنّ القَافِيةَ فِي الشّعرِ هِيَ آخِرُ البيت الشّعريّ ونهايته، وشريكة الوزن في إحداث أثر موسيقيّ عامٍّ للقصِيدة، وتكُون –حَسبَ الخَليل بن أحمد الفراهيدي– ابتداء "مِن آخِر حَرف سَاكِن فِي البيت إلَى أول سَاكِن يليهِ مع مَا قَبله"[1]، وتُسمَى قَافِية مُطلَقة إذا كَان رَويّها مُتحرّكا، وتُسمَى قافِية مُقيّدة إذا كَان رَوِيّها سَاكِنا، "وهي بِمثابَة الفَواصِل المُوسِيقيّة الّتِي يَتوقّع السّامِع تَردُّدها، ويَستمتِع بِذلِك التَّردّد الّذِي يَطرق الآذان فِي فَترات زَمنِيّة مُنتظَمة"[2].

أمّا الرّوِي فَهو حَرف أسَاسِي مِن حُروفِ القَافِية الّتِي يَلتزم الشّاعر بِتكرَارها فِي كَامِل أبيَاتِ القَصِيدة، وَإليه تُنسَب القَصِيدة، فَيُقال: مِيمِيّة أو رَائيّة أو دَاليّة... "وكُلّ الحُروف تَصلُح أن تَكُون رَويًّا إلّا بِضعَة مِنها وَهِي حُروف المدّ الثَّلاَثة والهَاء والتَنوين[3]

---

[1]– إيميل بديع يعقوب: **المُعجم المُفصّل في علم العروض والقافية وفنون الشّعر**، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص47.

[2]– يُنظَر: إبراهيم أنيس: **موسيقى الشّعر**، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1952م، ص11– 12.

[3]– يُنظَر: إيميل بديع يعقوب، **المُعجم المُفصّل في علم العروض والقافية وفنون الشّعر**، ص352.

ويُعَد "السّببُ الرّئيسُ فِي مَنع صَلَاحِيتها للرّوي أنّها تُمثّل حَركَة الحَرفِ الأخِير الصّحيحِ، أو أنّهَا تَابع للحَرفِ الأخِير"[1] فِي النُّطقِ حَيث تُسمَى حِينها بِحُروفِ الإشبَاع.

وَأمّا التّصرِيع في الشّعرِ فهو بِمنزلة السّجَع في الكَلام المَنثور، وهوَ مُحَسّن بَدِيعي لَفظيّ وَارِد بِكثرة فِي شِعر القدمَاء والمُحدَثين، وفِيه تتّفق قافِية الشّطرِ الأوّل مَع قافِية الشّطرِ الثّانِي مِن البَيت الأوّل مَع توافقِ وتطَابق الحَرفين الأخِيرين، وإذَا أوردَه الشّاعِر في غيرِ البيتِ الأوّلِ يُصبِح تقفية ويكُون البَيت حِينها مُقفى، ويقول ابن القطَّاع[2]: "واشتِقاق التَّصرِيع مِن مِصراعي البَاب؛ ولِذلك قِيل لنِصف البَيت مِصرَاع، كأنَّه بَاب القصيدَة ومَدخلُها، وقيلَ: بَل هو مِن الصرعَينِ، وهمَا طرَف النّهَار، قالَ الزجَّاج: الأوَّل مِنهما مِن طُلوع الشّمس إلى استِواء النّهارِ، والآخر مِن زَوال الشّمس مِن كَبد السّماءِ إلى مَغيبهَا."[3]

وقَد تَميّزت قَصِيدَة المَدِيح النّبوي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام بِتصرِيع بَيتِها الأول، وقَوافِيها المُطلَقة وتنوّع حُروفِ رَويّها مِن قَصيدَة إلَى أخرَى، حَيثُ جَاءَت القَصَائد الأكثرُ شُهرة –عَلَى قَدر مَا اطّلعنا عَليه مِن قَصائِد– ذَات قَوافٍ مُطلَقة مُنتهِية بِرويّ: **الدّال، والعَين، والمِيم، واللّام، والهَمزة،** وهِي قَوافٍ صَالِحة وكَثيرة الاعتِماد فِي الشّعرِ الجَاهلِي – والشّعر العَربي عُموما– لِمُرونتها وسُهولَة نُطقِها وَكثرَة أبنِيتهَا، وَمِن أمثلَتِها

---

[1]– عبد الله درويش: **دراسات في العَروض والقافية**، مكتبة الطالب الجامعي، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1987م، ص96.

[2]– **ابن القطّاع:** هو أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع السّعدي الصقلي ، من أسرة الأغالبة، ولد بصقلية سنة 433هـ /1041م، درس في الأندلس وبعد احتلال الإفرنج لصقلية ذهب إلى مصر، توفى بالفسطاط سنة 515هـ/1121م، وقيل 514هـ/1120م، من آثاره: "الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة" أو"الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة" أي صقلية، "كتاب الأفعال" أو "كتاب أبنية الأفعال"، "لمح الملح"، الشّافي في علم القوافي...

[3]– أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السّعدي بن القطَّاع الصقلّي: **الشّافي في علم القوافي**، تح: صالح بن حسين عايد، دار كنوز إشبيليا للنّشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، ط1، 1998م، ص60.

علَى سَبيل المِثال لَا الحَصر دَالية حَسّان بن ثَابِت الّتِي رَثى فِيها رَسول الله (ﷺ)، ويَقول فِي مَطلعِها:

بِطَيبَـــة رَسْـــمٌ للرَّسُـولِ ومَعْهَـدُ مُنِيـــر وَقَـد تَعْـفُو الـرُّسُومُ وتَهْمُدُ

ولا تمتحي الآيــات من دار حرمة بها منبرُ الهادِي الّذي كَانَ يصعدُ

وواضـــحُ آثـــارٍ وباقي معـــالم ورَبْـــعٌ لَهُ فيه مصلّى ومسـجـــدُ[1]

ونلَاحظ أنّ البَيت الأوّل مِن مَرثية حَسّان (رضي الله عنه) قد جَاء مُصرّعًا (لأنّ كلّ شطرٍ مِنه ينتهِي بِحرفِ الدّال مَع اتّفاق القافِية)، وقافيته مُطلقة ورَويّها هُو حَرف الدّال؛ وَهو مِن الحُروف المَجُهُورة النِّطْعيَّة، "قال عنه الشّيخ جَلَال الدّين الرّومِي[2] أنّه قَامَة العَاشِق إذا أصَابَه الحُزن، إذْ قَال: إنّ القلوبَ الّتِي دلّها العَاشقونَ أصبَحت دالَات"[3] وهَذا ما يتوافقُ مَع مناسبَة نَظم القصِيدة؛ الّتِي نُظِمت بَعد وَفاة رَسول اللهِ (ﷺ) حَيث كَان الجميعُ – بِما فِيهم حسّان بن ثَابِت– تَحت صَدمةِ وَفاتهِ حَزِينِينَ عَليه غيرَ مُصَدِّقِينَ بما حدَث لَه.

---

[1]– أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج 4، ص260.

[2]– **جلال الدّين الرّومي:** اسمه بالفارسي "جلال الدين محمد بلخى" (1207م– 1273م)، وهو شاعر ومتصوف، وعالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ولد في بلخ بأفغانستان وانتقل مع أبيه إلى بغداد في الرابعة من عمره، فترعرع بها في المدرسة المستنصرية، ولم تطل إقامته هناك حيث قام برحلة واسعة مع أبيه، ومكث في بعض البلدان مدداً طويلةً برفقته، ثم استقر في قونية سنة 623هـ في عهد دولة السلاجقة الأتراك، وعرف جلال الدّين بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه سنة 628هـ ثم ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف سنة 642هـ، ترجمت بعض أعماله في العصر الحديث إلى كثير من لغات العالم ولقيت صدًى واسعاً جداً.

[3]– ينظر... وليد سليمان: **أسرار الحروف في العربيّة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني لصحيفة الرأي: http://alrai.com/article/121160.html، تاريخ النّشر: 17 سبتمبر 2005م، تاريخ الاطلاع: 17 أفريل 2017.

3-3. ظَاهِــرة التَّــوازي وتَولُّد التّكرار عَنـها:

التّوازي فِي الشّعرِ العربيِّ مُصطَلح مَأخوذٌ مِن مَيدانه الأصلِي "الهندسَة"، شَأنُه فِي ذلِك شَأنُ كَثير مِن مُصطلحَات النّقدِ والأدبِ المُستعارة مِن ميَادين مُختلِفة مِن العُلوم، وهوَ ظاهرةٌ صَوتيّةٌ إيقاعيّةٌ كثيرةُ الاعتمَادِ فيهِ قديمًا وحديثًا، يشبهُ إلى حدٍّ كَبير مَا يعرفُ بالتّرصِيع؛ وهو اتّفاقُ جُملتين أو أكثَر في عَدَد الكلمات مَع اتفاق كلّ كلِمة مَع مَا يُقابلها فِي الحَرف الأخِير، أمّا التّوازي فَهو ذلِك التّشابُه والتّماثل الحَاصِل فِي بِنية البَيت الشّعرِي، بِحيث يَنتج عَنه جُملا مُتطابِقة ومُتعادِلة فِي مَبناها بِغضِّ النّظرِ عَن مَعانِيها، "ويقومُ فيها الأديبُ بتقطيعِها تقطِيعا مُتساوِيا بِحيثُ تتّفق فِي البناءِ النّحوي اتفاقا تامًا، وسَواء اتّفقت هذِه الجُمل في الدّلالَة أم لَم تتّفق، فالمُهِم هُو تَطابُقها التّام في البِناء النّحوِي[1]، الّذِي ينتجُ عنه نوعٌ من التناغُم الإيقاعِي والتأثيرِ الفنّي علَى المُتلقي، وَيتولّد عنهُ في كثيرٍ من الأحيَان تكرارُ بَعض الكَلمات أو الحُروف حَتى يَستقيم ذَلك التّوازي، نَاهيكَ عَن التّماثل العَروضِي الحَاصِل بالضَرورة، وهُو الأمر الّذي يُسهّل علَى الشّاعِر إقامةَ وزنِه الشّعرِي دُون عَناء.

والمَدائِح النّبويّة في عَصر صَدر الإسلَام تميّزت أيضًا بورود ظاهِرة التّوازِي وتولّد التكرار عَنها فِي مُختلف قصَائد الشّعراءِ، ومِن المواضِع الّتِي تَحقّقت فيها هذِه الظّاهرَة -على سَبيل المِثال لا الحَصر- مَا قاله ابنُ رَواحَة مِن أبيَات حِينما دَخل مَكّة المُكرّمَة مع رسُول الله (ﷺ) في عُمرة القَضاء وَهو آخذ بِخُطام ناقتِه، يقول:

نَحـنُ قَتلنــاكُم عَـلَى تَأوِيــلِه كَما قتلــنَاكُم عَـلَى تَنــزِيلِه

ضربًا يُزيـل الـهَام عَن مُقِـيلِه ويُذهــلُ الخَلــيلَ عن خلِيلِه [2]

---

[1]- يُنظَر.. رجب عبد الجواد إبراهيم: **موسيقى اللّغة**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2003م، ص67.

[2]- يُنظَر.. محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: **السّيرة النّبويّة**، تح/تع/تج: أحمد فريد المزيدي، ص503.

فَنلَاحظ فِي هَذين البَيتين مثلا وجودَ تَطابُق كَبير فِي البِنية النّحوِيّة بَين شَطري كلّ بَيت رَغم اختِلاف مَعنى كُلّ شَطرٍ مَع تكرَار بَعضِ الكلمَات؛ فَفِي البَيت الشّعري الأوّل تَحقق التّوازي بِسبَب التّطابُق النّحوِي لِجُملتي: **(قَتلنـاكُم علَى تَأويلِه / قَتلنَاكُم عَلَى تَنزيلِهِ)**، فكِلَاهُما عِبارَة عَن: فِعل مَاض (قتلْ) + ضَمِير مُتّصِل فِي مَحلّ رَفع فاعِل (نون الجَماعَة .نا.) + ضَمير مُتّصل فِي مَحل رَفع فَاعِل (كَاف الخِطَاب) + حَرف المِيم للدَلالة علَى الجَماعَة + حَرف جَرّ (علَى) + اسم مَجرور وَهُو مُضَاف (تأويل، تنزيل) + ضَمِير مُتّصِل فِي مَحل جَرّ مُضَاف إليه (الهاء)، وَنتَجَ عَن هَذا التّـوازي تكرار الفِعل (قتلناكم) وحَرف الجَرّ (على).

أمّا البَيت الثّاني فقد تَحقّق التّوازي أيضًا بسببِ التّطابُق النّحوِي بينَ جُملتَي: **(يُزيلُ الهامَ عَن مُقِيلِه / يَذهَل الخَليلَ عَن خَلِيلِه)**، فكِلاهمَا عبارة عَن: فِعل مُضَارِع مَرفوع **(يُزيل، يُذهل)** + فَاعل **(ضَمير مُستتر)** + مَفعول بِه **(الهامَ، الخليلَ)** + حَرف جَرّ **(عن)** + اسم مَجرور وَهُو مضاف **(مقيل، خليل)** + ضَمير مُتّصل في مَحلّ جَرّ مُضَاف إليه **(الهاء)**، ونَتجَ عَن هَذا التّـوازي تكرار حَرفِ الجَرّ **(عَن)**.

وتولّد عَن هَذا التّمَاثل البِنوي النّحوِي لِهَذه الجُمل المُتوازية تَماثل عَروضِي بالضَرورَة، الأمرُ الّذِي سَهّل علَى الشّاعِر إقامَة وَزنه الشّعرِي دُون عَناء، وَوَفّر علَيه وقتَه وجُهدَه، "ونتجَ عنه أيضًا –وحتّى في النّثر– نوعٌ من التّفاعلِ المُستمِر بَينَ وَحدَات النّص الشّعري مِن ناحِية، وتَحقيقِ أكبرِ قدرٍ مِن التّناغُمِ الإيقاعِي، والتأثيرِ الفنّي مِن ناحِية أخرَى."[1]

[1]– يُنظَر.. محمّد صلاح أبو حميدة: **دراسات في النّقد الأدبي**، سلسلة إبداعات فلسطينية، ع18، 2006م، ص53.

وأمثلَة ظَاهرة التّوازي كَثيرة فِي قَصائِد المَديح النّبوِي فِي عَصر صَدر الإسلَام، خاصّة وأنّ هذِه الظَاهِرة تتشابَه مَع مَا يُعرف بِظاهرة التّرصِيع[1] قدِيما وأسهَل مِنها تَحقّقا، كونُها (التّوازي) لَا تتطلّبُ اتفاق كُلّ كلِمة مَع ما يقابلُها فِي الحَرف الأخِير مِن الكلِمةِ المُقابِلة لهَا، وعلَى هذا لا تَكادُ تَخلو أيّ قِطعَة شِعريّة أو قَصيدَة مَدحيّة نبويّة مِن وُرودِها، فَهِي كَثيرة بالنّظر إلَى وظيفتِها الأسَاسيّة ودَورهَا في تَحقيق الوَزن الشِّعري والتأثيرِ إيقاعِيا علَى المُتلقي (والسّامع للقصِيدة خَاصّة) وشَدّ انتباهِه.

3-4. قلّة الأبيَات المَخصُوصَة بِمدحِ الرّسولِ وقِصَر القصَائد قبلَ وفاتِه:

مِن أهمّ مَا تميّزت بِه قصَائد المَديح النّبوِي أيضًا فِي عَصر صَدر الإسلَام مِن حيثُ شَكلها العَام؛ هُو قِلّة عَددِ أبيات المَدح المُباشِرة والمَخصوصَة فِيها بِرسُول الله (ﷺ) قبلَ وفاتِه (ﷺ) وَقِصر قَصائد المَدح عَامّة في بِداياتِ الدّعوَة الإسلَاميّة مُقارنَة بقصائِد المَدح في العَصر الجَاهلي أو قَصائِد مَدح الرّسول فِي العُصورِ المُتأخِرة والحَديثة، وذَلك بِسبَب رفضِه (ﷺ) ونبذِه كُلّ مَظاهر التّعصب والمُغلاة فِي الدّينِ، ومنهُ المُغالاة في مَدحِ نَبيّ الدّعوةِ والوقوعِ فيمَا كانَ يقعُ فيهِ أصحَاب الدّيانَات السّابِقة مِن أهلِ الكِتاب (اليَهود والنَّصَارى) وَغيرِهم؛ فَعن عَبد الله بن الشّخير –رَضيَ اللهُ عنهُ– قال: "اِنْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِر إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: **السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى . قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طُولاً، فَقَالَ: قُولُوا بِقَولِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُم، وَلَا يَسْتَجْرِينَّكُم الشَّيْطَانُ.**"[2] وَعَن أنَس –رَضي الله عَنه– أن نَاساً قالُوا: "يَا رَسُولَ الله: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدِنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُم، أَوْ**

---

[1] – **التّرصيع:** لم نتطرق له في دراستنا لأنه لم يصادفنا أثناء بحثنا، وهو اتفاق جملتين أو أكثر في عدد الكلمات مع اتفاق كلّ كلمة مع ما يقابلها في الحرف الأخير، مثل: **إن بعد المطر صحوا وإن بعد الكدر صفوا**
ليكن إقدامك توكلا وليكن إحجامك تأملا

[2] – رواه أبو داود بسند جيّد.

بَعْضِ قَوْلِكُم، وَلَا يَسْتَهْوِينَّكُم الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ."[1]

وللتأكّدِ مِن هذِه الخَاصّية كانَ عَلينا أن نَبحَث فِي دَواوِين شُعراء عَصر صَدر الإسلَام عَن قَصائِد المَديحِ النّبوِي ومُناسَباتِها، ومَا لَاحظناه جَليا حَول قلّة عَدَد الأبيَات الفعليّة المَادِحة لرَسولِ اللهِ (ﷺ) ومدَى قِصَر القصَائدِ فِي بِدَايَاتِ الدّعوَةِ الإسلَامِيّة خاصّة –كمَا سَبق وأن أشَرنا– أن بَعضَها فِي الحَقيقة لَيس بِقصيدَة وإنمَا عِبارَة عَن قِطعة شعريّة لَا تتجَاوز سِتة أو سَبعة أبيَات عَلى الأكثَر؛ ينظمِها الشّاعر تَحت ظَرفٍ مُعيّن يَتطلّب الدّفاعَ عَن الرّسولِ (ﷺ) أو مَدحِه، فنَجدُ مَثلا حسَّان بن ثابِت يَمدَح الرّسول في بَيتين مَشهورَين حِينمَا قال:

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عَيْنِي وَأجْـمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ

خُلِـقْتَ مُبَـرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كأنّـكَ قدْ خلـقتَ كَمَا تَشَاءُ [2]

ونَجد أيضًا أنَّ عدَدَ الأبيَات الفِعليّة المَخصوصَة بِمدحِ الرّسول (ﷺ) في قصيدة "**عَفَت ذَات الأصَابِع فالجِوَاء**" لِحسّان بن ثابِت الّتِي اعتمَدناها كَمدوّنة بَحثٍ لِدراسَتنا لَا يتجَاوز (10) أبياتٍ مِن مَجموعِ (32) بَيتا شِعريا –وَقَد أَشَرنا إلَى هَذهِ الأبيَات فِي مَبحَث أعلَام المَديح النّبوي في عَصر صَدر الإسلَام مِن هَذا الفَصل– وَيَقول فِي بِداية الأبيَات المَخصوصَة بِمدح الرّسول (ﷺ) :

وَقَالَ اللهُ قَـد أَرسَـلتُ عَبْـدًا يَقولُ الحَقَّ إنْ نَـفَـعَ البَـلاءُ

إلَى غَاية أن يَقول:

فَـإنَّ أَبِـي وَوَالِـدَه وَعِرضِـي لِعِـرضِ مُحَـمّدٍ مِنـكُم وِقَـاءُ [3]

---

[1]– رواه النّسائي بسند جيّد.

[2]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص21.

[3]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص13–14.

وَنجِد أيضًا فِي هَذا الصَّدَد –علَى سَبيلِ المِثالِ لَا الحَصرِ– مُعظَم شِعر الصّحَابي الجَليل عَبد الله بن رَواحَة فِي مَدح الرّسولِ (ﷺ) الّذِي يَتميّز بِقصرِ القَصائِد والأبيَات المَخصُوصَة بِمدح النّبيّ (ﷺ) –وقَد أشرنا إلَى بَعضِ الشّواهِد الشّعريّة الّتِي تنطَبق عليها هذِه الخاصِيّة حِينما تكلّمنا عَنه سابقا– بَل إنَّ أغلَب شِعره عِبارة عَن قِطعٍ شِعريَّة[1] قَصِيرَة، وَلَعلّ السَّبَب فِي ذَلِك هُو طَبيعَة شِعر ابن رَواحَة المَعروف بِشعرِه الحَماسِي الانفعَالي الّذِي كَان يَنظم مُعظمَه فِي مَيادِين المَعارك والغَزوات، الأمرُ الّذِي يَترتّبُ عَنه قِصَر القَصائِد بالضَرورَة والأبيَات المَادِحة لِرسولِ اللهِ (ﷺ) أيضًا.

وخُلاصَة القولِ أنّ قِلّة عَدد الأبيَات المَدحيّة وَقِصر قَصائِد المَديح النّبوِي فِي عَصر صَدر الإسلَام وبالخُصوصِ فِي بِداية نَشر الدّعوَة الإسلَاميّة رَاجِع إلَى سَببينِ رئيسيين أولُهما هُو: تَحذير الرّسولِ (ﷺ) مِن المُغالاة فِي الدّينِ، وثَانيهمَا هو: عَدم تَأسُّس قَصيدَة المَديح النّبوِي واكتمَال نُضجِها آنذاك بِالشّكلِ الّذِي نَجدُه فِي العُصورِ المتأخّرة والحَديثة وعَصرنا هَذا، حَيث لَم يَكن مَدح الرّسولِ (ﷺ) حِينها صَنعةً يَتكسّبُ مِن وَرائِها الشّعرَاء، أو يَنظِمونَها رِياءً وَمُغالَاة، بَل كانت تَصدُر عَنهم صِدقا وَمحبَّة دُون تكلّفٍ حَسبَ المُناسبَات والمَواقِف المُختلِفة.

3-5. غِياب عُنوان القصَائِد:

وردَ في لِسان العَرب: "عنَّ الشَيء يعِنّ ويعُنّ عنَنًا وعُنُونا: ظَهر أمَامَك، وعَنَّ يَعِنّ ويَعُنّ عنًّا وعُنُونًا، وَاعتَنّ: اعترَضَ وَظَهرَ"[2]، أي أنّ العُنوانَ يَضمَن عُنصرَ المُفاجَأة ولَفتَ الانتِباه، وَيزيدُ مِن أفقِ تَوقّع القَارِئ، فَهو سِمة النّصِ وَوَسمُه وأثره، وَيشكّل بِنية إشَاريّة دَالّة تحمِل الكَثيرَ مِمّا قَد يُخفِيه النّص لأنّه "يَقومُ علَى تَركيبٍ نَصّي يُعدّ مِفتاحًا مُنتِجا دَالا لَيس عَلى مُستوى البِناء الخَارِجي للعَملِ فَقط بَل يَمتدُ إلَى البُنى العَميقَة

[1]–يمكن التّأكد من ذلك بالاطلاع على ديوانه، انطلاقا من الصّفحة 77: الفصل الثالث: شعره الإسلامي.

[2]– أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، باب العين، مادة عنن، ص3139.

وَيستفِزُّ فَواصِله وَيدفَع السّلطَة الثُلاثيّة (المُبدِع – النّص – المُتلقِي) إلَى إعادَة إنتَاجٍ تُتِيح لعوامِلِ النّصِ الانفتاحَ علَى أكثرَ مِن قِراءةٍ"[1] وَتأوِيـلٍ.

وَرَغم الأهمّيةِ الّتِي يَكتسِيها العُنوان فِي القَصيدة الشّعرِيّة، وَتأكيدِ الباحِثين والدّارسِينَ المُحدثينَ علَى أهمِيتهِ واعتبارِه بِمَثابة الرّأسِ مِن الجَسد، إلّا أنّ الشّعراءَ العَرب القدمَاء قبلَ عَصر التّدوين لَم يَعتمدُوه أسَاسا؛ كَون أنّ مُعظم شِعرهم كَان شَفاهيا فِي مراحلِه الأولَى، "إذْ كانَ عَدَم العَنونَة المُباشِرة هُو الأسَاس بِالنسبَة للقصيدَة العربيّة"[2] القدِيمةِ، لتتطوَّر بَعد ذلك في بِداياتِ عَصر التّدوينِ وتُسَمى بِحرفِ رَوِيِّها وتُنسَب إلَى صَاحِبها مِثل قَولِهم: سِينيّة البُحتُري، أو لَاميّة العَرب، هَمزيّة حَسّان... إلخ.

أمّا ما نَجده مِن عَناوين القصَائد فِي الدّواوينِ المُختلِفة للشّعرَاء القُدماءِ فأكثرُها من صَنيعِ مَن جَمَعَ الدّيوانَ وَحقّقَه بعدَ عَصر التدوينِ؛ حَيث نَجد فِي غَالبِ الأحيانِ الاسمَ المَشهور الّذِي عُرفَت بِه القَصيدَة أو جُملة أو شَطرا مِن البَيت الأول –أو بيت آخَرَ– حَتى يَسهُلَ عَلى القارِئ مَعرِفة القصِيدَة وإيجَادها بِسهولَة فِي حَالة البَحثِ عَنها فِي مُختلف مَصادِر المَعرفة، فمَثلا عِندما نَقول "قَصِيدة بَانت سُعاد" نَفهمُ مُباشَرة أنَّها القَصِيدة المَشهورَة لكَعب بن زُهَير فِي مَدح الرّسول (ﷺ) الّتِي يَستهِلها بِقولِه:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي مَتْبُول مُتَيَّم إثْرَهَا لم يُفْدَ مَكْبُولُ[3]

ويتفِقّ الدّارسونَ والنّقادُ أنّ "العُنوان الدّلَالي لَم يُوَظّفه الشّعراءُ العَرب إلّا فِي العَصر الحَديث عِندما اِحتكّوا بالأدبِ الأوروبي"[4]، والقصَائد قَبل هَذا كَانت لاَ تُعرَف إلّا

---

[1]– يُنظَر: إبراهيم بادي: **دلالة العنوان وأبعاده في "موتة الرّجل الأخير"**، مجلة المدى، دمشق، سوريا، ع 26، 1999م، ص114.

[2]– محمد عويس: **العنوان في الأدب العربي (النّشأة والتّطوّر)**، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1988م، ص51.

[3]– كَعب بن زُهَير: **ديوان كَعب بن زُهَير**، ص60.

[4]– ينظر.. عبد الله الغذامي: **الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة، نظرية وتطبيق**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006م، ص161.

مِن خِلال غَرضِها أو مُناسبَة نَظمِها أو شُهرة صَاحِبها... ولَا جِدال حَول عَنونتِها أو عَدمِه، وَبِناء علَى هَذا يُعتبر غِياب العُنوان مِن قَصائِد مَدحِ الرّسولِ (ﷺ) فِي عَصرِ صَدر الإسلَام أمرًا مَألوفا وَطَبِيعيًا، ومَظهرًا مِن مَظاهِر القصِيدَة العربيّة القدِيمَة مِن حَيث شَكلِها الخَارجِي وَبِنائها العَام.

4. خَصائِص شِعر المَديحِ النّبوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ مِن حَيث المَضمون:

وسَنهتم فِي هَذا المَبحَث بالخصَائصِ والسّمَات الّتِي تتعلّق بِمحتوَى قصَائد مَدح الرّسول (ﷺ) في عَصر صَدر الإسلَام وأغراضِها وعَواطفِ أصحَابها، والمَعاني والدِلاَلاَت الّتِي تتضمّنهَا القصَائد كَكُل، وَلن نَتطرَّقَ إلى كُلّ الخَصَائصِ المُتعلّقة بِمدَى تماسُكِ نَظم القَصائِد وَحُسن سَبكِها، وَمدَى تَمكّن الشّاعِر مِن تَشكيلِ صُورتهِ الشِّعريةِ وَغيرِها من الخصائصِ العامّة المتعلّقةِ بالمَضمونِ والدّلالةِ لأنَّ مُعظم شُعراءِ صدرِ الإسلامِ مِن مُخضرمِي شُعراءِ الجَاهليةِ مَعروفُون بإجادةِ النّظمِ وحُسنِ السّبكِ وقوةِ الألفاظِ والمعانِي والأسَاليب، وَلذلِك سَنجتهِد أن نُعَرِّج علَى بَعض الخَصَائِصِ المُلفتة للانتبَاه الّتِي تميّزت بِها قصيدة المَديحِ النَّبوِي فِي هذا العَصرِ مِن خِلالِ مَا يلِي:

4-1. الطَابع الدّيني الإسلَامي وصِدق المشاعرِ بَعيدًا عَنِ المُغالَاة:

مِن أهمِّ خَصائصِ شِعرِ المديحِ النّبوي مِن حَيثُ مَضمونِهِ فِي عصرِ صدرِ الإسلامِ، والمنطلقِ الأساسِ لَهُ هوَ طابعُه الدّينِي الإسلامِي بالدّرجةِ الأولى، وصدقُ مَشاعرِ مَدحِ رسولِ اللهِ (ﷺ) بَعيدا عَن المُغالاة والتعصّب، خَاصّة قبلَ وفاتِه (ﷺ) لأنّـه كَان لَا يرضَى بذلك (وقد أشَرنا إلى هذه القضِيّة بالدّليل مِن القرآنِ والسّنة حينَ تكلّمنَا عَن سَببِ قلّة أبياتِ المَدح المَخصوصَة بِرسولِ اللهِ سَابقا)، وَبُروز الطّابِع الدّيني فِي قَصَائد المَديح آنذاك يَعود بِبَساطَة إلَى تأثر الشّعراء بِشَكلٍ كَبيرٍ بألفاظِ القرآنِ الكريمِ والسّنةِ النّبويّةِ الشّريفةِ ومعانيهِما فِي عَهدِ النّبوّةِ والإسلامِ، حيثُ تهذّبَ الشّعرُ وزالتْ تدريجيًا مظاهرُ الجاهليّةِ والتّعصّبِ القَبَلِيِّ فيهِ، وتوجّهَ الشّعراءُ حينَهَا فِي شِعرِهم

نحوَ الدّفاعِ عنِ الإسلامِ ونشرِهِ، ومدحِ نبيِّ هذا الدّينِ الجديدِ والافتخارِ به وإظهارِ مَحاسنهِ ومناقبهِ بصدقٍ وأمانةٍ، حيثُ استمدّوا أفكارَهم الشّعريّةَ تلكَ مِن مَبادئِ الإسلامِ، وأخلاقِ الرّسولِ (ﷺ) وصِفاتهِ وحكمتهِ.

فَبَعد أن كَان الشّعر مُشتّتا بَين مُختلف الأغراضِ الشّعريّة ذَا أبعَاد مُختلِفة، خَاضِعا للنّوازِع الذّاتيّة والمُيولَات الشّخصيّة مِن هِجاء وغَزل وَمَدح بُغيَة التّكسّب وغَيره منَ المآرِب، أصبَح فِي عَصر صَدر الإسلَام ذا طَابع دِينيّ مَدحيٍّ بالدّرجَة الأولَى رغمَ مُحافظتهِ علَى خَاصيّة تعدّدِ الأغراضِ الشّعريّة والمَواضيع فِي القصِيدة الواحِدة، حَيث انبَرى الشّعرَاء فِي مَدح الرّسُولِ (ﷺ) ونَشرِ الدِّين الإسلَاميّ بِهدف نَيل الثوابِ والأجرِ مِن اللهِ تعالَى، وَبغيَة تَعرِيف النّاسِ بالنّبي (ﷺ) وصِفاته ومناقِبهِ وأخلَاقهِ... وَيقول شَاعِر الرّسول "حسّان بن ثَابت" فِي هذِه الأبيَات –علَى سَبيلِ المِثال لَا الحَصر– مَادِحا النّبيّ (ﷺ) فِي طَابع دِيني مُتشبِّع بِرُوح الدّين الإسلَامِي بَعيدا عَن المُغالَاة والتعصُّب مَا يلِي:

أغرُّ عَلَيــــــهِ للنّــــبُوَّةِ خَــاتَمٌ مِنَ اللهِ مَشــــهُودُ يَلُــــوحُ ويُشــهَد

و ضَمَّ الإلَهُ اسمَ النّبيِّ إلَى اسمِهِ إذْ قَالَ فِي الخَمسِ المُــــؤذِّنُ أشهَد

و شقَّ لَـه مِن اِسـمِه لِيُـــــجِلَّهُ فَذُو العَرشِ مَحمُـــــودٌ وَهَذا مُحَمَّد

نَـبـيٌّ أتَـــانَا بَعـــــدَ يَأسٍ وَفَـــترةٍ مِنَ الرُّسُلِ والأوثَانِ فِي الأرضِ تُعبَد

فأمـــــــسَى سِراجًا مُستَنِيرًا وَهَادِيًا يَلُوحُ كَـــــمَا لَاحَ الصَّـــقِيل المُـهَنَد

وأَنـــــــذَرَنَا نَـــارًا وبَـــــشَّرَ جَنّة وعَلّـــــمَنا الإســـــلَام فاللهَ نَحـــمَد[1]

والمُوازِن لأبياتِ حَسّان بن ثابِت هذه –وَغَيره مِن الّذينَ مَدحُوا الرّسولَ (ﷺ)– يَلتمِس مدى صِدق مَشاعِره فِي مَدح رَسولِ اللهِ (ﷺ)، ويُلاحِظ جَليا مَدَى تَغيّرَ أسلُوبِ شِعرَه –وَغيرَه مِن الشّعراءِ قبلَ وبعدَ إسلَامهم– عنَ الأسلُوب الّذِي عَهِدنَاه فِي

[1]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص54.

الشّعرِ الجَاهلِي؛ فَهو لَا يُشبِّهُ النّبيَّ (ﷺ) بالأَسدِ أو مَا شابهَ ذَلك، ولَا يُبالِغ فِي وَصفِ جُودِه وسَخائِه وَكَرمِه كَمَن يُريد التكسُّب مِن مَمدوحِه، بَل اهتمَّ بِوصفِ شَمائِلِهِ ومَناقِبِهِ وأخلَاقِهِ نَاقلًا بَعضَ الحَقائقِ الّتِي تغيّرت بَعد مَجِيئه (ﷺ) بَعيدا عن التعصّبِ والمُغالَاة ومَظاهِر التّصوُّفِ المُختلِفة الّتِي نَجِدها فِي المَدائِح النّبوِيّة فِي العُصورِ المُواليةِ والمتأخّرة خَاصّة منهَا.

4-2. الوَظِـيفَة الدَعَـويّة الإرشَـادِيّة وقُـوَّة المَـعَانِي:

حَافظ شُعَراء صَدرِ الإسلامِ في مَدحِهم لرسولِ اللهِ علَى قُوَّة مَضمونِ أشعَارِهم وسُمُوِّ مَعانِيها ودلَالَاتها خَاصّة وأنَها أضحَت ذَات طَابِع دِينيّ وَاضِح آنذاك، حَيثُ استَغَلوا كُلَّ ذلكَ فِي الدَّعوةِ إلَى اللهِ ورَسولهِ ونَشرِ تَعاليمِ الإسلَامِ وَمَبادِئهِ الدّاعيةِ إلَى صَلاحِ الفردِ والأمةِ، وممَّا شجَعهم علَى ذلكَ حَثُّهُ (ﷺ) على نشرِ الدّينِ ونُصرتهِ وتغييرِ المُنكرِ بأيَّةِ وسيلةٍ مُمكنةٍ ولو بِألسِنتِهم –والمَقصودُ هُنا هُو قَول الشِّعرِ– "إذْ يُؤثَر عنه قوله (ﷺ): "ما يَمْنَعُ القَومَ الّذينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللهِ بسِلَاحِهِمْ أَنْ يَنْصُروهُ بألسِنَتِهِم؟" فقال حسّان بن ثابت: «أنَا لَهَا»"[1]، وعن أبي سعيد الخُدري رَضِي اللهُ عنهُ قالَ: سَمعت رَسولَ اللهِ يقول: "**مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**"[2]، وعَن عَبد اللهِ بن عَمرو بن العَاص رَضيَ الله عَنهمَا: أنَّ النّبي (ﷺ) قالَ: "**بَلِّغُوا عَنِّي ولو آية، وحدِّثوا عنْ بَنِي إسرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**"[3].

ولأنّ سِلاح الشّعراءِ هوَ شِعرُهم فكَان عَليهم حُسن نَظمِه شَكلًا وَمضمُونا، لاستِغلالِه فِي الدّعوةِ إلى اللهِ تعالَى، خاصّة وأنّ القرآن الكَريم يَدعو إلى تبلِيغِ الدّعوَة الإسلَاميّة ونَشرِها، ويَدعُو إلى الأمرِ بالمَعروفِ والنّهيِ عَن المُنكرِ؛ إذّ يقولُ تَعالَى فِي

[1]– أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصفهاني: **الأغـاني**، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دت، ج4، ص137.

[2]– رواه مسلم.

[3]– رواه البخاري.

هذا الشأن: ﴿**وَلتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾[1]، ويقول جلَّ جلاله أيضاً: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...**﴾[2]، ويقول أيضا: ﴿**والمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ...**﴾[3]، وبَيَّنَ الله تعالَى أيضَا أنَّ الدّعوة إليهِ من أحسَنِ الأعمَال فَقالَ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[4].

ومِثل هذِه الآياتِ والأحادِيث النّبويّة السّابقة –وغيرُها كَثير– حَفّز الشّعرَاء عَلَى إجادَة مَعانِي أشعَارِهم واستغلَالِها فِي الدَّعوةِ إلَى اللهِ تعالَى، وإرشَاد النّاسِ إلَى طَرِيقِ الهِداية واتباعِ رسولِ الله (ﷺ)، حَيث تحوّلَت وَظيفةُ الشّعرِ في عَصرِ صَدرِ الإسلَام مِن وظيفةٍ ذات نَزعةٍ ذاتِيَّةٍ قَبَلِيَّةٍ ومَنفعةٍ خَاصّةٍ إلَى وَظيفةٍ ذات طَابِع دَعَويٍّ إرشاديٍّ ومنفعَة عامَّة؛ تدعُو النّاسَ وتُرشِدهم إلَى اتّباعِ طَرِيقِ الهِداية والإسلَام، وتُعرِّفهم بِخَالقهم ونَبيّهم، ويقولُ فِي هَذا الصّدد –علَى سَبيلِ المِثال لَا الحَصرِ– الشّاعِر "أبو قَيس صِرمَة بن أبي أنَس"[5] ناصِحا مُذيعا تَعاليم الإسلَام الجدَيدَة، بَعد أن اعتنقَ الإسلَام واتخذَّ مَسجِدا فِي دَاره، ولازم التّكبِير والتّهليلَ، واشتغلَ بأورادِه وأذكارِه، يقول:

يَقُول أبُو قَيــسٍ وَأصبَحَ نَاصِحاً ... أَلَا مَا استَطَعتُم مِن وَصَاتِي فافْعَلُوا

فَأوصِيــكُم بِالله والبــــرِّ والتُّقَى ... وأعْـرَاضِـــــكُمْ والبِـــرّ بـالله أولُ

وإن قَومكُم سَادُوا فَلَا تَحسُـدَنَهُم ... وَإن كُنـتُـــم أَهلَ الرّيَاسَـةِ فَاعدِلُوا

---

[1]– سورة آل عمران، الآية: 104.

[2]– سورة آل عمران، الآية: 110.

[3]– سورة التوبة، الآية: 71.

[4]– سورة فصلت، الآية: 33.

[5]– **أبو قيس صِرمَة بن أبي أنس:** ويقال له أيضا: صِرْمَة بن أَنَسٍ بن مَالِك الأَنصاري الخزرجي النجاري، وقيل: صِرْمَة بن أَبي أَنَس، وقيل أيضا :أَنَسْ بن صِرْمة أنس، وتقول الأخبار إنه فارق الأوثان واغتسل من الجنابة، وتطهّر، ودخل بيتاً له اتخذه مسجداً، لا تدخله طامث ولا يدخله جنب، وقال: "أعبد رب إبراهيم"، وكان قوّالا بالحق، معظما لله.

وإنْ نَـزَلَتْ إحدَى الـدَّواهِي بِقومِكُم فَأنفُـــــسكُم دُونَ العَشِـيرَةِ فَاجعَلُوا[1]

وَمَعرُوف عَن هَذا الشّاعِر أنّهُ كَان قوّالًا بِالحَقّ قبلَ إسلَامِه، وَيُعظِّم اللهَ فِي الجَاهليّة، وَيقولُ أشعَارًا حَسنَة النَّظمِ والدلَالةِ تَدعو إلَى مَكارِم الأخلَاق والمُعامَلَات.

4-3. الاقتِباس مِن القرآنِ الكَريمِ والسنّة النّبويَّة:

مِن أهمِّ مَا تَميّزَت بِه قَصِيدة المَديحِ النّبوِي أيضًا فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام هُو الاقتباسُ مِن القرآنِ والسّنةِ النّبويّةِ، وخَاصّة القرآن الكَريم ومُحاولة مُحاكاتِه تأثُرا بألفاظِه وأسلوبِهِ البديعِ، وبلاغتهِ الرّاقيةِ، الّتِي لَا تزال تُبهر البُلغاء والشُعراء، وتُعجز النّقادَ والحاقدينَ على الدّينِ الإسلامِي إلى يومنا هَذا، ومِن أشهرِ الأبياتِ الّتِي يُمكن أن نَستَدِلَّ بها حولَ هذهِ الخاصيّة؛ أبياتٌ لكعبِ بن مالِك (رضِي الله عَنه) حَاول مِن خِلالها إثباتَ مُعجِزاته ومُقارنتِها بِما كَان للأنبياءِ (علَيهم السّلَام) مِنها، يقول كعْب:

وإنْ تكُ نمـلُ البرِّ بالــوَهم كلَّمـت سُليمانَ ذا المُلْك الّذي لَيسَ بالعمِي

فَهَذَا نَبِـــيّ الله أحمَـــدُ سَبَّـحَتْ صِغَار الحَصَـــى فِي كَـفِّهِ بِالــتّرنُّم[2]

فَفِي البيتِ الأولِ نلاحظُ جليًا أنّ كعبًا بن مالك قد اقتبسَه من قوله تعالى:"**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَيَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**"[3]، أمّا فِي البيتِ الثّانِي فَقَد اقتبسَ كَعب بن مَالك ألفاظَه انطِلاقًا مِن السّنّة النّبوية انطلَاقا من الحدِيث النّبوي الشّريف الدّالِ علَى مُعجِزة تَسبيح الحَصَى فِي كَفِّ الرَّسُول (ﷺ)؛ "فَعَنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ سُوَيْدٌ بنُ يَزِيدِ السَّلَمِي قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ الغَفَارِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:" **لَا أَذْكُرُ عُثمَانَ إِلَّا بِخَيْرٍ بَعْدَ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ : كُنْتُ رَجُلًا أَتْبَعُ خَلَوات**

---

[1]- منتدى فجر الإسلام: **الشّعر زَمن الرّسول (ﷺ)**، نقلا عن الموقع الإلكتروني لمنتدى فجر الإسلام: http://fgr33.hooxs.com/t1270-topic، تاريخ النشر: 19 أكتوبر 2013م، تاريخ الاطلاع: 22 ماي 2017م.

[2]- سامي مكّي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الأنصاري)**، مج 18، ص88.

[3]- سورة النّمل، الآية: 18.

رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَرَأَيْتُهُ يَوْمًا جَالِسًا لِوَحْدِهِ فَاغْتَنَمْتُ خَلْوَتَه فَجِئْتُ حَتَى جَلَسْتُ إِلَيهِ ؛ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ثمَّ جَاءَ عُمَرُ فَسَلَّمَ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ ؛ ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ عَنْ يَمِينِ عُمَر؛ وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) سَبْعُ حَصَيَاتٍ أَوْ قَالَ تِسْعُ حَصَيَاتٍ؛ فَأَخَذَهُنَّ فِي كَفِّهِ فَسَبَّحْنَ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ؛ فَوَضَعَهُنَّ فَخَرَصْنَ؛ ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَحْنَ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ؛ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسْنَ؛ ثُمَّ تَنَاوَلَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرٍ؛ فَسَبَحْنَ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ؛ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسْنَ؛ ثُمَّ تَنَاوَلَهُنَ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ فَسَبَحْنَّ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ؛ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسْنَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): هَذِهِ هِيَ خِلَافَةِ النُّبُوَّةِ."[1]

ويقولُ كَعب بن مَالك فِي هَذا الصَّدَد أيضا:

فَإِن يَكُـــن مُوسَى كَلَّمَ اللهَ جَهـرَةً عَـلَى جَبَــلِ الطُــورِ المُنـيفِ المُعظّمِ

فَقَد كَلّــمَ اللهُ النّـــبِيَّ مُحَــمّدًا عَلَى المَوضِعِ الأعلَى الرّفِيعِ المُسَوَّمِ[2]

وَفِي هَذينِ البَيتينِ أيضًا نُلاحِظ مَدَى تأثُّر كَعبٍ بن مَالِك بِألفاظِ القرآن الكَريم، حيثُ اقتبسَ فيهمَا انطلَاقا مِن قولهِ تعالَى فِي مُحكمِ تنزيلهِ: "**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً**"[3]، ومن قوله تعالى أيضا: "**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ**"[4]، وَبِهذا كانَ القرآن الكَريم مَورِدا اِستمدَّ مِنه الشّعراءُ ألفاظَهم وأفكارَهم وتشبيهَاتهِم.

---

[1]– رواه البيهقي في دلائل النبوّة (ج6–ص65)، والسّيوطي في الخصائص الكبرى (ج2–ص74)

[2]– سامي مكّي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كَعب بن مَالك الأنصاري)**، مج 18، ص88–89.

[3]– سورة البقرة، الآية: 55.

[4]– سورة مريم، الآية: 52.

4-4. الألفَاظ والحَقل المُعجمي الدّيني الإسلَامي:

تَميّزت المَدائِح النّبويّة عَن غَيرها مِن الأغراضِ الشّعريّةِ فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ بِظهورِ حَقلٍ مُعجَميٍّ[1] دَلَالِي جَدِيد بَارِز فِي شِعر مُخضرَمِيها، وهو الحَقل المُعجمِي الدّينِي الإسلَامي –إضَافة إلَى اعتمادِ حقولٍ مُعجميّةٍ أخرَى كَانت مُتداوَلة آنذاك مِثل حَقل مَظاهِر الطَبيعَة وَحقل الذّاتِ، وَحقلِ الأمكِنة وأوصَاف المَرأة ...إلخ– وذلِك بِسبب كَثرة المُصطَلَحات والألفاظِ الدّينيّة الإسلَاميّة مُقابل قِلّة المُصطَلَحَات والألفاظِ الجَاهِليّة وتَراجُع استِعمَالِها، حَيث استعمَل الشّعراء ألفاظًا ومُصطَلَحَات لَم تَكن مُتداولَة آنذَاك – وإنْ كَانَ بَعضُها مُتداوَلا مِن قَبل فَمعنَاه مُتغيِّر حَسبَ قِيم الدِّين الجَديد ومَبادئِه– مثل: **رسول، الجنّة، والنّار، والبعث، والحمد، والشّهادة والقيامة، والإنذار، والتبشير، وروح القدس**...إلخ، فيقولُ حَسّان بن ثابِت علَى سَبيلِ المِثال لَا الحَصر:

وأنـــذَرَنَا نَـــارًا وبَـــشَّرَ جَـنَّةً وعَلّـمَـنَـا الإســـلَام فاللهَ نَحـــمَد[2]

ويقول حسّان فِي بَيت آخرَ:

وَلَيسَ هَوايَ نَـازِعا عَن ثَنـــائِه لَعلِّي بِهِ فِي جَنّة الخُـلدِ أَخـــلُد[3]

فنُلاحِظ هنا مَثلا أنّ حَسّان قد اعتمدَ ألفاظًا جَدِيدة لَم نَألَفها فِي شِعرِه الجَاهلِي، وهِي: **الجنّة والنّار، الإسلام، الله، الإنذار، والتّبشير، والحمد**، وكلّها ألفاظٌ تَرتبِط مَعانِيها ودلَالَاتها بالدّينِ الجَديدِ آنذاك أي الحَقل المُعجمي الدّينِي الإسلَامِي.

---

[1]– **الحقل المُعجمي:** تُعدُ دراسة الحقول المُعجميّة في النّصوص (سواء كانت شعريّة أو نثريّة) من أهم المباحث التي زاد اهتمام النقاد المحدثين والمعاصرين بها، والحقل المعجمي عبارة عن مجموعة من الألفاظ ترد في نص ما (شعر أو نثر) حول موضوع معين ومشترك، ترتبط بعلاقة معنوية فيما بينها، كالتشابه، أو التضاد، أو الترادف، أو الجزئية... ويمكن أن نجعل مثلا: "الرأس" حقلاً معجمياً يندرج تحته الألفاظ الآتية: الوجه، الأذن، والدماغ، والأنف، والفم، والعين، والشعر... إلخ.

[2]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص54.

[3]– نفسه: ص262.

وتتّضِح هذِه المِيزة أيضًا فِي شِعر الصَّحَابي الجَلِيل كَعب بن مَالِك رَضِي الله عَنه، فنَجِده يقولُ مَثلًا فِي رِثاء حَمزَة وَوَصفِ شُهدَاء "**أُحُد**" وتَبشيره لَهم بالجَنّة جَزاء صبرِهم مَع الرّسولِ (ﷺ):

وقتــلَاهم فِي جِنـــانِ النّعِيمِ كِرامُ المَـــــدَاخِلِ والمــخرَجِ

بِمَا صَـــبَروا تَحتَ ظِلِّ اللِّواءِ لِواءُ الرّســولِ بِذِي الأَضوَحِ[1]

ويقول كَعب أيضاً مُتوعِدا أبا سُفيان بن حَرب:

فَلَا تَعجَل أبَا سُفـــيَان وَارقُب جِيَاد الخَيلِ تَطْلُع مِـن كدَاءِ

بِنَصرِ اللهِ رُوحُ القُــدسِ فِيهَا وَمِيكَال، فَـــيَا طِيبَ المَلَاءِ[2]

وممّا قالَه أيضًا حينما ردّ علَى هبيرةَ بن أبي وهبٍ المخزومِي بعدَ غزوةِ أحُدٍ مصوراً مدَى طَاعةَ المُسلمينَ لرَسولِ اللهِ (ﷺ)، **يقولُ:**

وفِينَا رسُـــولُ اللهِ نتّـــبِعُ أمرَهُ إذَا قَـالَ فِينَا القَــولَ لا نتَــطلّــعُ

تدلَّى عَـليهِ الرّوحُ مِنْ عَـندِ ربّـهِ ينزلُ مِنْ جوِّ السّمـــاءِ ويُرفـــعُ[3]

فنلَاحِظ فِي أبيَات كَعبٍ هذِه استخدَامَه للألفاظِ: **جِنان النّعيم، صَبروا، الرّسُول، رُوح القُدُس، مِيكال، رَسول الله، الرُّوح،** وكلّها ألفاظٌ تنتمي إلى مُعجَم الحَقل الدّيني أيضًا، وَترتبِط مَعانِيها وَدلَالَاتها بِالدّين الجَديد آنذاك؛ ذلِك الدّينُ الّذِي اعتنقَه الصَّحَابة وتأثّروا بِه، وَدَافَعوا عَن نَبيِّه بِلا تَردُّد إلَى دَرجَة تَمنِّي المَوت والاستِشهَاد فِي مَيدَان الجِهاد مِثلمَا كَان يَتمنّى الصَّحابي الجَليل عَبد الله بن رَواحَة مثلا؛ وقَد أشرنا إليه حِينما تكلّمنَا عَنه سَابقا.

---

[1]– سامي مكي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الأنصاري)**، مج 18، ص157.

[2]– أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، مج 3، ص25.

[3]– نفسه، ص116.

4-5. تَـعَدُّد الموضـوعَات والأغـراضِ الشّـعريّةِ:

اتّسمَت قَصيدةُ المَديحِ النّبويِّ فِي عصرِ صدرِ الإسلامِ بحفاظِها علَى خاصّيةِ تعدّدِ الأغراضِ الشّعريةِ والمواضيعِ في القصيدةِ الواحدةِ الّتِي كانتْ تتميّزُ بِها القصيدةُ الجاهليّةُ آنذاكَ، فالقارئُ للمرّةِ الأُولَى لقصَائدِ المَديحِ النَّبويِّ في هَذَا العصرِ لَا يلتَمسُ بُعدَها الدّيني ولا يُدركُ أنّها قصيدةٌ مِن عَصرِ صدرِ الإسلامِ -بالنّظرِ إلى ذلكَ التعدّدِ فِي الأغراضِ والمواضيعِ- إلَّا بَعد مُرُورِهِ على الأبياتِ المَادِحَةِ لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ) أو صحَابتهِ أو مَا يتَعَلَّقُ بمعجِزاتِهِ أو غَزَوَاتِهِ...إلخ، فالقصَائدُ آنذاكَ كانَت لا تخلُو مِنَ القيَمِ الجَاهليَّةِ؛ خاصَةً فِي بِدايَاتِ عهدِ النُّبوةِ حينمَا كانتْ الدَّعوةُ إلى الإسلامِ في مرحلتِها السِرّيةِ، والشعرُ السّائدُ آنذاك جَاهِلياً بالدَّرجةِ الأولَى.

وَمِن أمثلَة القَصَائدِ المَدحيّةِ الّتِي تتضِحُ فيها هذِه الخَاصيّة -علَى سَبيل المِثال لَا الحَصر- هَمزيّة حَسّان بن ثَابِت (الّتِي سَنعودُ إليهَا فِي الفصلِ الرّابع مِن دِراسَتنا) الّتِي يَمدح فِيها الرّسول (ﷺ) وَيَهجو فِيها أبا سُفيان بن الحَارث، والّتِي يفتتحها بذِكر الدّيارِ الخَالِية بقوله:

عَفَــت ذاتُ الأصَــابِع فالجِـواءُ إلَى عَــذرَاءَ مَنــزِلُــها خــلَاءُ
دِيَارٌ مِنْ بَنــي الحَسْحَاسِ قَـفْرٌ تعفِيهَا الرَّوَامِـسُ والسَّـــمَاءُ
وكانَـتْ لا يَـزَالُ بِـهَا أنِيـــسٌ خِـلالَ مُرُوجِـهَا نَعَـــمٌ وَشَـاءُ
فَدَعْ هَذا، ولَـكن منْ لطـــيفٍ يُؤرّقُني إذا ذَهَـــبَ العِشـــاءُ [1]

ثمّ انتقل حسّان فيهَا إلى ذِكر مَحبُوبَته، والمَواضِع الّتِي كانَ يتردّد عَليهَا فِي بِلَاد الشّام لِمدحِ أمرَاء بَنِي غَسّان، يَقول:

لشعثاءَ الّتِي قَـدْ تيَّـــمَتهُ فَلَيسَ لِقلــبِهِ مِنـــهَا شِــفَاءُ

[1]- حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص17-18. وللاطلاع على القصيدة كاملة يُنظَر في ملاحق الدّراسة.

كَأنّ سَبِـــيئَةً مِنْ بَيْـــتِ رَأسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَـــلٌ وَمَـاءُ
عَلى أنْيَابهَا، أوْ طَـعْمَ غَـضٍّ منَ التفاحِ هَصْـــرهُ الجَـنـاءُ
إذا ما الأشربـاتُ ذُكـرنَ يـوماً فَهُنّ لِطَيّـــبِ الـرَّاحِ الفِـــدَاءُ
نُوَلّيَها المَـــلامَةَ، إنْ أَلَـمْـــنَا إذا ما كانَ مغثٌ أو لحـــــاء
ونشـربها فتـتركـــنا مُـلـوكاً وأسداً ما يُنَـــهْنِهنا اللـــقاءُ
عَـدِمْنَا خَيــلَنا، إنْ لـم تَرَوْهَا تُثِيرُ النّـــقْعَ، مَـوْعِدُها كَدَاءُ
يُبَارِيــنَ الأعِنّـــةَ مُصْـــعِدَاتٍ عَلَى أكْتَـــافِهَا الأسَلُ الظِّـماءُ
تَظَـلُّ جِـــيَادُنَا مُتَمَـــطِّرَاتٍ تلطمـــهنّ بالخـمرِ النـــساءُ
فإمّا تُعْرِضُوا عَـنَّا اعْتَـــمَرْنَا وكانَ الفَتْحُ، وانْكَشَفَ الغِطـاءُ [1]

وبَعد كُلّ هَذا يَصِل حَسّان بن ثَابت إلَى مَدح الرّسولِ (ﷺ) فِي جُزء إسلَامي (حوالي 13 بيتا شعرياً على الأكثر) مِن القصِيدَة (يُرجَح أنّه قِيل عَلى فتراتٍ كَما سَبق وأن أشَرنا)، يقول فيه:

وَجِبْرِيلٌ رسول اللّـهِ فِيـــنَا وَرُوحُ القُـدْسِ لَيْسَ لَـهُ كِفَـاء
وقال الله قـدْ أرسَـلتُ عبْـدًا يَقُولُ الحقَّ إنْ نَـفَـــعَ البَـــلاءُ

إلى غاية أن يقول:

أَ مَن يَهـجُو رَسـولَ الله مِنكُم وَيمدَحُـــهُ وَيَنـصُـرُه سَـــوَاءُ؟
فَـإنَّ أَبِـي وَوَالِـدَه وَعِرضِـي لِعِـــرضِ مُحَـمَّدٍ مِنـكُم وِقَـــاءُ [2]

وَبَعد مَدحِ حَسّان لِرَسول اللهِ (ﷺ) فِي هَذِه الأبيَاتِ وَاصل هِجاءَه لأبي سُفيان بنُ الحَارِث وقَومَه قَائِلا:

فَإمَّـا تثقفَنَّ بَنو لُـــــوَيٍ جُذَيْمَةَ، إنّ قَتْـــــلَهُمُ شِفَـاءُ

---

[1]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص18–19.

[2]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص13–14.

أولئكَ معشرٌ نَصَـرُوا عَلَـينَا فَفِي أَظـفَـارِنَا منـــــهمْ دمـــاءُ

وَحِلْفُ الحَارِثِ بْن أبي ضِرَارٍ وَحِلْفُ قُرَيْظَةٍ مِنّـــــــا بَـــرَاءُ

لساني صارمٌ لا عيبَ فيـــهِ وَبَحْرِي لا تُكَـــــــدِّرُهُ الّـــدِلاءُ [1]

وَتحَقّقت خَاصّية تَعدُّدِ الأغراضِ والمَواضِيعِ فِي القَصِيدة الوَاحِدة أيضًا فِي لَامِية كَعب بن زُهَير المَشهورَة –علَى سَبيلِ المِثال لَا الحَصر– الّتِي مَدح فِيها رَسولَ اللهِ (ﷺ)، والّتِي تكلّمنا عنها أيضا حِين حَديثنا سَابقا عَن كَعب بن زُهَير في هَذا الفَصل مِن الدّراسَة، حَيث رَأينا أنّه بَدأها بِوَصف مَحبوبتهِ ونَسيبٍ ذَكرَ فِيه خَوفه وإرجَافَ الوُشَاة بِه مِن عَدوّه، يَقولُ كَعب فِي أوَّلِ لَامِيته:

بانَـتْ سُعَادُ فَقَـلْبِي الْيَـــوْمَ مُتَـــبْولُ مُتَيّـــــمٌ إثْرَهَا لَمْ يُـــجْزَ مَكْـــبُولُ

وَمَـا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَـــيْنِ إذْ رَحَـــلُوا إلّا أَغَنّ غَضِيضُ الطّرْفِ مَكْحُـولُ

هَيْـفَاءُ مُقْـبِلَةً عَجْـــزَاءُ مُدْبِـــرَةً لَا يُشْـــتَكَى قِصَـرٌ مِنْهَا وَلَا طُـــولُ

إلَى أن يَقول:

فَلَا يَغُرّنْكَ مَا مَنّـــتْ وَمَـا وَعَـــدَتْ إنّ الْأَمَـانِيّ وَالْأَحْـــلَامَ تَضْـلِيـلُ

أمْسَـــتْ سُعـــادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلّغُـــهَا إلّا الْعِـــتَاقُ النّجِـيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ[2]

ثمَّ انتقلَ كَعب إلَى وَصفِ نَاقتهِ وَصفًا دَقيقا –كمَا أشرنَا سَابِقا– علَى التّقاليدِ الشّعريّةِ القديمةِ المعروفَة إلى أن مَدح رَسُول الله (ﷺ) واصِفا إياه كَسيفٍ من سُيوف اللهِ مَسلُول، مُثنِيا علَى المُهاجِرين لِخروجِهم معَهُ مِن مَكّة إلَى المَدِينة بِإرادتِهم مُقتنعِين بِما يَفعلون، يقولُ كَعب:

إنَّ الرّسول لَسَيـــفٌ يُستَـــضـاءُ بِـهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيـــوفِ اللّـهِ مَســـلولُ

---

[1] – حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص17 إلى ص21.

[2]– يُنظَر.. كَعب بن زُهَير: **ديوان كَعب بن زُهَير**، ص60 إلى: ص62.

فِي عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم ببَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسلَموا: زُولُوا
زَالُوا، فَمَازالَ أَنكَاسٌ، وَلا كُشُفٌ عِندَ اللِقاءِ وَلا مَيلٌ مَعازيلُ
شُمُّ العَرانِينِ أَبطَالٌ لَبوسُهُمُ مِن نَسْجِ داوُدَ فِي الهَيجا سَرابيلُ
بِيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجدولُ
لَا يَفرَحُونَ إِذا نَالَت رِماحُهُمُ قَوماً وَلَيسُوا مَجَازيعاً إِذا نيلوا
يَمشُون مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السّودُ التَنابيلُ
لَا يَقَعُ الطَعنُ إِلّا فِي نُحُورِهِمُ مَا إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ [1]

وَكَما هو مَعروف لَمّا فَرغَ كَعب بنُ زُهَير مِن إلقاءِ قصِيدتِه وإنشادِها، عَفا عَنه رَسولُ اللهِ (ﷺ) وكَسَاه بُردَته الشّريفَة؛ فَسمِّيت قَصِيدته بـ "البردة" نِسبةً إلى ذلك، وبِهذا نُلاحِظ فِعلًا أنّ قَصِيدة المَدِيح النّبوِي فِي عَصر صَدر الإسلَام كَانَت عَلَى طَرِيقَة نَظمِ شُعرَاء الجَاهِلِيّةِ مِن حَيثُ تَعدُّد مَوضُوعَاتها وأغرَاضِها الشِّعرِيّة.

[1]– يُنظَر.. كَعب بن زُهَير: **ديوان كَعب بن زُهَير**، ص67.

الفَصل الثَّالِث:

خَصَائِص شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث

1. مَـــدخَـــــل:

2. أَعـــلَام شِـــعـر المَـدِيح النّـــبـوِي فِـــي الـعَـــصـــــرِ الـــحَدِيـث:

3. خَصَائِص شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصر الحَدِيث مِن حَـيث الشَّـكل:

4. خَصَائص شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصر الحَدِيث مِن حَيث المَـضمُون:

خَصائِص شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصر الحَدِيث

المَوضوع	
1. مَـــــدخَـــل:	ص118
2. أعـــلَام شِعر المَدِيح النّبـــــوِي فِـي العَـصرِ الحَـدِيـــث:	ص119
2-1. مَحمود سَـــامِي البَـــارودِي (ت 1904م):	
2-2. أحـــــمَـــد شَـــــوقـــي (ت 1932م):	
2-3. يُـوســـف الـنّـــــبهَاني (ت 1932م):	
2-4. أحـمَـــــــد مُـــحـــرَّم (ت 1945م):	
3. خَصَائِص شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث مِن حَيث الشّـكل:	ص133
3-1. اعتـــمَـــاد أوزَان البُـــحور الطَـــويلـــة:	
3-2. وِحدَة الـقَافِـــيـة والـــرَّوِي وَالتّـــصرِيـــع:	
3-3. ظَاهِرَة الـتّوَازِي وتَـوَلُّـدُ التّـــكـــرَار عَـنـهَا:	
3-4. طُول القصَائد وكَثرَة الأبيَات المَخصوصة بمَدح الرّسول(ﷺ):	
3-5. حُضُـــور عُنـوان القـــصَائد وإتـــقَانـــه:	
4. خَصَائِص شعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث مِن حَيث المَضمُون:	ص150
4-1. الطّابع الدِّينِي الإسلَامِي وَصِدق المَشَاعِر والمُغَالَاة فِي المَدح:	
4-2. الوَظِيـــــــفَة الـــدَعَـويّة الإرشَـــادِيَّـــة وَقُـــوَّة المَعَانِي:	
4-3. الاقتِبَاس منَ القُرآن الـكَريم والسـنّة النَّبويّة:	
4-4. الألفَاظ والحَقل المعـجَمِي الدِّيني الإســلامي:	
4-5. تَعَـــدُّد المَـــوضوعـات والأَغـــرَاض الشّعريّة:	

1- مـــدخَـــل:

شَهِدَ العَالم العَربيّ فِي العَصرِ الحَدِيث بعدَ حَملةِ نابليُون بُونَابرت علَى مصر والشّام سَنتَي (1789م-1801م) عِدّة تقلّبات سِياسيّة واجتماعِيّة وثقافِيّة وأدبِيّة... وَظهَر علَى إثر ذلِك دَعَوات إصلَاحِيّة وثَورات قَوميّة كَثيرة ضِدّ ذَلك الاعتِداءِ الأجنَبِيّ، وكَانَ لَا بدَ لهذِه الظُروفِ أن تُبرِزَ رِجالاً يَهتمّونَ بالمَجَال الأدَبيّ والفنّي، ويُحيُونَه مِن جَدِيد، وَيعيدُونَ لَه رُوحَه الشّعريّة التراثيّة الأصِيلَة.

وَالحَدِيث عَن شِعر المَدِيح النّبوِي وخَصَائِصه شَكلًا وَمضمُونًا فِي العَصرِ الحَدِيث يُوجِب عَلينا البَحث عَنها مِن خِلال التّأمل فِي دَواوِين شُعرَاء خِطاب البَعث والإحيَاء، أو مَا يُعرَف بِشعراء التيّارِ الكلَاسيكِي أو المَدرَسة الإحيَائيّة المُتميّزة بِطابِعها التّراثِي، ومُعالجة قَضَايا عَصرِها بالدّرجَة الأولَى، والبَاحث فِي دَواوينهم يَجد مَجمُوعة لَا يُستهَان بِها مِن القصَائد الجيّدة فِي مَدح الرّسولِ صَلَى الله عَلَيه وَسَلّم.

وَنحن نَتحدّث عَن المَدائِح النَّبويّة في هَذا العَصر يَجدُر بنا الذّكر أيضًا إلَى أَنّ النّقادَ والشّعراءَ قد تَجاوزوا فِكرَة القَصيدة الوَاحدة أو القصَائد المُتناثِرة هُنا وَهنَاك فِي مَدح رَسولِ اللهِ (ﷺ) إلى فِكرة تَأليف دَواوِين كَامِلة، وأعمَال نَقدِيّة مُخصَّصَة لِهَذا الغرضِ، ولَعلّ السَّبب فِي ذَلك هُو اكتمَال نَموذَج قَصيدة المَدِيح النّبوِي وَنُضجِها، وَتأسُّسِها كَشِبه غَرضٍ شِعري جَديد مِن أغرَاضِ الشّعر العَربِيّ، وقِيامها-إن صحّ التّعبير- بِذاتها وَلذاتِها؛ فَمِن بَين المُؤلفات الّتِي ظَهرت مثلا:

المَجموعَة النّبهَانيّة فِي المَدائِح النَّبويّة: تأليف يُوسُف النّبهَاني، مَوسُوعة المَدائِح النَّبويّة: تأليف عَبد القادر الشّيخ عَلِي أبو المَكَارم، المَطَالع الشّمسِيّة فِي المَدائِح النَّبويّة: تأليف النّواجي؛ المتوفَى سنة 859هـ، المَدائِح النَّبويّة حتّى نِهاية العَصر المَملوكي: تأليف مَحمُود سَالم مُحمّد، المَدائِح النَّبويّة في الأدَب العَربِي: تأليف زكِي مُبارك... وغيرها من الأعمَال الشّعريّة والنّقديّة الّتي استفادَ منهَا أهلُ العِلم.

2. أعـلام شِـعر المَـدِيح النّبـوِي في العَـصرِ الحَـدِيث:

مِن أهمّ الشّعراء الّذينَ تَميّزوا وبَرعُوا فِي مَدحِه (ﷺ)، وأخذَت دَواوينُهم وقصَائدهم شُهرة وَاسِعة نَذكر علَى سَبِيل المِثَال لَا الحَصر: الشّاعِر الكَبير "مَحمُود سَامِي البَارودِي"، وَأميرُ الشّعراء "أحمَد شَوقي"، والشّاعِر "أحمَد مُحرَّم"، والشّاعِر "حَافظ إبراهِيم"، والإمَام "يوسُف النّبهَاني"، والشّاعِر "مُحمّد الحَلوِي"، و"شكِيب أرسلَان"، والرصَافي، والغَلاييني، وعَبد الله البُستاني وآخرُون كَثيرون لَا يَسعنا أَن نَتطرّق إليهِم جَميعًا فِي هذِا المَبحث؛ لتشَابِه أشعَارهم شَكلًا ومَضمونا فِي عُمومها مِن جِهة، وَحتّى لَا يَطول بَحثنا دُون فَائدة كَبيرة مِن جِهة أخرَى، وسنتطرَّق فيمَا يلي إلَى: البَارودِي وأحمَد شَوقي ويُوسف النّبهَاني وأحمَد مُحرَّم علَى سَبِيل المِثَال لَا الحَصر.

2-1- مَحمُـود سَـامِي البَـارودِي (ت 1904م):[1]

جاء البَارودِي بَعد الفترة الطَويلة الرّاكِدة المُوغِلة فِي رَواسِب التبدّلِ والتكلّفِ والمَعانِي الرّدِيئة الّتِي شَهِدها الشّعر العَربيّ، الّذي فَقد رَونقه، وَأصبَح جَسداً بِلا رُوح، وزَخـرَفة مِن البَديعِ تَخلُو مِن جَودة المَعنى، وَوَسِيلة للتّكسّب والاقتِراب مِن أربَاب السُّلطَة، فَكانَ البَارودِي حَلقة وَصلٍ بَين التّراثِ العَربيّ القدِيم؛ الّذي انهَار-كمَا يَرى كثيرٌ مِن الباحِثين- بَعد سُقوط دَولةِ بَني العَبّاس، وَبين العَصر الحَدِيث الّذي تفجّرَت طَاقاته بِالنّهضَة العِلميّة والفكريّة الّتي سَادت أورُوبا، والّتي بَدأت إرهاصَاتها فِي مِصر فِي القرنِ التّاسعِ عشَر.

---

[1]- **محمود سامي البارودي**: ولد البارودي في القاهرة عام 1838م، تيتّم صغيرا فاهتم ذووه بتعليمه، كان فارساً وقائداً وشاعراً متميّزا عن غيره، مجدداً للأدب العربي الحديث ورائداً له، أهم عمل قام به البارودي هو شن حملة شديدة العصف على ما كان يمتاز به الشعر في عهده من ضعف، كان شعره جزلا فخم الأسلوب، يتصف بالنغم الحلو في الوزن والقافية، وتتسلسل فيه الوجوه الجمالية والتجميلية بطريقة أخاذة تجمع بين القديم والجديد، تأثرا بالشعراء القدماء أمثال البحتري، وأبي الطيب المتنبي، وأبي فراس الحمداني، ومواكبة لقضايا عصره، ومختلف أطياف مجتمعه، توفي سنة 1904م. للاستزادة: يُنظَر.. محمود سامي البارودي: **ديـوان البـارودي**، تح/ علي الجارم ومحمّد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، لبنان، 1998م، ص05 إلى ص 30.

وفِي تِلك الظّرُوف تألّقَ البَارودِي وقدَّم شِعراً قوياً شَكلًا ومَضمُونا، وَبِرُوحِ العَصر وقَضَاياه المُستَحدَثة، وَلعلّ مِن أهمّ أسبَابِ تِلك القوّةِ فِي شِعرِه هُو تأثّره بِالنّماذِج الخَالِدة في التّراثِ العَربيّ القدِيم، وَالسّيرِ علَى نَهج أصحَابِها، فالبَارودِي "قرأ المِئات مِن قصَائد الجَاهِلِيين والمُخَضرَمين وفُحول المُحدثِين.. ولَا نَعرف أحداً بينَ أبنَاء جِيله أَو أبنَاء الجِيل الّذي تَلَاه قَرأ أكثرَ ممّا قَرأ هُو مِن دَواوِين العَرب، واستفادَ مِن قِراءتها أكثرَ مِمّا استفاد[1]، وَهَذا مَا جَعل شِعره جَزِلا ذَا نقلَة نَوعِيّة، رَفعَ مِن شَأنِه وَميّزه عَن غَيرِه مِن مُعاصِريه وَمَهّد لَه الطّريق لِريَادة الشّعر العَربيّ الحَديثِ.

وأشهَر قصَائد البَارودِي فِي مَدح رَسولِ الله (ﷺ) قَصيدَته المُطوّلَة "**كَشفُ الغمَّة فِي مَدحِ سَيّد الأمّة**" وعَدد أبيَاتها (447) بَيتا (وَقَد أشَرنا إلَى هَذا سَابِقا فِي أشكَال المَدِيح النّبوِي)، تتبّعَ فِيها حَياة النّبيّ (ﷺ) مُتابعَة تاريخِيّة دَقيقة لَا يسَعنا فِي هَذا المَقام أن نُفَصِّل فيهَا كَثيرا أو أن نَعتمِدها كَمدونَة بَحث للفَصل التّطبِيقيّ لِهذِه الدّراسَة لِطولها وَلوجُوب تقيّدنا بِعامِل الوَقت، وقَد نَثَر البَارودِي فِي أبيَاتها حَياةَ النّبيِّ منذُ وِلَادتِه، مُرورًا بِرضَاعَته وَنشأتِه، وَبِعثته، وَجِهاده إلى آخرِ حَياتِه وَمعجِزاتِهِ (ﷺ)، يقُول فِي مَطلعهَا:

يَا رَائِـــدَ البَـرْق يَمِّم دَارَةَ العَلَـــمِ واحْدُ الغَمَام إلَـى حَيٍّ بِذِي سَلَم
وَإن مَرَرتَ علَى الرَّوحَاءِ فَامْرِ لَها أَخــلَافَ سَـــارِيَةٍ هَتّـانَةِ الدِّيَمِ
مِنَ الغِزارِ اللَّـــواتي فِي حَـــوَالِبِها رِيُّ النَّـواهِلِ مِـــن زَرعٍ وَمِن نَعَمِ [2]

وَهو مَطلعٌ مَعهود –كما يرَى الدّكتور مَحمُود عَلِي مكّي– فِي القصَائد المَدحيّة النَّبويّة القَديمة الّتِي كَثيرا مَا تَذكُر المَواضِع الحِجَازيّة وتُهدي التّحيّة إليها مَع الرّيحِ

[1] – يُنظَر.. عباس محمود العقاد: **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**، مكتبة النهضة الحديثة، مصر، ط3، 1965م، ص 126.

[2] – محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة**، (صحّحها وفسر بعض غريبها "ياقوت المرسي")، مطبعة الجريدة، غيط العدة، مصر، 1909م/1327هـ، ص03.

والبرقِ، ثمّ انتقلَ البَارودِي فِيها إلَى أبيَات نَسيبٍ لَم يَخرج فِيها أيضًا عَن التّقاليدِ القَديمة، اعترفَ بِها بِسذاجة فِي آخرِ قصيدَتهِ:

صَدّرتُها بنَسِـــيبٍ شَفَّ بَاطِنُه عَن عِفَّـةٍ لَم يَشِنـــهَا قَولُ مُتَّهِمِ

لَم اتّخِذهُ جِــزافا بَل سَلَكتُ بِهِ فِي القَولِ مَسلَكَ أَقوَامٍ ذَوِي قدمِ

ويَدلّ هَذا الاعتِرافُ أنّ البَارودِي كَانَ علَى دِرايةٍ أنّه التزَم بِالتقاليد الشّعريّة المَوروثة، "وَهو يَخشى أن يُتَّهَم بإسَاءة الأدبِ، فَيقول إنّه كَانَ غَزلًا عَفيفا لَا مطعَن فيه عَليه، وَهَذا تَحرُّج قَضَى بِه تَزَمُّتُ مُجتمَعنا الحَديث؛ فَكَعب بن زُهَير وحَسّان بنُ ثابِت قَدّمَا مَديحَهما بِغزلٍ لَم يَحتاجَا مَعهُ إلَى مِثل هَذا الاعتِذار."[1]

وَمِن أجوَد قصَائد البَارودِي فِي مَدح رَسولِ الله (ﷺ) أيضًا جِيميتُه المَشهورَة، الّتي يَقولُ فِي مَطلعهَا:

يَا صَارِمَ اللَّحْظِ مَن أَعْراكَ بِالمُهَجِ حَتَّى فَتَكَت بِهَا ظُلْــمًا بِلَا حَـرَج

مَازالَ يَخـدَعُ نَفسِي وَهِـيَ لَاهِـيَةٌ حَتَّى أَصَابَ سَوَاد القَلبِ بِالدَّعَـجِ[2]

والّتي أبدَى فِيها فَضل رَسول الله (ﷺ) علَى النّاسِ، وَشَوقه وَحُبّه الشّدِيد لَه، يَقول فِي هَذا الشّأن:

هُوَ النّبِـــيّ الّذي لَـولَا هِدَايَـــتُه لَكَانَ أَعْلَم مَن فِي الأرضِ كَالهَمَج

أنا الّذي بِتّ مِن وَجدي بِرَوضَـتِه أحِنُّ شَــوقًا كَطَــير البَانَة الهَـزِج

هَاجَت بِذكرَاه نَفسِي فاكتَسَت وَلَهًا وَأيّ صبٍّ بِذِكْـر الشّـوقِ لَم يَهِج [3]

وَهذِه القَصيدة هِي فِي الحَقيقَة مُعارَضَة لقَصيدة الشّاعِر العَبَاسي الصّوفِي ابن الفارِض، المُلقَّب بِسُلطان العَاشقين؛ الّتي يَقول فِي مَطلعهَا:

مَا بَينَ مُعتَرَكِ الأحـدَاقِ والمُـهَجِ أنَا القَتِـــيلُ بِلَا إثـــمٍ وَلَا حَـــرَج

---

[1]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، نفسه: ص143.

[2]– محمود سامي البارودي: **ديوان البارودي**، ص99.

[3]– نفسه: ص101.

ودَّعت قَبلَ الهَوَى رُوحِي لَمّا نَظرَتْ عَينَايا مِن حُسْنِ ذَاكَ المَنظَرِ البَهِـجِ

لله أجفَـــان عَيــن، فِيـكَ سَاهِرَةٌ شَوقًا إلَـــيكَ، وَقَلبٌ بالغَــرَامِ شجّ[1]

وَيدُلّ هَذا علَى أن شُعرَاء العَصرِ الحَدِيث لَم يَتمَكّنوا مِن التحَرّرِ كُلِّية من السّيرِ علَى تَقاليد القدَماء رغمَ أنّهُم كَانوا يَدعُون إلى النّهضَة بِالأدَب وَبَعثه فِي ثوبٍ جديدٍ.

2-2- أحمَــد شَـوقـي (ت 1932م):[2]

يُعتبَر أحمَد شَوقي مِن أبرَزِ أعلَامِ العَصرِ الحَدِيث فِي مَدح رَسول الله (ﷺ)، وَقَد "ظَهرَ الجَانِب الإسلَاميّ فِي شِعرِه فِي كَثيرٍ مِن قصَائده، إذ كَانَ يَكتُب أبياتاً مُفردةً ليؤكِّد علَى أهَميَّة الصّلَاة، كَما كَتبَ عَن فَريضَة الحجِّ، وَرسَم فِي ذَلك صُوراً فَنيَّة رَائعَة، وَتعدَّى شِعره إلَى مَرحَلة المَدائِح النَّبويّة الّتِي تَجلَّت بِصُورة وَاضِحَة وَمُبهِرَة فِي

---

[1]- يُنظَر.. أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي المعروف بابن الفارض: **ديوان ابن الفارض**، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، (نسخة pdf مصورة)، ص144.

[2]- **أحمد شوقي:** ولد أحمد شوقي سنة (1868م)، ونشأ في قصر إسماعيل الخديوي في القاهرة بمصر، وتوفي سنة (1932م) في قصره المعروف باسم "كرمة ابن هاني"، كان دائم الترجح بين العرب والأتراك، وبين الحاكم والمحكوم، أما ثقافته فكانت عربية وتركية وفرنسية، استطاع من خلالها الاطلاع على الشعر العربي والتركي والأوروبي، مما جعله يستفيد من مختلف التيارات الشعرية، تلقى علومه كاملة في مصر أولاً، وفي فرنسا ثانياً. وبعد تخرّجه من مصر، عمل بعض الوقت في قصر الخديوي توفيق الذي عينه الإنجليز بعد خلع الخديوي إسماعيل، حيث كان ينظُم له قصائد المدح، فأرسله ضمن بعثة إلى فرنسا لإكمال دراسته، حيث أمضى فيها أربع سنوات حصل فيها على شهادة الحقوق. وبعد وفاة الخديوي توفيق سنة (1892) وتولي ابنه الخديوي عباس حلمي الحُكمَ، بقي شوقي ينظم له قصائد المدح في المناسبات المختلفة مدة طويلة من عمر الزمن، متجاهلاً ما يحدث خارج أسوار قصر الخديوي، غير متردّد في هجاء القائد الوطني أحمد عرابي العائد من المنفى، ومدح السلطان عبد الحميد في إحدى قصائده. ولم يتبدل شوقي، ولم ينزل من برجه العالي، إلا بعد ما خلع الإنجليز الخديوي عباس حلمي، الذي كان يعالج في اسطنبول، وأُعلنت مصر محمية بريطانية، وعيّنت مكانه السلطان حسين كامل، حيث فشل في التقرب من الحاكم الجديد، ليتمّ نفيه إلى بريطانيا سنة (1915). وفي سنة (1920) سمحت له السلطات الإنجليزية بالعودة إلى مصر، وحاول من جديد التقرب من الحاكم ولكنه فشل، مما أدى إلى انحيازه الكامل نحو الشعب المصري من جهة، ونحو الشعب العربي من جهة ثانية، فأخذ ينظم القصائد الوطنية والثورية وغيرها، وانتقل بذلك من موقع إلى آخر، فأصبح شاعر الشعب بعدما كان شاعر السّلالة الخديوية.

شِعره وَبِكَمٍّ هَائِلٍ"[1]، حَيث اتّبعَ شَوقي نَهجَ البَارودِي فِي مُعارضَة الشّعراء القُدامَى فِي نَظم القصَائد المتعلّقةِ بمَدح رَسول الله (ﷺ)، من خِلال تتبّع حَياتِه وَذِكر مَناقبِه وَتِعدَاد مُعجِزاتهِ وَصِفاتِه المثلَى، كَما فِي هَمزِيته النَّبويّة المَشهورَة (131 بَيتا) التي يَقول في مَطلعهَا:

وُلِد الهُدَى فالكَائِـنَـاتُ ضِيَـاءُ وَفِي فَم الزَّمَـان تَبسُّـم وثَنَـاء

الرُّوح والـمَلَأ المَـلَائِـك حَولَه لِلدِّين والدُّنـيَا بِـهِ بُشَـرَاء [2]

وَكَذا فِي مَولديتهِ البَائيّة المَشهورَة "**ذكرى المَولِد**" أيضا (71 بَيتا شِعريا) ، والّتي يَقولُ فِي مَطلعهَا:

سَلُـوا قَلْبِي غَـدَاةَ سـلَا وَتَـابَا لَـعَلَّ علَى الجَمَـالِ لَهُ عِتَابـا

ويُسـأَلُ فِي الحَـوَادِثِ ذُو صَـوَابٍ فَـهَلْ تَرَكَ الجَـمَالُ لَهُ صَوَابا[3]

وَكَذا فِي قَصِيدَته المِيميّة نَهج البُردة (190 بَيتا) الّتِي سَنعتمِدهَا كَمدَونة بَحثٍ للفَصلِ التّطبيقي لِهذِه الدّراسَة بالنّظرِ إلَى شِدّة شُهرَتها وَشُيوعِها وَقِصرِها مُقارَنة بِقَصيدة البَارودِي: "كشفُ الغُمّة فِي مَدح سَيّدِ الأمَة" وعَدَد أبيَاتِها (447 بَيتا)، الّتِي عَارضَ فِيها أحمَد شَوقي بُردَة الإمام البوصَيري، والّتي "أقرَّ أنّهُ اقتفَى أثرهَا وانتهجَ سَبِيلهَا، وأنّه لَم يَعمَد إلَى مُعارضتهَا وإنّما اكتفَى بِالنّظم علَى نَهجِها فِي كُلّ مُعارضَة تَحتَدُّ المنافسَة بَين الشّاعرِ المُستدعَى والشّاعِر المُستدعِي"[4]، وَمطلَع قَصيدة أحمَد شَوقي هُو:[5]

---

[1]– زين سليم: **أحمد شوقي في مدح الرسول**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://mawdoo3.com، تاريخ النشر: 31 ماي 2018م، تاريخ الاطلاع: 24 جويلية 2018م.

[2]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، مج1، ص34.

[3]– نفسه: ص68.

[4]– يُنظَر.. تأليف مجموعة من الدكاترة: **مِن شعراء الإحياء**، المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم (الألسكو)، تونس، دط، دت، ص49.

[5]– للاطلاع على القصيدة كاملة يُنظَر في ملاحق هذه الدّراسة.

ريمٌ علَى القَاعِ بَينَ البَــانِ والعَلَمِ أحَلَّ سَـــفكَ دَمِي في الأشهُرِ الحُـرُم
رمى القضـاء بِعَيني جُـؤذَر أسـدًا يَا سَاكِنَ القَـــاعِ أدرِك سَاكِن الأجَم
لمَّا رَنَا حَدّثَـــتنِي النّفــسُ قَائِلَـة يَا وَيحَ جَنْبِكَ، بالسَّهم المُصيبِ رُمِي[1]

وَلَكن عَادةً مَا تنتهِي المُواجهة بَين مَا هُو أصِيل، وَما هُو وَليد عَنه بِتفوّقِ الأصِيل فِي غَالِب الأحيانِ، وَهَذا مَا أدَى بِأحمَد شَوقي إلَى رَفضِ المُواجَهة، والإشارَة في خِتام مِيميتهِ إلى فضلِ البوصَيري عَليه، مُؤكِّدا أنّهُ مُجرّد تابعٍ له مِن زُمرة الغَابِطين به والمتأثِرين إيجَابا بِشعره، يقول:

المَادِحُــونَ وأربَابُ الهـَوَى تَبَع لِصَاحِب البُــردَة الفَيحَاء ذِي القَدَم
مَديحُه فِيــكَ حُبٌّ خَالِصٌ وَهوًى وَصَادِقُ الحُــبّ يُملِي صَادقَ الكَلِم
الله يَشــهَدُ أنِّــي لَا أعَــارِضُهُ مَن ذَا يُعارضُ صَوبَ العَارِض العَرِم
وإنّمَا أنَا بَعضُ الغابِــطِينَ وَمَن يغْـبِـط وَلِيَّـــك لَا يُذْمَـــم وَلَا يُلَـم [2]

والمتأمّلُ جَيّدا فِي هذِه القَصيدة المُطوّلَة، والباحِث فِيما قِيل عَنها مِن شُروحٍ وتَحالِيل "لَا ينكرُ أنَّ قَصيدة نَهج البردَة تعدّ مِن أجودِ مَا قيلَ فِي مَدح خَير البَريّة عَليه أفضَل الصّلَاة وأزكَى التّسلِيم، فَقَد أَبَان أميرُ الشّعراء عَن مَشاعِر فَيَاضَة، وَتعلُّق شدِيد بالإسلَام، حَيث حَاول أَن يُعطِي نَفَسًا حيًّا فِي قَصيدَته، فَربَطها بِمشَاكِل الأمّة، وَشخَّصَ الدّاء، وعَرض الدّواء "[3] فِي فُسَيفِسَاء مِن الأبيَات الشّعريّة الخَالدة، رَغم عَديد الانتقَادات الّتِي وُجِّهَت إليهَا.

---

[1]– يُنظَر.. أحمد شوقي: **الشّوقيات**، مج1، ص190. **جؤذر**: هو ولد البقرة الوحشية والمقصود هنا المحبوبة التي وصفها بالرّيم.

[2]– نفسه، مج1، ص199/200.

[3]– يُنظَر.. منتدى الأنبار: **شرح وتحليل قصيدة نهج البردة لأحمد شوقي في مدح الرّسول الكريم**، نقلا عن الموقع الإلكتروني للمنتدى: https://analbahr.com ، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 25 مارس 2017م.

والمُطّلعُ علَى شِعر شَوقي عَامّة، يُلاحِظ أنّه كَانَ يَجمع فِي شِعره بَينَ طَابع الحَياةِ العَربيّة ذَات الحَضَارة الإسلَاميّة الّتي تتميَّز بقِدمها وإيمَانها، وطَابع الحَياة الغَربيّة الخَاضِعة لحُكم العِلم والعَقل ومَنطِق المَادة، وأنّ كَثيرًا مِن شِعره يُعارِض رَوَائع مَا اشتُهِر مِن شِعر قديمٍ، "حتّى أصبَحت المُعارَضَات سِمةً مِن سِماتِ دِيوانِه، بَل رُبّما ذَهبنَا بِسَبب كَثرتِها إلَى أنّ شِعره كَان فِي مُجملهِ مُعارَضة للشّعرِ العَربيّ القدِيم"[1] المتميّزِ بجَودة النّظمِ وقُـوّة السّبكِ.

2-3. يُوسـف النّبــهَـاني (ت 1932م):[2]

يُعدّ النّبهَاني رَائدا مِن رُواد الشّعر العَربي الحَدِيث فِي العَهد العُثمانِي، وَشيخًا مِن شُيوخِ الفِقهِ الإسلَامي، وصَاحبَ طَرِيقَة فِي التّصوّف، وعَلَمًا مِن أعلَام الحرَكة الشّعريّة الفلسطِينيّة فِي القرنينِ التّاسِع عَشر والعِشرين مِيلادي، لُقِّب بِالعدِيد مِن الألقابِ، لَخّصَها **الكِتّانِي**[3] واصِفا إياه بِأنّه: بُوصَيرى العَصر، الأدِيب، الشّاعِر المفلّق، الطَائر الصِيت، المُحِبّ الصّادِق، نَادِرة العَصر... وَغيرها مِن الألقابِ، وَيُعرَف عَنه عَامّة أنَّه

---

[1]- يُنظَر.. تأليف مجموعة من الدّكاترة: **مِن شعراء الإحياء**، ص50.

[2]- **يوسف النّبهاني:** هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهاني، القاضي الفقيه الصوفي، والشاعر الأديب، المكثر من مدائح رسول الله تأليفاً ونقلاً وروايةً وإنشاءً وتدويناً، ولد سنة (1350 -1265)هـ الموافق لـ (1849- 1932م). ونسبته إلى بنى نبهان من عرب البادية بفلسطين، تعلم بالأزهر الشريف بمصر (سنة 1283- 1289هـ)، وتلقى فيها على أكابر علماء الأزهر، تولى نيابة القضاء في جنين، ثم سافر إلى الآستانة، واشتغل بالتحرير في جريدة الجوائب، وتصحيح الكتب العربية، ثم عين قاضياً في كوي سنجق الكردية، ثم رئيساً لمحكمة الجزاء باللاذقية، ثم محكمة الجزاء بالقدس، ثم رقى إلى رئاسة محكمة الحقوق ببيروت، ولما أحيل للتقاعد سافر إلى المدينة المنورة، ثم عاد إلى بلاده وبقى فيها حتى توفي سنة 1932م، أما مصنفاته فهي كثيرة جدا، وجلها أو كلها في الحديث النّبوي ومتعلقاته...

[3]- **الكتّاني:** هو الشيخ الإمام محمد بن جعفر بن إدريس بن محمد الزمزمي بن محمد الفضيل الكتاني الحسني، فقيه، ومحدّث، ومؤرخ مغربي، ولد بفاس سنة 1857م، حفظ القرآن، وأخذ مختلف العلوم من تفسير وفقه، وأصول وحديث، ولغة ونحو وبيان وسير وتصريف ومنطق، وغير ذلك على أئمة العلم في عصره، ارتحل إلى العديد من بلدان المشرق العربي ثم عاد إلى وطنه، له أكثر من ستين مؤلفا، توفي سنة 1927م.

مِمّن خَدم السّيرَة النَّبويّة أرفَع الخَدمَات، وأوقفَ حَياته علَى ذَلك إلى دَرجَة اتّهامِه بالمُغالَاة، حَيث نَشرَ وَكتَب مَا لَم يَتيسّر لِغيرِه مِمّن عَاصَرُوه.

وَلَهُ مُؤلّفات مَطبُوعة بَلغت سَبعَة وَستينَ كِتابًا، وَرَدَت فِي فَهارِس دَار الكُتب المِصريّة، وَهُو شَاعر فَقيه، لَه شِعر كَثير فِي مَدح الرّسولِ (ﷺ)، وَقصَائد وَطنيّة فِي نَفسٍ شِعري طويلٍ، بَلغت بَعض قصَائده الألفَ بَيت شِعري، أيّدَ فِي شِعره الخِلافة العثمانيّة علَى عِلّاتِها، وَدَعا إلَى إصلَاح الأخطَاء فِيها، وَبَقي علَى مَوقفِه مِنها حَتّى بَعد الانقِلاب علَى السّلطَانِ عَبد الحَميد وَزَوال حُكمِه.

اختلَفت حَوله الآراء النّقديّة والفقهيّة؛ فرآه بَعضُهم –وَمنهم شَكيب أرسلَان– أشعَر شُعراء عَصرِه، وَرَآه آخرون –ومنهُم عزّة دروزة– لَيسَ أكثرَ مِن نِظّام للشّعرِ؛ بَل هُناكَ مَن رَدّ عَليهِ الكَثير مِن شِعرِه الدّينيّ (مثل كِتاب: "سِتُ مَنظُومَات فِي الرّدِّ علَى الصّوفي يُوسف النّبهَاني" لِمجمَوعة مِن العلمَاء والأسَاتذة، مِن إصدَارِ: الدّار الأثريّة، عمَان، الأردُن، سنة 2008م) لِمَا فِيه مِن تَهجّمٍ علَى بَعضِ أعلَام الدّعوَة الإسلَاميّة (خاصَّة شَيخ الإسلَام ابنُ تَيمِيّة وَمُجدّد دَعوَة التّوحِيد مُحمّد بن عَبد الوَهَاب) [1]، وَمِن إطراء مُبالَغ فِيه، وَعَثرات وَغُلوّ وَشُبُهات عَدِيدَة، وَهَذا مَا جَعلَنا لَا نَعتمد أيّةَ قَصيدة مِن قصَائده المَدحيّة النَّبويّة كَمدَونة بَحثٍ للفَصلِ التّطبِيقي لِهذِه الدّراسَة؛ بِالنّظَرِ إلَى كَونِها مَحلَّ اختِلَافٍ وَأخذٍ وَردّ، إضَافةً إلَى طُولها الشّديد وَقلّةِ الدّراسَاتِ حَولَها.

وَمِن أهمِّ مُؤلّفَاتِه وآثارِه فِي مَدحِ الرّسولِ (ﷺ) "دِيوان بِعنوان (الهَمزِية الألفيّة المُسمَّاة طَيّبة الغَرّاء في مَدحِ سَيّد الأنبيَاء)، مِن إصدَارِ المَطبعَة الأدبيّة بِبَيرُوت (لبنان) سَنة 1896م، وَلَه دِيوَان بِعنوَان (المَجمُوعَة النّبهَانية فِي المَدائِح النَّبويّة) مِن إصدَار مَطبَعة المَعارِف بِبَيرُوت سَنة 1902م، وَلَه دِيوَان أيضًا بِعنوَان (**العقُود**

[1]– يُنظَر.. سليمان بن صالح الخراشي: **ستّ منظومات في الرّد على الصوفي يوسف النّبهاني**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: **https://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/mm/57.htm**، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 25 سبتمبر 2018م.

اللّؤلؤيّة فِي المَدائِح النَّبويّة) مِن إصدَار مَطبَعة "صَبرَا" بِبَيروت سنة 1911م، وَلَه قَصيدة مُطوّلَة بِعنوَان **(الرّائية الكُبرى)**، وَلَه قَصيدة أخرَى بِعنوَان **(الرّائية الصّغرى)**، وَلَه نَظمٌ بِعنوَان **(أحسَن الوَسَائل فِي أسمَاء النّبيّ الكَامِل)**"[1]، وسَنستوضِح بَعضَ هذِه الآثارِ –علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر– فيمَا يَلي:

– فَمِن أشهَر قصَائده فِي مَدحِ الرّسولِ (ﷺ) قصِيدَته الهَمزيّة الّتي نُشِرت فِي بَيروت سنة 1896م –كَما سَبقَ وأن أشَرنا–، والمُسمّاة "طَيّبة الغرّاء فِي مَدح سَيّد الأنبيَاء"؛ الّتي وَزَّعَها علَى عَناوين عِدّة مُنتزَعَة مِن حَياةِ الرّسُولِ (ﷺ) وَسِيرته، مِن مَولده حَتّى وَفَاته، والّتي عَارضَ فِيها هَمزيّة البُوصَيري "**أمّ القرَى فِي مَدحِ خَير الوَرَى**"، وَيتجَاوز عَدَد صَفحَاتها المَائة صَفحة، وَيقُول فِي مَطلعهَا:

نُورُك الـكُلّ والــوَرَى أَجـــزَاء يَا نَبِيًّا مِن جُنـدِه الأنــبيَاء

عِلّة الــكَونِ كُــنتَ أنـتَ وَلولَا كَ لَدَامَت فِي غَيبِها الأشيَاء

مُنتَهَى الفَضلِ فِي العَوالِم جَمعًا فَوقَــهُ مِــن كَمَالِك الابتدَاء

لَم تَــزَل فَوقَ كُلّ فَـوقَ مُجِدًّا بالترقِي، مَا للــتَرَقِي انتهَاء

جَزت قَــدرا فَــمَا أمَامَك خَلق فَـوقَــكَ اللهُ والبَــرَايا وَرَاء [2]

وخَتمَ النّبهَاني قصِيدَته هذِه بالصّلَاة والسّلَام علَى رَسولِ اللهِ (ﷺ) وعلَى آله وصَحبِه وَمَن وَالَاه، وَبِحَمدِ اللهِ والثّناءِ عَليه، يَقول:

وَبِحَسبِي صَــلَاحُ دِيــنِي وَدُنيَا يَ وَحُســن الخِتامِ فِيهِ اِكتفَاءُ

فَعَليكَ الصَّــلَاةُ تَبــقَى مِن اللّــ ـهِ كَــمَا شَاء كَثــرَةً وتَشَــاءُ

وَعَليكَ السّــلَامُ مِنــهُ علَى قَد رِك قَــدرٌ لَا يَعتَــرِيه فَنَــاءُ

---

[1]– يُنظَر.. معجم البابطين: **سيرة الشاعر يوسف النّبهاني**، نقلا عن الموقع الإلكتروني للمعجم: http://www.almoajam.org/poet، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 10 سبتمبر 2017م.

[2]– يُنظَر.. كامل السوافيرى: **الاتجاهات الفنيّة فى الشّعر الفلسطيني المعاصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1973م، ص26.

وَعــلَى الأولِيـــاءِ آلك والصَّـــح بِ وَمَـــن للجَمِـــيعِ فِـيه وَلَاءُ

مَا قَضَى اللَّهُ فِي الوَرَى لكَ مَدحاً وَلَهُ الحَـــمدُ كُـــلّهُ والثّـــنَاءُ [1]

وَمِن قصَائده المَشهورَة الّتِي يَعُدّها بَعضُ الدّارِسينَ مِن الغَرائِب اللّغويّة والمَوضوعيّة فِي مَدَائحه النَّبويّة؛ مَا اصطُلِح علَى تَسمِيتهِ "نَعلُ مُحمّدٍ"، فِي الجزءِ الثّالِث مِن كِتابِه "جواهِر البِحَار"، حَيث أورَد قَصيدة فِي وَصفِ نَعلِ رَسولِ اللهِ (ﷺ)، وَقد أشرنَا إليهَا سَابقا حِينمَا تكلَّمنَا عَن النّعالِياتِ النَّبويّة كَنمَطٍ وشكلٍ مِن أشكالِ المَدائِح النَّبويّة، ويَستهِلّها قائِلًا:

عــــلَى رَأسِ هَذا الكَونِ نَـــعلُ مُحمّدٍ سَمَت فَجَمِيعُ الخَلقِ تَحتَ ظِلَالِه

لَدَى الطُّور مُوسَى نُودِي اخلَعْ وَأحمَد علَى العَرشِ لَم يُؤذَن بِخَلعِ نِعَالِه [2]

وَمِن أشهرِ قصَائده أيضًا: "رائيتهُ الصُّغرى فِي ذَمّ البدعَة وَأهلهَا وَمدحِ السّنةِ الغرّاء" الّتي انتقدَه فيها الكَثير مِن أهلِ العِلم الشّرعِي (وَمنهم شَيخ الإسلام ابن تيمية) رغمَ أنّهَا فِي مَدح خَيرِ خَلق اللهِ (ﷺ)، ورائيته الكبرَى فِي الكَمالَات الإلَهية والسّيرَة النَّبويّة وَوَصفِ المِلّة الإسلَاميّة والمِلَلِ الأخرَى؛ "وتقعُ فِي (549) بَيتا، حَسبَ الإصدَار الثّالِث للمَوسُوعَة الشّعريّة (المُجَمّع الثّقافي: أبو ظَبي)، وَقد تصَدّى للرّدِّ علَى مَا فِيهَا مِن عَثرات وَشُبهَات العَديدُ مِن أهلِ العِلم، وَمِنهم الشّيخ الإمَام "مَحمُود شُكرِي الألوسِي" (1857- 1924م) فِي كِتابِه: (غَاية الأمَانِي فِي الرّد علَى النّبهَاني)؛ وَهُو مَطبُوع فِي مُجلَّدين."[3]

---

[1]- بوابة الشعراء: **طيبة الغراء في مدح سيِّد الأنبياء ليوسف النّبهاني**، نقلا عن الموقع الإلكتروني للبوابة: https://www.poetsgate.com/ViewPoem، تاريخ النشر: 11 أفريل 2017م، تاريخ الاطلاع: 18 ماي 2017م.

[2]- يُنظَر.. عبد الرّحمن ياغي: **حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أوّل النّهضة.. حتى النّكبة**، المكتب التّجاري للطّباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1981م، ص151.

[3]- يُنظَر.. زهير ظاظا: **الرّائيّة الكبرى**، نقلا عن الموقع الإلكتروني لمكتبة الوراق: http://www.alwaraq.net، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 20 ماي 2017م.

وَمِن أهمِّ القصَائد الشّعريّة البَديعَة أيضًا الّتِي اشتُهر بِها الإمَام النّبهَاني فِي مَدح الرّسولِ (ﷺ) نَذكر مَا يلِي: النّظم البدِيع فِي مَولِد الشّفيعِ، السّابقاتُ الجِياد فِي مَدحِ سَيّد العِبادِ (وَهِي مُعشرَات مَتسلسِلَة قوافيـها علَى حُروفِ الهِجَاء، وَكلّ حَرفٍ لَه عَشَرة أبيَاتٍ)، سَعَادة المُعاد فِي مُوازنَة (بَانت سُعاد)، أمّ القرَى فِي مَدح خَيرِ الوَرَى.

وَغيرُ هذِه القصَائد كَثيرة تستدعِي مِن أهلِ الاختِصَاصِ وَطلبة العِلم الدّراسَة والتَّحليلَ والتّقيِيم مِن مُختلَف الجَوانِب، لِأنّ هنَاك مَن يَعُدّ النّبهانِي مِن أهمّ أعلَام الأمّة العَربيّة في العَصرِ الحَدِيث، فَقَد "قالَ عَنهُ البَيطَار صَاحِب حِلية البَشَر: "هَذا الإمَام، والشّهم الأدِيبُ الهمّام، قَد طَلَعَت فَضَائِل مَحاسِنه طُلُوعَ النّجُوم الزَوَاهِر، وَسعدَت مَطالع شَمائلِه بآدابه المُعجبة البَواهِر، فَهو الألمَعي المَشهود لَه بِقوة الإدرَاكِ... وَلَه ذَكَاء أَحَدُّ مِن السّيفِ إذا تَجرّد مِن قرابِه، وفِكرٌ إذَا أرادَ البَحر أن يَحكِيهِ وَقعَ فِي اضطِرَابِه، وَنثر يَزري بِالعِقد الثمِينِ والدرّ المَنثورِ، وَشِعرٌ يدلُّ علَى كَمالِ الإدرَاك وتمَامِ الشّعورِ، فَهُو فَارِس مَيدان اليرَاعِ والصفاحِ، وصَاحِب الرّماحِ الخَطيّة والأقلَام الفُصّاح، فَلعَمرِي لَقد أصبَح فِي الفَضل وَحيدًا، وَلم تَجد عَنه النّباهَة محِيصاً وَلا محِيدًا، ونَاهِيكَ بِمحاسِن قلّدَها، وَمناقِب أثبتهَا وَخلّدَها."[1] ولعلَّ كلّ هَذا المَدحِ والثّناء يَستحِقُّ مِنّا إثبَاته مِن خِلال مُؤلفاتِه وَمُصنَّفاتِـه الكَثيرة الّتِي تَركَـها.

[1]– ويكيبيديا الموسوعة الحرّة: **يوسف النّبهاني**، نقلا عن الموقع الإلكتروني للويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ آخر تعديل: 06 مارس 2020م، تاريخ الاطلاع: 11 مارس 2020م.

2-4. أحـمَـد مُـحـرَّم (ت 1945م) [1]:

ينتسِب الشّاعِر المصرِي الشّهِير "أحمَد مُحرَّم" –الّذي سَبق تعريفُه فِي الصَّفحة (55) من هذِه الدّراسَة– إلى مَدرسَة الإحيَاء والبَعث؛ الّتي تضمُّ شُعراء مُخضرَمين أمثال: مَحمُود سَامِي البَارودِي، وأحمَد شَوقي، وحَافِظ إبراهِيم... وغَيرهم، ويُعرَف مُحرَّم بالتزامِه وأخلاقِه وتربيتِه الدّينيّة، ونشأتِه فِي بِيئة مُحافِظة، وَتَتلمُذِهِ علَى يدِ طَائِفة مِن علماءِ جَامِعة الأزهَر، وَدِفاعه عَن الخِلافة الإسلَاميّة أمامَ المفكرينَ والأدباء الشّامِيين الّذين تبنوا الدّعوَة القوميّة آنذاك، حَيث كرَّسَ حياتَه لطلبِ العِلم، ودراسةِ الأدبِ، وكتابةِ الشّعر، وظلَّ وَفيّاً لعلمِهِ، وفنِّهِ إلى أن تُوفِّيَ في الثالثِ عَشَر مِن شهرِ حزيران/ يونيو مِن عامِ 1945م.

مِن أبرزِ الأعمالِ الشّعريّة الّتي جَلبت الشّهرة إلَى هَذا الشّاعِر الكبِير، والّتِي انفرَد بِها عَن غَيره مِن مُعاصِريه –إضافةً إلَى بُحوثه النّقديّة وَمُختلَف الأغراضِ الشّعريّة الّتِي نَظم فِيها، وبِخاصَّة شِعره السّياسِي الّذي غَاصَ فِيه في مُشكِلات الأمّة ودَافعَ مِن خِلاله عن قضايَاهَا ومَبادئِهَا– عَمل ضَخم ذو طَابع دِيني يَتعلّق بمَدح رَسول اللهِ (ﷺ)، يتمثّل فِي "**دِيوان مَجد الإسلَام**" أو مَا أطلِق علَيه اسم: "**الإلياذة الإسلَاميّة**"؛ وهيَ مَلحمَة شِعرية مُتميّزة قَام من خِلالها أحمَد مُحرَّم بِتصويرِ البُطولة الإسلَاميّة فِي السّيرة النَّبوِيّة مِن خِلال مَا ثبتَ عَن النّبِي مِن فُتوحَات وَمعَارك وَغزوَات وَوقائِع... حَيث نَظمها فِي ثلاثة آلاف بَيت شِعري بِتَسلسل زَمني مُرتَّب وَمُحكَم، مُوجِدا بذلِك فَنّ

[1]– **أحمد مُحرَّم:** أُضِيفَت كلمة "مُحرَّم" لاسم الشّاعر المصري "أحمدُ بنُ حسن بن عبد الله الشركسي" لأن ولادته كانت في شهرِ مُحرَّم؛ حيث حدّدَ المُؤرِّخون ولادتَه في قريةِ "إيـبا" الحمراء في منطقةِ الدلنجات الواقعةِ في محافظةِ البُحيرة، في العشرين من شهر كانون الثاني/ يناير سنة 1877م، المُوافقِ للخامسَ من شهرِ مُحرَّم من العامِ 1294هـ، للاستزادة حول تعريف الشاعر يُنظَر تهميش الصفحة (52) من الفصل التمهيدي لهذه الدراسة.

المَلحمَة الشّعريّة فِي مَدائِح الشّعر العَرَبِي الحَديث علَى غِرار وُجودِها فِي الأممِ الأوربيّة والشرقيّة آنذاك.

ويُعَد دِيوان "**مَجد الإسلَام**" (ويَقع فِي حَوالي 458 صَفحة) مُحاكَاة للمَلحمَة الأسطُوريّة المَشهورَة "الإلياذَة" لِهوميرُوس، حَيث استعرَض فِيه أحمَد مُحرَّم سِيرَة رَسول الله (ﷺ) وَحَياته اِستِعراضا كَامِلا دونَ تَحرِيف، وَدُون مُغالَاة، وَوِفق تَسلسُل زَمني مُوافق للأحدَاث كَما وَقعت، بَعيدا عَن الخَيال والشُبهات والمُغالَطات الدّينيَّة والعَقائديّة، يقول مُحرَّم في بِدايتها تَحتَ عُنوان (مَطلع النّور الأوّل مِن أُفُق الدّعوَة الإسلَاميّة):

اِمــلَأ الأرضَ (يَا مُحمَّد) نُورًا وَاغمُرِ النّاسَ حِكمَةً والدُّهُورَا
حَجَـبَتكَ الغُــيوبُ سِرّاً تَجَـلَّى يَكشِف الحُجبَ كُلّهَا والسُتُورَا
عبَّ سَيلُ الفَسَــادِ فِي كلِّ وادٍ فَتدَفَقْ عَلَـــيهِ حَــتّى يَغورَا
جِئــتَ تَرمِي عُبـــابَهُ بِعبَابٍ رَاحَ يَطوِي سُيولَـــهُ وَالبُحورا
يُنقِذُ العَـــالمَ الغَريقَ ويَحمِى أُمَمَ الأرضِ أَن تَـذُوقَ الثُبورَا
زَاخِر يَشـــمُل البَسِـــيطَة مَدّاً وَيعمُّ السّـــبعَ الطباقَ هَدِيرَا
أنتَ مَعنَى الوُجُود بَل أنتَ سِرٌّ جَهَلَ النَّاسُ قَبـلَه الإكسِـــيرَا [1]

والمتأمّلُ قلِيلا فِي هذِه الأبيَات الشّعريّة يلتمِسُ فِعلا مَدى جَمال لُغة "أحمَد مُحرَّم" الشّعريّة ورُقيِّها وَمدَى إجادَة مَدحِه وَوَصفِه لِرسُول اللهِ (ﷺ)، كَما يَحتوِي هَذا الدِيوان علَى ثَلاثة عَناوين –فُصول إن صَحّ التَّعبير– أسَاسيّة أخرَى نُوجِز أهمَّ مُحتوياتِها فيمَا يلِي:

[1] – أحمد محرّم: **ديوان مَجد الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م، ص13.

أ. مَطـلَع النّـورِ الأوَّل مِـن أفـقِ الـدّعوَة الإسـلَاميّـة:

وَيأخذ هَذا العنوَان حِصّة الأَسَد مِن الدّيوان، وَيقع فِي حَوالي (333) صَفحة انطِلاقا مِن بِداية الدّيوان إلى الصَّفحة (346)، يَحتوي علَى حَوالي (113) قَصيدة شِعريّة (مِنها مَا هِي طَويلة، ومِنها مَا هِي قَصِيرة) بِعناوين مُختلَفة حَول حَياة رَسول اللهِ (ﷺ) ومَا لَه عِلَاقة بِه؛ ومِن هذِه القصَائد مَا يَتحدَّث عَن عَدِيد الوقائِع والغَزوات، ومنها ما يصفُ ويتحدّث عن شَخصيات (ذكور وإناث) بَارزة ومَعروفَة في حياةِ الرّسولِ (ﷺ)، وغيرِها مِن المَواضيعِ المتعلّقةِ بِبَعض المَجالِس والمَواقف الّتِي حَصَلت بِوُجود الرّسول (ﷺ) أو غِيابه.

ب. عَـــام الوُفود:

وَيَقع فِي سِتٍ وأربعِينَ (46) صَفحة، ويَحتوي علَى عِشرين (20) قَصيدة تتراوحُ بينَ الطولِ والقصرِ بِعناوِين مُختلَفة حَول مُختلَف الوفودِ والرّسُلِ الّتي وفدَت إلى رَسول اللهِ (ﷺ) وَمِنها علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر: وفدُ نَصَارى نَجران، وَفد الأشِعريين، وَفد ثَقيف، وَفد بَني عَامر بن صَعصَعَة، وَفد ضمَام بن ثَعلبَة، وَفد بنِي عَبد القيسَمَن بِلاد هجَر بِالبحرَين، وَفد بَنِي حنيفَة، وَفد بَنِي زُبيد، وَفد بَني الحَارث بن كَعب...إلخ، ورُسُلٍ مثل رَسول: مُلوك حِميَر وحَامل كِتابهم، وَفَروَة بن عَمرُو الجُذَامِي...

جـ . السّـرايا:

وَتقعُ قصَائد هَذا العنوَان فِي (65) صَفحة، ويَحتوي علَى تسع عَشرة (19) قَصيدة بِعَناوين عَديدة حَول مُختلَف السَّرايا الّتي كَان لَها علَاقة بِرسولِ الله (ﷺ) أو أصحابه، وَمِنها علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر: سَرايا زيد بن حَارثة، وسَرايا خَالد بن الوليد، وسَرايا عَلي بن أبي طَالب، وسَرايا عَبد الرّحمَن بن عَوف، وسَرايا عَبد الله بن رَواحة... وغيرهم.

ومُوجَز القول فِي مَدائِح الشّاعر "أحمَد مُحرَّم" أنَّها مَدائِح خلّدَت اسمَه وَجعلَته شَاعِرا مَشهورا ومَعروفًا فِي السّاحة الأدبيّة، ومُتفرِّدا عَن بَاقي شُعراء عَصرِه بِتَطويره لِهَذا الغرضِ الشّعري إلى فنّ الملَاحم الشّعريّة، مِن خِلال سَرده لنا سيرة رَسول اللهِ (ﷺ) فِي مَلحمَة شِعريّة شَاملة تَتَغنى بِصفَاته وَمناقِبه وأخلَاقه وجِهاده وتُسهم فِي التأريخ للدّعوَة الإسلَاميّة المُباركَة ونَشرِها بِشَكل أو بآخرَ.

3. خَصَائِص شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث مِن حَيث الشّكلِ:

يتشابَه شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث مِن حَيث شَكله وَهيكَله العَام ومُقومَات بِنائه الشَّكليّة باستِناده إلَى خَصائِص قَصيدة المَدِيح النّبوِي القَديمة، وخاصَّة قصَائد العَصر العَباسِي المَشهورَة فِي مَدح رَسولِ اللهِ (ﷺ) الّتِي بِدورهَا تتقاطَع شَكلًا وهَيكلًا مَع القَصيدة الجَاهليّة؛ القائِمة علَى نِظام الشّطرَين وَوِحدة الرّوي والقوافِي والتَّصريع وَغيرِها مِن الضَّوابِط الشّكليّة المَعروفَة للقَصيدة العَمودِيّة.

وَهذِه الخَصائِص الشّكليّة لَا تتحقّق دَائما فِي قصَائد العَصرِ الحَدِيث (المتأخّرة خاصَّة) والمُعاصِر، بِسَبب ظُهور انزِياح شِعري –إن صَحَّ التعبِير– يُخالِف مَا أَلِفَه عَامّة النّاس مِن شِعر، وَمَا وَرِثه الشّعراء مِن طَريقَة نَظمٍ فِي العُصور القَديمة، وَهو مَا يُعرَف بالشّعر الحُرّ[1] الّذي ظَهر بَعد نِهاية الحَرب العَالميّة الثّانية فِي أربعينيَات القرنِ العِشرين مِيلَادي مَع الشّاعرة "**نازك الملائِكة**" مِن خِلال قَصيدة "**الكوليرا**" الّتي نُشرَت سَنة 1947م، والشّاعِر "**بَدر شَاكر السَيّاب**" مِن خِلال قَصِيدته "**هل كَان حباً؟**" الّتي نُشرت فِي السّنة نفسها أيضا، حَيث تحرّر الكَثير مِن الشّعراءِ بَعدهما مِن النّظامِ الصَّارم للقَصيدة العَمودِية، وفِيما يلي سَنلخّص أهمّ الضّوابِط الشّكليّة الّتِي تميّزَت بِها قَصِيدة المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث:

[1]– **الشّعر الحرّ**: وكان له أسماء أخرى في بدايات ظهوره مثل: شعر التفعيلة، والشعر الجديد، الشعر المرسل، النظم المرسل المنطلق، وأما تسمية الشعر الحرّ فأطلقت عليه بعد خمسينيات القرن الماضي.

3-1. اعتمَـاد أوزَان البُـحور الـطَـويلة:

الحَديثُ عَن أهَمِّ أوزَان قَصيدة المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث وَأكثَرِهَا استِعمَالا وعلَاقتِها بِمَوضوع المَدائِح النَّبويّة هو فِي الحَقيقَة أيضا حَدِيث –غير مُباشِر– عن أهمِّ أوزَان قَصيدة المَدِيح النَّبويّة القَديمة وأكثرِها تدَاولا، ذلك أنّ أغلب قصَائد المَدِيح النّبوِي (المَشهورَة خاصَّة) فِي العَصرِ الحَدِيث قصَائد مُعارَضة للقصَائد القَديمَة باعتِراف أصحَابها، وتكُون حِينها أوزَان البُحور الطَويلة مثل: **بَحر الطّويل، وبَحر البَسيط، وبَحر الخَفِيف، وبَحر الكامِل، وبَحر الوافِر...** هِي الأكثَر اعتمَادا فِي قَصيدة المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث، وهو مَا لاحَظناه فِعلا فِي مُختلَف القصَائد المَشهورَة والدّرَاسَات الّتي اطّلَعنا علَيها.

وسبَب اعتمَاد البُحور الطَويلة هو احتِوائها علَى عدَد أكبَر مِن التّفعيلَات وأنواعِها مُقارنة بِبَقية بُحور الشّعر القَصيرة، وهو مَا يُتيحُ للشّاعِر استِعمَالاتٍ لُغوِيّة أكثَر من غَيرها، أضِفْ إلَى أنّها –كَما سَبق وأن أشَرنا فِي الصَفحة (94) مِن الفَصل الثّاني– كانَت البُحور الطَويلة قديمًا تُستعمل للأغراضِ الجَليلة والهامّة، وهو مَا يتناسَب مع مَوضوع المَدِيح النّبوِي كَونُه من الأغراضِ الجَليلة والمواضِيع الهامّة كَمَدح الملوك والأمراء والتّصَوّف الرّوحَاني وَغَيرها، بَل هُو أكثَر أهميّة مِنها لِأنّ الأمرَ يتعلَّق بِسَيّد وَلَد آدم وَخَير خَلق الله كُلِّهم.

ومِن أمثِلة قصَائد المَدِيح النّبوِي الّتي نُظمَت فِي العَصرِ الحَدِيث –علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر– علَى أوزَان البُحور الطَويلة: القَصيدة المطوّلةُ "**كَشف الغُمّة فِي مَدح سَيّد الأمَّة**" للشَّاعر الكَبير مَحمُود سَامِي البَارودِي المَنظومَة علَى بَحر البَسيط، وَهِيَ قَصيدة مُعَارَضَة لبُردَةِ البُوصَيرِي عَدَدُ أبياتها (447) بَيتا شِعريا؛ تَتبّع فِيها البَارودِي حياة النّبيّ (ﷺ) متابعة تاريخيّة دِينيّة دَقيقة مِن ولَادته إلى غَاية وفَاته، ولنقم بتَقطيع البَيت الأوّل مِنها تَقطيعا عَروضِيا لنتحقَّق مِن بَحرها، يقول فِي مَطلعهَا:

يَا رَائِـدَ البَـــرْق يَمِّـمْ دَارَةَ العَلَـــمِ وَاحْـــدُ الغَمَـــامَ إِلَى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ[1]

يَاْ رَائِدَ لْـ	**بَرْقِ يَمْ**	**مِمْ دَارَةَ لْـ**	**عَلَمِيْ**	**وَحْدُ لْغَمَاْ**	**مَ إِلَىْ**	**حَيْيِنْ بِذِيْ**	**سَلَمِنْ**
0//0/0/	0//0/	/0//0/	0///	0/ /0/0/	0///	0//0/0/	0///
مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

ونلاحِظ جَليا أنّ تفعِيلَات هَذا البَيت تتطابَق مَع تفعيلَات بَحر البَسيط، وتفعيلَاته الأصليّة كمَا هو مَعرُوف هي:

(مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ)

ونلاحِظ أنّ الضَرب والعَروض قد جَاءَا علَى وَزن (فعلن ///0) وهي عِلّة كَثيرة الاعتمَاد فِي هَذا البَحر، كمَا ظهرَ زحاف الخَبن (حذف الثّاني السّاكن) فِي حشو الشّطر الثّاني من البَيت (تحوّل التفعيلَة " فَاعِلُنْ /**0**//**0**" إلى "فَعِلُنْ ///0") وهو زِحاف حَسَن كَثير الوُرود أيضًا فِي هَذا البَحر يُتيح للشَّاعرِ أَن يُعدِّدَ ويُنوِّعَ مِن استِعمَالاتِه اللّغوِيّةِ وألفَاظِه الشّعريّة، وَهُو مَا يتناسَب مَعَ طَبِيعَة مَوضوع المَدائِح النَّبويّة الّذي يَهتَم بِسيرَة رَسُولِ اللهِ (ﷺ) كَامِلَةً، أي يفرِض علَى الشّاعِر استِعمَال الكَثير من المفردَات والألفاظِ المتنوّعَة.

ومِن القصَائد الّتِي نُظمَت أيضًا علَى البُحور الطَويلة فِي العَصرِ الحَدِيث –علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر– قَصيدة "ذِكرَى المَولد" لأحمَد شَوقي (71 بَيتا شِعريا) الّتي تميّزَت بِبَراعة الاستِهلال وحُسنِ التخلّص، واتسَمَت بِتَعدّد الأغرَاض والمَوضُوعات علَى طَرِيقَة الشّعر العَربي القدِيم، مَدح فِيها شَوقي الرّسول (ﷺ)، واستهلَّها بِمُقدّمة وجدَانيّة كَشفَ فِيها عَن مُعاناته مَع الجَمال الّذي افقدَه صَوابه، الأمر الّذي جَعل قلبَه يتحمَّل ألمًا لَم تستطِع تَحمُّله قلوبٌ أخرَى. وَلنقطّع البَيت الأوَّل مِنها لِمعرِفة بَحرها:

[1]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، ص03.

سَلُــوا قَــلْبِــي غَـدَاةَ سَـلا وتَــابَتا لَــعَلَّ علَى الجَـمَـالِ لَــهُ عِـتَابًـا[1]

سَلُوْ قَلْ بِيْ	غَـدَاْ تَ سَـلَاْ	وَتَــاْبَـاْ	لَـعَلْلَ عَلَ لْ	جَمَـاْ لِ لَهُو	عِــتَاْبَـا
0/ 0/ 0//	0// / 0//	0/ 0//	0 // /0//	0// / 0//	0/0//
مفَاعِيلُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	فَعولُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	فَعولُنْ

وتُحيلُـنا هذِه التّفعيلَات الّتي تحصَلنا علَيها إلى الحَدِيث عن بَحر **الوافِـر**؛ وتفعيلَاته الأصلِيّة هي:

(مُفَاعَلَتُن مُفَاعَلَتُن مُفَاعَلَتُن مُفَاعَلَتُن مُفَاعَلَتُن مُفَاعَلَتُن)

وهَذا البَحر "ألينُ البُحور يشتدّ إذا شدَدتَه، ويَرِقّ إذا رَقـقته، وأكثرُ ما يَجود بِه النّظم فِي الفَخر كَمُعَلّقةِ عَمرو بن كَلثوم، وفِيه تَجود المَراثي، ومِنها كَثير فِي شِعر المتقـدّمين والمتأخّرين"[2] ومنها هذِه القَصيدة الّتي أشرنا إليها.

ونلاحِظ جليا بعد تقطيع هَذا البَيت أنّ التّفعيلة الأولى من الشَّطر الأوّل قد تحوّلت إلى (مَفَاعِيْلُن //0/0/0) وذلك بِسَبب تسكين الحَرف الخامِس المتحرّك من التّفعيلة الأصلِيّة (مُفَاعَلَتُنْ //0///0)، ويُعرف هَذا الزِّحاف باسمِ "العَصْب" وهو الزِّحاف "الأكثَر وُرودا فِي هذِه القَصيدة، إذ بلَغ عدَد التفعيلَات المزاحِفة مَائة وتِسع تفعيلات"[3] وهَذا ما يَسمح حَتما للشَّاعر مِن تنوِيع استِعمَالاته اللّغويّة وإثراء لُغته الشّعريّة فِي القَصيدة، ونُلاحِظ أيضا تحوّل تفعيلتي الضّرب والعَروض من (مُفَاعَلَتُنْ //0///0) إلى (فَعُولُنْ //0/0) وهي علّة بالنّقص (عَصب + حَذف)؛ "تكرّرت (142) مرّة"[4] وتُسمَى بعلّة القَطف وهي عِلّة طبيعيَّة كَثيرة الوُرود فِي هَذا البَحر أيضًا.

---

[1]– يُنظَر.. أحمد شوقي: **الشّوقيات**، مج1، ص68.

[2]– تأليف جماعة من الأساتذة: **الأسلوب الصّحيح في البلاغة والعروض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1975م، ص115.

[3]– حمزة قلمين: **البناء العروضي في ديوان الشّوقيات**، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، الجزائر، 2016م، ص25.

[4]– نفسه، الصفحة نفسها.

ولنُقطع البَيت الأوّل مِن المَلحمة الشّعريّة الخَالدة لأحمَد مُحرَّم الّتي أشَرنا إليها سابِقا لنتحقَّق من بَحرها، يقول مُحرَّم فِي بِدايتها تَحت عُنوان (مطلَع النّور الأوّل من أفق الدّعوة الإسلَاميّة):

امـــــلَأ الأرضَ (يَا مُحـمَّـد) نُـوراَ واغـمُرِ النَّـــاسَ حِكـمَةً والدُّهُـورَا[1]

اِمْـــلَأِ لْأَرْ	**ضَ يَاْ مُحَمْـــمَدُ نُـوْرَنْ**	**وَغْمُرِ نْنَـاْ**	**سَ حِكْمَتَـنْ**	**وَدْدُهُـوْرَاْ**
0/0 // 0/	/ 0/ // 0	0 /0/ /0/	/ 0/ / 0/	/ 0//0/0
فَاعِـــلَاتُنْ	**مَـفَاعِـلُنْ**	**فَاعِلَاتُنْ**	**مَـــفَاعِـلُنْ**	**فَاعِلَاتُنْ**

نُلاحِظ أنّ هذِه التفعيلَات الّتي تَحصلنا علَيها تُحيلنا إلى الحَديث عَن بَحرٍ مِن البُحور الطَّويلة وهو بَحر الخفِيف؛ وتفعيلَاته الأصليّة هي:

فَاعِـلاُتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِـلاُتُنْ فَاعِـلاُتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِـلاُتُنْ

وهَذا البَحر يُعرَف عنه أنّه "بدأ مُتواضعا فِي الشّعر الجاهِلي لا تزيد نِسبته عن الرّمل والمتقارب وأمثالهمَا، ثمَّ نَهض نَهضة كَبيرة فِي الشّعر العَباسي ولم يَكَد يَنتصِف القرن الرَّابع هِجري حتَّى شُهِدَ له يَحتل المَرتبة الثّانية مِن أوزَان الشّعر العَربي"[2] أي أنَّه من البُحور الأكثَر تداولا قدِيما، وهَذا –طبعا– يُثبت صِحة ما ذهبنا إليه فِي الفَصل الثّاني من الدّراسة؛ كَونه مِن البُحور الأكثَر استِعمَالا قديما.

ونلاحِظ جليا بعد تَقطيع هَذا البَيت أنّ التّفعيلة الثّانِية من كلّ شَطر قد تَحوّلَت إلَى (مَفَاعِلُن //0//0) وذلك بِسَبب حذف الحَرف الثّاني السَّاكن من التّفعيلَة الأصلِيّة (مُسْتَفعِلُنْ /0//0/0)، وهَذا زِحَاف يُعرَف باسم "الخَبن" وهو زِحاف كَثير الورود فِي هَذا البَحر، كما أصَاب تفعيلة العَروض حذف فتحوّلت من (فَاعِلَاتُنْ /0//0/0) إلى (فِعلاتُنْ ///0/0) وَهِيَ عِلّةٌ بالنّقصِ، حَسَنةٌ وَقريبَةٌ مِن وَزنِ التفعِيلَةِ الأصلِيّةِ.

---

[1]– أحمد محرّم: **ديوان مجد الإسلام**، ص13.

[2]– تأليف جماعة من الأساتذة: **الأسلوب الصّحيح في البلاغة والعروض**، ص107.

وغيرُ هذِه القصَائد الّتي نُظمَت علَى أوزَان البُحور الطَويلة كَثيرة لَا يَسعنا أن نتطرّق إليها جَميعا، ولَعلّ ما يلفِت الانتِباه فِيها –وبعد تقطِيعنا لِبَعض الأبيَات الأخرَى[1] مِنها، وعلَى قَدر مَا اطَّلعنا عليه مِن دِراسَات أشَارت إلى هذِه القضيِّة– هو كَثرة الزِّحافات والعِلَل فِيها، فَوُرود الزِّحاف فِي البَيت الأوّل منها قد يَكون مؤَشرا واضِحا وأكيدا علَى كثرتِها فِي بَاقي الأبيات، وهوَ الأمر الّذي يفسَح المَجال للشّاعِر من تنويع استِعمَالاته اللّغوية وإثراء المُعجم اللّغوي لقصيدتِه.

وتَجدُر الإشارة هنا إلى أنَّ كَثرة الزِّحافات والعِلل ليست دائِما عَيبا قاتِلا فِي القَصيدة الشّعريّة مِثلما يظنّ بَعض طَلبة العِلم انطِلاقا مِن فِكرة أنّ "بَعض النّقاد استَحسنوا الزِّحاف إذا لَم يكثر جدا فِي الشّعر، ومَقولة أن الخليل كان يَستحسِن الزِّحاف فِي البَيت فإذا توالى وكَثُر فِي القَصيدة سمج"[2]، فالزِّحافات والعِلل فِي القَصيدة الواحِدة إذا ما كانَت حَسنة وتفوَّقت عَددا علَى نظيرتِها من القبيحَة وقلِيلة الورود فِي الشّعر العَربي كانَت مَقبولة غيرَ مُستهجَنة، أضفْ إلى هَذا فالزِّحاف لَه دَور هَام فِي التَّقليل من الرَتابة الإيقاعيَّة المترتبة عَن تماثلِ التفعيلَات فِي البَيت الشّعري والقَصيدَة كَكُل، لأنَّه "ليس إلَّا عَملية تَغيير بَسيطٍ يلوّن الاطِّراد الصَّوتي للوَزن، فِيقضِي علَى ما يُمكن أن يَقع فِيه من رَتابة، ويَحفظ للاطِّراد خَاصِيته المُنتظمَة، وبِذلك يُمكن أن يكونَ للزّحاف وظِيفة جَمالية خاصَّة عِندما يقلِّل مِن الأحرف السَّاكنة فِي الأوزَان الجَعدة فِينحُو بِها إلى البَساطة واللّدونَة"[3]، وكلّ هَذا يوحي لنا فِعلا أنَّ الزِّحافات والعِلل ذَات أهميّة فِي الشّعر العَربي لا يُنكرها إلا جاحِد.

---

[1]– لم نقم بتقطيع كل أبيات القصائد بالنظر إلى طولها، ولكن قمنا بتقطيع بعض الأبيات منها للتحقق فقط.

[2]– يُنظَر.. يوسف بكار: **بناء القصيدة**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ص171.

[3]– يُنظَر.. جابر عصفور: **مفهوم الشّعر**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ص256.

3-2. وحـدة القـافِية والـرّوي والتّـصريع:

القافِية فِي اصطِلاح العَروضِيين عامّة –قدِيما وحدِيثا– عِلمٌ يهتمّ بِمعرفة أحوَال الكلِمات الأخيرة الأبياتِ الشّعريّة وما يتعلّق بِها مِن حَركَةٍ وَسُكُونٍ، وَإضافة أو نقصَان، وَفصِيحٍ أو قَبيح، وهي اسم يُطلَق علَى عدَد من حُروف آخِر البَيت، ولا تكُون بالضَرورة آخر كَلمة مِنه، وهي مَبحث ضَروري "تكمُن فائِدته فِي ضَبط الإيقاع لِمَعرفة النّسق الّذي رُسم للشّعر، والانفِعال الّذي يتلَاءم بَين القَافِية ومَوضوع القَصيدَة"[1] ورَوِيها، ذلك الحَرف الّذي يَختاره الشّعراء بِعناية ويلتزمُون بِتكراره فِي كامِل أواخِر أبيَات القَصيدة، "ويُسميه بَعضهم القافِية"[2] اصطِلاحا.

وقد تميّزت قَصيدة المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث –وخاصَّة ذَات النّمط الكلَاسيكي التّراثي– بِتصريع بَيتها الأوّل، وقَوافِيها المُطْلَقة وتنوّع حُروف رَويّها مِن قَصيدة إلى أخرَى ، وذلِك لأنَّ مُعظمهَا –وأكثرها شُـهرة خاصَّة– عِبارة عَن قصَائد مُعارضَات كَما سَبق وأن أشَرنا لقصَائد المَدِيح النّبوِي التّراثيّة القَديمَة وبِخاصَّة بُردَة البُوصَيري، و"بانت سُعاد" لكَعب بن زُهير، ودالية الأعشَى وغَيرها من القصَائد، ولذلك كان علَى شُعراء العَصرِ الحَدِيث اختِيار قَوافِيهم بِعناية لِمُجاراة تلك القصَائد التراثيّة، وعلَى هَذا كَان "من أهمّ القوافِي الّتي استُعمِلت كَثيرا فِي الشّعر النّبوِي: **الميم والسّين واللّام والتّاء والهمزة والجيم**، وهي قَوافٍ صالِحة وطيّعة لِرَصد التّجرِبة الشّعريّة المَولديّة أو النَّبويّة أو الصّوفِيّة الرّوحانيّة ماعدا قافِية الجِيم الّتي تُثير جَرسا خَشِنا ونَشازا شاعِريا"[3].

---

[1]– يُنظَر.. أبو سعود سلامة أبو سعود: **الإيقاع في الشّعر العربي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002م، ص97.

[2]– تأليف جماعة من الأساتذة: **الأسلوب الصّحيح في البلاغة والعروض**، ص124.

[3]– جميل حمداوي : **شعر المديح النّبوي في الأدب العربي**، تاريخ الاطلاع: 22 ماي 2018م.

ومن أمثِلة القوافِي الأكثَر تداولا فِي قصَائد المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث –علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر– القافِية المنتهية بِحَرف المِيم فِي قصيد البَارودِي المطوّلة "**كَشف الغمّة فِي مَدح سَيّد الأمّة**" (الّتي قطَّعنا بَيتها الأوّل سَابقا)، الّتي تتبّع فِيها حَياة النّبيّ (ﷺ) مُتابَعة تارِيخيّة دَقيقة، يقول فِي مَطلعهَا:

يَا رَائِدَ البَـــــرْق يَمِّمْ دَارَةَ العَلَـــم وَاحْدُ الغَمَام إلَـى حَيٍّ بِذِي سَلَم

وَإن مَرَرتَ علَى الرَّوحاءِ فَامرِ لَها أَخْلَافَ سَارِيَةٍ هَتّـــــانَةِ الدِّيَمِ[1]

ونلاحِظ أنّ البَيت الأوّل قد جَاء مُصرّعا مُنتهيا بِرَوي الميم (قافِية مِيمِية)، وهو رَوِي شَائع الاستِعمَال والتّداول فِي القَوافِي قَديما وحَديثا، و"هو صَوت جَهريٌّ مُتوسّطٌ ما بَين الشّدة والرّخاوة"[2]، من أهمِّ صِفاته أيضًا الذلاقة (سهولة النُّطق وخِفتها)، و"الغنّة مثل حَرف النُّون"[3] الّتي تُحدِث نَغما مُوسِيقيا يَستهويه العَرب مُنذ القِدم، أضفْ إلى هَذا أن صِفة الجَهر تزيد نُطقَه تَفخِيما وتشدُّ انتبَاه السَّامع، وهَذا ما يَتناسَب مَع طَبيعَة مَوضوع القَصيدة ومَقام صَاحِبها وقائِلها.

ولنلاحِظ أيضًا الهَمزيّة المَشهورَة للإمام يوسف النَّبهَاني "**طيبَة الغرّاء فِي مَدح سَيّد الأنبيَاء**"؛ الّتي يَقول فِي مَطلعهَا:

نُورُكَ الـكُلّ والـــوَرَى أجـــزَاءُ يَا نَبِيًّا مِنْ جُنـدِهِ الأنــبيَاءُ

علة الــكَون كُــنت أنـتَ وَلَولَا كَ لَدَامَت فِي غَيبِها الاشيَاءُ[4]

فنُلاحِظ أيضا أنَّ البَيت الأوَّل قد جَاء مُصرّعا، مَع قافِية مُقيَّدة مُنتهِية بِروي الهَمزة، وهي حَرف كثير التّداول والاستِعمَال فِي قوافِي الشّعر العَربي قدِيما وحدِيثا.

---

[1]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة**، ص03.

[2]– عبد الرحمن الجمل: **المغنى في علم التّجويد**، دار آفاق، غزة، فلسطين، ط2، 1999م، ص134.

[3]– نفسه: الصفحة نفسها.

[4]– يُنظَر.. كامل السوافيرى: **الاتجاهات الفنيّة فى الشّعر الفلسطيني المعاصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1973م، ص26.

3-3. ظـاهِــرة التَّــوازي وتَـولُّد التّكـرار عنها:

يرتبِط التَّوازي بِحسَب بَعض أهلِ الاختِصاص "بِتلك الطَرِيقَة الّتي كانَت تُنشَـد بها نُصوصٌ مِن العَهد القدِيم عِند اليهود، وذلِك لأنّ تِلك النُّصوص كَانَت قائِمة فِي بِنائها الجُملي علَى طَرِيقَة الازدِواج أو التقابل بحَيث تتساوَى وتتوازى العناصِر المؤلفَة للجُملَة الشّعريّة فِي سطر واحِد، وقد يتعدَى ذلك إلى سَطرين مُتتالِيين يَترابطَان مَعنويا فِينشأ عن هَذا كلّه تشابه فِي المَباني وتعادل فِي المَعاني وإيقاع مُنتظَم يَضبط الإنشَاد[1] ويسهِّل الحِفظ والاستِظهَار أثناء تأدِية الطُّقوس المُعتادَة.

ويُعتبَر التَّوازي ظاهِرة شائِعة فِي الشّعر العربي قدِيما وحديثا "رغمَ اختِلاف مَعاجم اللّغة ومَعاجم المُصطلَحات والمَعاجم التَّاريخيّة للأدَب فِي تَعريفِها للتَّوازي وشِبه اتفاقها علَى أنّه التَّشابه الّذي هو عِبارة عن تِكرار بِنيوي فِي بَيت شِعري أو فِي مَجموعَة أبيات شِعريّة"[2]، أي أنّه تقنية من التقنيَات الشّعريّة الهامّة الّتي تعتمِدها القَصِيدة القَديمَة والحدِيثة لِتَحقيق تَوازنِها وتَكاملِها الفنّي، لأنّه "يُعدُّ مِن أعمَق أسُسِ الفاعليّة الفكريّة فِي الشّعر؛ لأنّه شَكل مِن التنظيم النّحوِي يتمثّل فِي تقسيمِ البنيةِ اللّغويّة للجُمل الشّعريّة إلى عَناصر مُتشابِهة فِي الطُّول والنّغمَة"[3] تُسهِم فِي تسهيلِ إقامَة الوزنِ الشّعرِي والحِفاظ علَى انتِظام إيقاعِه.

وقد تميّزت المَدائِح النَّبويّة فِي العَصرِ الحَدِيث هي الأخرَى بِكثرة وُرود هذِه الظَاهرة الّتي يتولّد عَنها التكرار بمُختلَف أنواعِه فِي كَثير مِن الأحيَان، حَيث يَنتج – كما أشرنا سابقا– جُملا مُتطابِقة ومُتعادِلة فِي مَبناها بِغضِّ النّظر عن مَعانِيها، ومِن

---

[1]– يُنظَر.. عبد الواحد حسن الشيخ: **البديع والتّوازي**، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، مصر، 1999م، ط1، ص10.

[2]– يُنظَر.. محمد مفتاح: **التّشابه والاختلاف نحو منهاجيّة شموليّة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص97.

[3]– خلود ترمانيني: **الإيقاع اللّغوي في الشّعر العربي الحديث**، أطروحة دكتوراه، جامعة حلب، سوريا، 2004م، ص97.

أمثِلة هذِه الظاهِرة فِي المَدائِح النَّبويّة فِي العَصرِ الحَدِيث –علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر– ما قالَه البَارودِي فِي جِيميته المَشهورَة "يا صَارم اللّفظ...":

فَهَلْ إِلَــى صِــلَةِ الآمَــالِ مِنْ سَــبَبٍ؟ أَمْ هَلْ إِلَى ضِيقَةِ الأحزَانِ مِنْ فَرَجٍ؟

يَا رَبِي بِالمُصطَفَى هَبْ لِي وَإِنْ عَظُمَتْ جَرَائِــمِي رَحــمَةً تُغنِي عَنِ الحُجَجِ[1]

ونلاحِظ فِي هذين البَيتين مثلا تحقق ظاهِرة التّوازي (الأفقي) بِشَكل واضح لِوُجود تطابق فِي البنية التركيبيّة النّحويّة بَين شَطري البَيت الأوّل رغم اختِلاف مَعنى كلّ شطرٍ مِنه؛ والجدول الآتي يلخِّص لنا أوجُه التَّماثل بَينهُما:

البنية التركيبيّة للشّطر الأوّل	البنية التركيبيّة للشّطر الثّاني	طبيعة الكلمات نحويا
الفاء (ف)	أم	حرف
هل	هل	أداة استفهام
إلى	إلى	حرف جرّ
صلة	ضيقة	اسم مجرور وهومضاف
الآمال	الأحزان	مضاف إليه
من	من	حرف جرّ
سببٍ	فرجٍ	اسم مجرور

ونلاحِظ من خِلال هَذا الجَدول البَسيط التماثل النّحوي التَّام بَين شَطري البَيت، إضَافة إلى تِكرار حَرفَي الجرّ: **(إلى، مِن)** وأداة الاستفهام (هل)، وهَذا مَا يُثبت فِعلا أنّ ظَاهرة التَّوازي يتولّد عنها تِكرار بَعض الحُروف والكلِمات.

ولنتأمَّل البَيتين المُوَاليين من الهَمزيته النَّبويّة المَشهورَة "ولد الهدَى فالكائنات ضياء" لأمير الشّعراء أحمَد شَوقي، الّتي يُؤرخ فِيها للإسلام وظُهوره وانتِشاره وفضَائله

[1]– محمود سامي البارودي: **ديوان البارودي**، ص101.

فِي صورة جَاذبة، ويَمدَح نَبيه (ﷺ) ويَشرح مَكانَته في المجتمَع شَرحا واضِحًا، يقول شَوقي:

والدِّينُ يُســـرٌ، والخِلَافَةُ بِيعَةٌ والأمرُ شُورَى، والحُقُوقُ قَضَاءٌ

الاشـــتِرَاكِيُونَ أنــتَ إمَامُهُم لَولَا دَعَـــاوَى القَـــومِ والغُلَوَاء [1]

ونُلاحِظ جليا تَحقق ظاهِرة التّوازي (الأفقي) بِسَبب تماثل البنية التركيبيّة النَّحويَّة بينَ شَطرَي البَيت الأول رَغم اختِلاف المَعنى بَينهما تمَامًا، ونلخِّص هَذا التَّماثل فِي الجَدول التالي:

البنية التركيبيّة للشّطر الأوّل	البنية التركيبيّة للشّطر الثّاني	طبيعة الكلمات نَحويا
الواو (و)	**الواو (و)**	حرف عطف
الدّينُ	الأمرُ	مبتدأ
يسرٌ	شورَى	خبر
الواو (و)	**الواو (و)**	حرف عطف
الخلافةُ	القضاءُ	مبتدأ
بيعةٌ	حقوقٌ	خبر

نُلاحِظ مِن خِلال هَذا الجدول أن التَّوازي فِي هَذا البَيت لم يتولّد عَنه تِكرار الكلِمات عَدا حَرف العَطف (الواو)؛ وهَذا يثبت أنّ هذِه الظاهِرة لَا يتولّد عَنها التِكرار دائِما، لكِن الأكيد أنّ هَذا التّماثل البنوي النّحوِي لهذِه الجُمل المتوازِية يَنتج عَنه بالضَّرورة تَماثل عَروضِي إيقاعِي يُسهِّل علَى الشّاعر إقامَة وَزنِه دُون عَناء، ويُوفِّر علَيه وقتَه وجُهده.

ومن أمثِلة هذِه الظاهِرة فِي هَمزيّة شَوقي أيضا التَّوازي العَمودِي الّذي يَتحقَّق فِي بِدايات الأبيَات الشّعريّة المُوالِية:

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، مج1، ص38.

وَإذا عَفَوتَ فَقَـــادِرًا وَمُـــقَدَّرًا لا يَستَـــهينُ بِعَـفـــوِكَ الجُهَلاءُ

وَإذا رَحِمتَ فَأَنـــــتَ أُمٌّ أَو أَبٌ هَذانِ فِي الدُنـيا هُما الرُحَـــماءُ

وَإذا غَضِبتَ فَإنَّما هِيَ غَـضبَةٌ فِي الحَقِّ لا ضِغنٌ وَلا بَغـــضاءُ

وَإذا رَضيتَ فَذاكَ فِي مَـــرضاتِهِ وَرِضـا الكَثـــير تَـــحَلُّمٌ وَرِياءُ

وَإذا خَطَبتَ فَلِلمَـــــنابِرِ هِـــزَّةٌ تَعرُو النَـــــدِيَّ وَلِلقُـــلوبِ بُكاءُ

وَإذا قَضَيتَ فَلا ارتِيابَ كَـــأَنَّما جاءَ الخُصومَ مِنَ السَماءِ قَضاءُ

وَإذا حَمَـيتَ الماءَ لَم يُـورَد وَلَو أَنَّ القَياصِرَ وَالمُـــلـوكَ ظِـــماءُ

وَإذا أَجَرتَ فَأَنـتَ بَـــيتُ اللهِ لَم يَدخُل عَلَيـهِ المُستَـــجيرَ عَداءُ

وَإذا مَلَـكتَ النَّفـسَ قُمتَ بِبِرِّها وَلَو اَنَّ ما مَلَـكَت يَداكَ الشـاءُ

وَإذا بَنَـيتَ فَخَـيرُ زَوجٍ عِشـرَةً وَإذا ابتَنَـيتَ فَـــدونَكَ الآبـــاءُ

وَإذا صَحِبتَ رَأى الوَفاءَ مُجَسَّمًا فِي بُردِكَ الأَصـــحابُ وَالخُلَطاءُ

وَإذا أَخَـــذتَ العَـهدَ أَو أَعطَيتَهُ فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّـــةٌ وَوَفـــاءُ

وَإذا مَشَيـتَ إلى الـعِدا فَغَضَنفَرٌ وَإذا جَـــرَيتَ فَإنَّكَ النَكـــباءُ [1]

ونلاحِظ من خِلال بِدايات هذِه الأبيات (ما تَحته سطر) تِكرار ما يلي: (الواو ثم الأداة "إذا"، ثم فعل ماض متَّصِل بتاء متحرّكة تَعود علَى الرّسول (ﷺ)، ثم حَرف الفَاء فِي كثير مِن الأبيات) وهذِه البنية المُتماثلة نَحويا وعَموديا تُسهم حتمًا فِي ضَبط الوَزن والإيقاع بِسُهولة، إضَافة إلى الجَانب الجَمالي لَها بَلاغيا وتأثيرهاعلَى المتلقي وجَذبه إليها، وأمثِلة هذِه الظاهِرة فِي قَصَائد المَدِيح النّبوِي الحَديث كَثيرة لا يَسعنا أن نتطرّق إليها جَميعا فِي مَقامنا هَذا.

[1]- أحمد شوقي: **الشّوقيات**، ص38.

3-4. طُـول القصَـائد وكَثـرَة الأبيَات المَخصوصة بمَدح الـرّسول (ﷺ):

تميّزت قصَائد المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث من حَيث شَكلها العَام بِكَثرة عدَد الأبيات الشّعريّة المُباشِرة والمَخصوصة بمَدح رَسول الله (ﷺ) وبِطول القصَائد عامّة، والمَشهورَة مِنها خاصَّة، ولعلَّ السَّبب فِي ذلك واضِح وهو كَونها قصَائد مُعارضَات للقصَائد المَدحيّة النَّبويّة التراثيّة الّتي تَتعدَّد فِيها الأغرَاض والمَوضوعَات الأمر الّذِي "يَستدعِي -حَسب ابن خَلدون (ت 808هـ)- طولِها وامتِداد أبياتِها عدَدًا فتتسِع بِذلك مِساحة القَصيد لِتَشمل مَوضوعَات عِدَّة"[1]، أضفْ إلى هَذا أنّ قَصيدة المَدِيح النّبوِي أضحَت غَرضا شِعريا قائِما بِذاته يتطلَّب نَظم قصَائد نَاضِجة مُكتملة، فمن غير المعقول أن يكونَ حَظ مَدح رَسول الله (ﷺ) فِيها مُنحصِرا فِي مَجموعة أبيَات مَعدودَة -تُعدّ علَى أصَابِع اليد أحيَانا- مِثلما نَجد فِي أولَى قَصَائد عَصر صَدر الإسلَام، أضفْ إلَى كلّ هَذا، أثّرت كَثيرا النّزعة الصّوفِية (وكذلك التّشيع) علَى حَجم القصَائد، ذلِك أنَّ الشّعرَاء المُتصوّفِين يَغرقون فِي مَدح النّبي (ﷺ) والتوسُّل بِه وطلَب شَفاعَته ومَدح آل بَيتِه وبَيان مدَى حُبِّهم لِلذّات الإلَهية وغَيرِها مِن مَظاهِر التَّصوّف (أو التشيّع).

ومن أمثِلة القصَائد المَدحيّة المُطوّلَة الّتي يَكثُر فِيها عَدد الأبيَات المَخصوصَة بمَدح رَسول الله (ﷺ) قَصيدة البَارودِي المُطوّلة "كَشف الغُمّة فِي مَدح سَيّد الأمّة" -علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر- وتَقع فِي دِيوان مِن (48) صَفحة وعَدد أبيَاتها (447) بَيتا شِعريا تتبّع فِيها البَارودِي حَياة النّبيّ (ﷺ) مُتابعة تارِيخيّة مُفصَّلة مَادِحا إياه بَين الحِين والآخَر، نَاثِرًا الكَثير مِن تَاصيل حَياة النّبيِّ منذ وِلادته، مُرورًا بِرضاعَته ونشأتِه، وبِعثتِه، وجِهادِه إلى آخر حَياته ومُعجزاته (ﷺ)، وكلّ هَذا يتطلّب حَتمًا

[1]-عبد الرزّاق العجيلي: **البنى الأسلوبيّة، دراسة في الشّعر العربي الحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص13.

عدَد أبيَات أكثَر مَخصوصَة بمَدح رَسولِ الله (ﷺ) مِن جِهة، وللإلمَام بِكلِّ جَوانِب مَوضوع المَدح وسِيرتِه (ﷺ) عَامّة.

ولنتأمّل عَدَد أبيَات بَعض القصَائد المُطوَّلة المَشهورَة الّتي أشَرنا إليهَا فِي هَذا الفَصل من الدّراسَة فِي الجَدول الآتي:

عنوان القَصيدة	صاحبها	عدد أبياتها
المَولدية البائيّة	أحمَد شَوقي	71
الهَمزية النَّبويّة	أحمَد شَوقي	131
نَــهْج البُــردة	أحمَد شَوقي	190
الرّائية الصّغرى	يوسف النّبهَاني	552±
الرائية الكبــرى	يوسف النّبهَاني	549
طيبة الغرّاء فِي مدح سيّد الأنبياء	يوسف النّبهَاني	999
الإلياذة الإسلامية	أحمَد مُحرَّم	3000

نلاحظ فِي هَذا الجَدول أن مُعظَم هذِه القصَائد مُطوَّلة جِدّا، وخاصَّة العمل الضخم المُتمثل فِي "الإلياذة الإسلَاميّة" لأحمَد مُحرَّم (ثلاثة آلاف بَيت شِعري) لأنّ الأمرَ فِيها يتعلق بِنَمط مُستحدَث فِي المَدائِح النَّبويّة وهوَ فنّ المَلاحِم الشّعريّة النَّبويّة (وهنا نَستذكِر أيضا الشّاعِر السّوري "أحمَد الخَاني" فِي عَملهِ الضَّخم: "المَلحمَة الإسلَاميّة الكُبرَى")، حَيث قامَ فِيها أحمَد مُحرَّم بِتصوِير البُطولَة الإسلَاميّة فِي السّيرَة النَّبويّة من خِلال ما ثبتَ عنِ النّبي مِن فُــتوحات ومَعارك وغَــــزَوات وَوَقـائع... بِتَسلسل زَمني مُرتّب ومُحكَم –كما سَبق وأن أشَرنا– وَكُلُّ هَذا يَجعل بالضَرورة عَدَد الأبيات المَخصوصَة بمَدح رَسُولِ اللهِ (ﷺ) كثيرا، وهَذا طبعًا لم يَكن مَوجودًا فِي المَدائِح النَّبويّة فِي عَصر صَدر الإسلَام.

3-5. حُضـور عُنـوان القَصـائد وإتـقـانِه:

مُنذ دُخول العَرب فِي عَصر التّدوين واحتِكاكِهم بِغيرهم مِمّن سَبقوهم فِي ذلِك، أصبَحت مُدونَاتهم الشّعريّة "تُصنَّف بِحسَب اسم الشّاعِر الّذي يُوضَع علَى الدّيوان، فكَان اسمُه يُعتبَر عنواناً للدّيوان، مِثل قَولنا: «**دِيوَان المُتنبي**»، ثمّ رُتبَت القصَائد استناداً إلى حَرف الرّوِي، بَعد أن استقرَّت المَعاجم علَى ترتيب الحُروف ألف بائيا كمَا هِي مُتداوَلة حَالياً، فَصَاروا يقولون «**دَالية طرفَة**»، وَ «**بَائية أبي تمّام**» وهكَذا، ولمّا كانَ الشّاعِر يكتُب قصَائد تتشابَه قافِيتها، اضطرَّ المُصنِّفون آنذاك إلى إضَافة مَطلَع القَصيدة لِتحدِيدها بِشَكل لا يَدع مَجالاً للّبس بِحَسب اعتِقادهم، فيَقولون: «**دالية المُتنَبي**... عيد بأي حال عدت يا عيد»"[1] وبَقِيت هذِه الظاهِرة فِي تطوّر عَبر العُصور المُتلاحِقة إلى غَاية العَصرِ الحَدِيث وما بَعده، حَيث أصبَحت العَنونَة فرعا عِلميا قائِما بِذاتِه، يُتقِنه الشّعراء ويَتفنَّنون فِي تنميقِه، مُتّخِذين مِنه العَتبة الأولَى للولوج إلَى مَفاد قصَائدهم ومَضمُونها.

وقد تميّزَت قصَائد المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث بِحضُور عُنوانِها وإتقانِه وعِناية اختِيار ألفاظِه وإيحائِيته عَكس نَظيرتِها فِي عَصر صَدر الإسلَام، ولنَعد مَرّة أخرَى لقصيدَتِه المُطوّلَة "**كَشف الغمَّة فِي مَدح سَيّد الأمَّة**" لمَحمُود سَامِي البَارودِي الّتي أشَرنَا إليهَا سَابِقا فِي أكثَر مِن مَوضِع؛ فنلَاحِظ مَثلا أنَّ عُنوانَها مُتقَن ومُلفِت للانتِباه ذو طَابع تُراثي يَجعل القارِئ يَتشوّق لِمعرِفَة مَضمُون القَصيدَة، وَيتسَاءل عَن طَبيعَة الغُمّة الّتي ستَكشِفها، ومَن هوَ سَيّد الأمَّة المَقصود فِيها، أضفْ إلى هَذا، نُلاحِظ أنَّه لا يَقترن بِصَاحب القَصيدة مِثلما كَان مُتداولًا فِي القَصِيدة القَدِيمة مِثل بُردَة البُوصَيري، دَالية الأعشَى، هَمزية حَسّان... إلخ.

---

[1]- جعفر حسن: **القصيدة العربيّة وتطوّر العنوان**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.alwasatnews.com/news/822508.html، تاريخ النشر: 25 أكتوبر 2013م، تاريخ الاطلاع: 17 ماي 2018م.

ولنلَاحِظ مَثلا عَناوِين بَعض قَصَائد يُوسف النَّبهَاني –والأمر يَنطبِق حَتَّى علَى دَواوِينه أيضًا– فَنجِد مَثلا: "**الرّائية الكُبرَى**"، "**الرّائية الصُّغرَى**"، "**أحسَن الوسائِل فِي أسمَاء النّبي الكَامل**"، فالقارِئ للعُنوَانَين الأَوَلَينِ للوَهلَة الأولَى سَيتساءل حَتما عَن الفَرق بينَ هذَين الرّائيتين؛ فَهل هو فَرقٌ فِي الحَجم والطّولِ بَينهما فقط؟ أم هُناك شَيء آخر مَقصود مِن ذلِك؟ أضفْ إلى هَذا لِماذا وقَع اختِيار الشّاعِر علَى حَرف الرّاء بالذَّات دُون غَيره؟ أم أنّه مُجرَّد نَسبِهما إلَى حَرف رَويِّهما فَقط؟ ومِثل هذِه التسَاؤلات يُمكِن أن تُقال فِي العُنوان الثالِث أيضًا: مَن هو هَذا النّبِي الكَامل؟ وما هيَ أسمَاؤه؟ ومَا المَقصود بأحسَن الوَسائِل؟

فكلّ هذِه التَّساؤلات تُثبِت لنا مَدَى إيحَائِية هذِه العنَاوِين ودِقَّة اختِيار ألفاظِها مِن طَرف الشّاعِر مِن أجلِ التأثِير علَى المُتلقي ولَفت انتِباهه، فَمِن غَير المَعقول أن تكُون هذِه العناوين مَوضوعَة تِلقائيا هكَذا وفقط، ولنلَاحِظ مَثلا أيضا عُنوان قَصيدته المَشهورَة "**طيبة الغرّاء فِي مدح سيّد الأنبياء**" الصَّادرة سَنة 1896م، الّتي أشَرنا إليهَا سابقا، والّتي يَقول فِي مَطلعِها:

نورُكَ الــكُلُّ وَالــوَرى أَجــزاءُ يا نَبِــيّاً مِن جُنــدِهِ الأَنبِياء[1]

فَنَجد أنفُسنَا هُنا أمَام عُنوان تُراثِي نتسَاءل فِيه –وخاصَّة غَير العَربي والّذي لَا يَدِين للإســلَام شَيئا– عن المَقصود بـ "طَيبة الغَرّاء"؟ ومَن هو سَيِّد الأنبيَاء؟ والحَقيقَة هنا أنّ هذِه القَصيدة –كما أشرنا سَابقا– مُعارضَة لِهمزيّة البوصَيري "أم القُرَى فِي مَدح خَير الوَرى"، حَيث جَاء العُنوانان مُتطابِقين نَحويا، مُتقاربين دلاليا إلى حدّ ما، كَونَ كلٌّ من كلِمتي: "طَيبة" و "أمُّ القُرَى" اسمٌ مِن مُسمَيات أعز الاماكن على قلب رسول الله،

[1]– يُنظَر.. كامل السوافيرى: **الاتجاهات الفنيّة فى الشّعر الفلسطيني المُعاصر**، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، 1973م، ص26.

وهما "المدينة المنورة" و "مكّة المُكرّمَة"، أماّ المَقصود بـ: "سيِّد الأنبِيَاء" و"خَير الوَرى" فهو رَسول الله (ﷺ).

ومِن العَناوين الّتي لَفتت انتِباهَنا فِي هَذا المقام، هو "**الإلياذة الإسلَاميّة**" للشّاعِر "أحمَد مُحرَّم" –الّتي تطرّقنا إليها سَابقا– الّتي تُعدّ أبرز عَمل شِعري جَلب له الشّهرة، فهو عَمل ضَخم يتمثّل فِي ديوان «**مَجد الإسلَام**» (حَوالي 458 صَفحة) عِبارة عَن مَلحمَة شِعريّة قام مِن خِلالها بِتَصوير البُطولَة الإسلَاميّة فِي السّيرة النَّبويّة، فالمُتلقِي حِين يُصادِفه هَذا العُنوان حَتما سَيتسَاءل عَمَّن هوَ بَطل هذِه الإليَاذة؟ ومَا هِي الإنجَازات الّتي حَقّقها؟ ومَا هِي أهمّ شَخصِيات هذِه الإلياذَة وأحدَاثها؟ وغَيرِها مِن الأسئِلة.

وإذا كَان المُتلقِي علَى دِراية بإلياذَة هومِيرُوس[1] وأنَّ هَذا العمَل أسَاسًا مُحاكَاة لَها، فإنَّ شَوقَه سَيزدَاد إلى الاطِّلاع عَليها ومُقارنَتها شكلًا ومَضمونًا، وهُنا تَظهر لَنا أهميَّة إتقَان العُنوان وحُسنِ اختِيار ألفاظِه وانتِقائها، لأنَّه هو بَوابة الوُلوج إلى النَّص كَما يُقال، والأمر نَفسُه يَنطبِق علَى تَسمِية الدِّيوان الأصلِيّة "**مَجد الإسلَام**" فالمُتلقِي أيضًا سَيتساءل فِي نَفسهِ عَمّن صَنع مَجد الإسلَام؟ ومَاذا حَقَّق البَطل حَتى وَصلَ إلَى مَرتبَة المَجد؟ وهَل يَعنِي هَذا أنّ هُناك مَن يَكيد للإسلَام كَيدا وشَرّا؟ والعَدِيد مِن الأسئِلة الّتِي قد تُراود المُتلقِي.

وبِهَذا نَستنتج أن إتقان العُنوان كَان لَه أهميّة بَالغة فِي العَصر الحَدِيث بالنَّظر إلى أَهمِيته فِي جَذب المتلقِي وشَدّ انتِباههِ ودَلالتِه الإيحَائِية عَامّة.

---

[1] – **إلياذة هوميروس:** الإلياذة باليونانية (μαθηματικ)، وهي ملحمة شعرية تحكي قصة حرب طروادة، وتعتبر مع الأوديسا أهم ملحمة شعرية إغريقية للشاعر الأعمى هوميروس المشكوك في وجوده، ويعود تاريخ كتابة هذه الملحمة إلى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد، ويقال أنه كتبها مع ملحمته الأوديسا، وقد جمعت أشعارها عام 700 ق.م .بعد مائة عام من وفاته. وتروي هذه الإلياذة قصة حصار مدينة طروادة وحربها، وهي حربٌ نشبت بين اليونانيين والطرواديين مدة عشر سنوات. وتعد ترجمة سليمان البستاني من أحسن الترجمات الشعرية العربية للإلياذة.

4. خَصائِص شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث من حَيث المَضمون:

سلّطنا الضَوء فِي هَذا المبحث علَى الخَصائِص والسّمات المُلفِتة للانتِباه الّتي تَتَعلّق بِمحتَوى قَصَائد مَدح الرّسول (ﷺ)، والانزِياحَات الّتِي مَيّزت مَضمونَها فِي العَصرِ الحَدِيث، وَلَن نتطرَّقَ –مثلما فَعلنا فِي الفَصل الأول– إلَى كُلّ الخَصائِص العَامَّة المُتعلِّقة بِمَدى تَماسك نَظم القَصَائد، ومَدَى تمكُّن الشّاعِر مِن تَشكيلِ صُورتِهِ الشّعريّة وبِنائِها لأنَّ هذِه الأخِيرة مِن القَضايَا المَهضومَة الّتِي تتكرَّر دَائِما فِي أغلَبِ الدّراسَات النَّقدِية مِن جِهة، ثمَّ لأَن مُعظَم شُعرَاء المَدِيح النّبوِي (المَشهورين مِنهُم خاصَّة) فِي العَصرِ الحَدِيث مِن مُخضرَمِي شُعراءِ ذلِك العَصر، مَعروفُون بإجَادةِ النَّظم وحُسنِ السّبكِ وقوَّةِ الألفاظِ والمَعانِي فِي أشعَارِهم مِن جِهة ثانِية، ولِذلكَ سَنجتهِد أَن نَتطرَّق فَقط إلَى أهمّ الخَصائِص الّتي شَكَّلت سِمَة وَ لَمسة –إضَافِية في بعض الأحيان– تَميّزت بِها قَصيدة المَدِيح النّبوِي فِي هَذا العَصرِ من خِلال ما يلِي:

4-1. الطابع الدّيني الإسلَامِي وَصِدق المَشَاعِرِ وَالمُغَالَاة فِي المَدحِ:

يَتشابَه شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث منْ حَيث طَابعه الدِّينِي الإسلَامِي مَع طَابع المَدائِح النَّبويّة فِي عصرِ صدرِ الإسلامِ، لأنَّ دَافِعَ نَظمهمَا معا بِبَساطَة هو دَافع دِيني بَحت؛ يَتمثَّل فِي إظهَار الحُبِّ للرّسولِ (ﷺ) وَمدحِه والثَّناء عَلَيه والافتِخَار بِه، وخِدمَة الدّين الإسلَاميّ ونَشرِه عَامَّة، باستِثناء الشّعرَاء المُتصوِّفَة وأهلِ البِدَع والشيعة –خاصَّة فِي العُصور المتأخِّرة والحَدِيثة– الّذين يَقعُون فِي المُبالَغة والتَّعصّب مُتَناسين أنّه (ﷺ) نَهَى عَن كُلّ مَظاهِر المُغالَاة فِي الدّين والتَّعصُب لَه مِثلمَا وَقَع فِيه أهلُ الكِتاب مِن اليَهود والنَّصارَى، ولكِنَهم رَغم كُلّ مَا يُمكن أن يُقَال عَنهم –الشّعراء المُغالون– تبقى عَاطفتهم تُجَاه نَبِيّهِم (ﷺ) عَاطِفة صَادِقة نابِعة عن قُلوب –رَغم أفكَارها ومُعتقِداتها الخاطِئة– مُحِبَّة مُولعَة به (ﷺ)، تشتاق لِلِقائه ورُؤيتِه وزِيَارة قَبرِه.

ومن مَظاهِر المُغالاة فِي قصَائد المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث كثيرٌ مِن قصَائد الإمَام يُوسف النّبهَاني –علَى سَبِيل المِثَال لَا الحَصر– ومُؤلَّفاته الّتي ردّ علَيها مَجموعَة مِن العلمَاء نَثرا ونَظما فِي كِتاب: "سِتُ مَنظومَات فِي الرّد علَى الصّوفِي يُوسف النّبهَاني" الصَادر سَنة 2008 بالأردن– وقد أشَرنا إلى هَذا سَابقا– "مقابِل قَصيدَته الرّائيّة (الصُغرى) لِما فِيها من استِطالَة وتَهجُّم علَى بَعض أعلَام الدّعوَة الإسلَاميّة، وخَاصَّة شَيخ الإسلَام ابن تَيميّة، ومُجدِّد دَعوة التّوحِيد مُحمَّد بن عَبد الوهَّاب، وعلَى مَن يُسمِيهم بـ "الوهابيَّة"، وهذِه المَنظومات السّت هي: مَنظومة الشّيخ علي اليوسف، ومَنظومة الشّيخ المؤرِّخ إبراهِيم بن عِيسى، ومَنظومَة الشَّيخ سليمَان بن سحمان، ومَنظومَة الشَّيخ عَبد العَزيز بن إبراهِيم السوَيح، ومَنظومَة الشَّيخ بَهجَة البَيطار، ومَنظومَة الشَّيخ مُحمَّد بن حَسن المَرزوقِي"[1].

ولنتأمَّل الأبيَات الّتي غَالى وتعصَّب فِيها يوسف النَّبهاني لِمَذهبِه –فِي إطار مَدحِه لِرَسول الله– فِي "رائيتِه الصّغرَى" فِي ذمِّ أهلِ البِدَع وَمَدح السنّة الغَرَّاء، يقول واصِفا الوَهابيَّة أتبَاع مُحمَّد بن عَبد الوهَّاب المُتّبِع لِشيخ الإسلَام "ابن تَيمِيّة"، وَوَاصِفا الإمَام شُكري أفندِي الألوسِي البَغدادِي رَحمَة الله عَليهم جَميعا:

وَأعـــجبُ شيءٍ مُســـلمٌ فِي حِسابِهِ ... غَدا قلبهُ مِن حبِّ خيرِ الوَرى صفرا
أُولئكَ وهّابـــــــيّةٌ ضلّ سَعـــيـهُم ... فَظنّوا الرَدَى خيرًا وظنّوا الهدى شرّا
ضِعافُ النُّهى أعرابُ نَـــجدٍ جُدُودهـم ... وَقَـــد أَورَثوهم عنهمُ الزُورَ والوِزرا
مُســيلمةُ الجدُّ الكَـــبير وعُـــرسـهُ ... سَجـــاحٌ لكلٍّ مِنـــهمُ الجدّةُ الكُبرَى
إلى اللّه بِالمُختارِ لَم يتوسَّـــــــلُـوا ... لأنّ لِكُـــــــلٍّ عِندَ خَالِقـــهِ قَدرا
فَقَد وَرِثوا الكذّابَ إذ كَـــان يدّعِـي ... بأنَّ لهُ شَطـــرًا وللمُصـــطَفَى شَطرا
أَشَارَ رَســـولُ اللّه للشَّـــرقِ ذمّـهُ ... وَهُم أهلُهُ لَا غَروَ أَن أطلعَ الـــشرّا

[1]– يُنظَر.. سليمان بن صالح الخراشي: **ست منظومات في الرّد على الصّوفي يوسف النّبهاني**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/mm/57.htm، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 25 سبتمبر 2018م.

بهِ يطلعُ الشّـــيطانُ ينـــطح قَرنــهُ ... رُؤوسَ الهُدى واللَّهُ يَكســـرهُ كَسرا
فَكَم طَعَنــوا بالأشِـــعري إمَامـــنا ... وَبالماتُريديّ الحبر أكرِم بهِ حـــبرا
بِتحقيرِ أحبَـــــابِ الإله تقـــرّبُوا ... إليهِ فَنـــالُوا البُعدَ إذ رَبِحوا الخُسرا
وَيَعتـــــقِدونَ الأنبِـــياءَ كَغيرِهـم ... سَواءً عقيبَ الموتِ لا خيرَ لا شـرّا
وَقَد عَذرُوا مَـــن يَستـــغيثُ بِكَـافرٍ ... وَما وَجَدوا لِلمُســـتغيثِ بِهم عُـذرا
وَكَم رَحلوا لِلشّـــركِ فى دَار رِجسـهِ ... وَجابُوا إلى أَوطانـــهِ البرَّ وَالبَـحرا
وَما جوّزوا لِلمُسلـــــمين رَحيلــهم ... لِزورةِ خير الخَـلقِ فى طَيبة الـغرّا
رَمَوا بِضِلالِ الشركِ كلّ مـــــوحّدٍ ... إذا لَم يكُن مِنـــهم عقيـــدتهُ بتَرا
وَهُم باِعتقادِ الـشّركِ أَولى لِقَـصـرهم ... علَى جِـهةٍ للعُـــلُوِ خالِقـــنا قصرا
هُـو اللَّه ربُّ الكُـــلّ جَـــلّ جَـلاله ... فَما جِـهةٌ باللَّه مِن جِـــــهَةٍ أحرَى
تأمّـــل تَجد هَـــذِي العَوالِم كُـلّها ... بِنسبةِ وسع اللَّه كالـــذرّة الصُـغرَى
فَحينئذٍ أينَ الجِهَـــــات الّـتى بِـه ... علَى اللَّهِ مِن حُمقٍ بِهم حَكَّموا الفِكرا
وإنّ اِختِلافاً للجِـــهَاتِ مُحـــقّـقٌ ... فَكَم ذا منَ الأقطار قُـطرٌ علَا قطرا
وَكُلُّ عُـــلوٍّ فَـــهو سفلٌ وعَكسـهُ ... وَقُل نَحوَ هَذا فِي اليَمِين وفِي اليُسرَى
فَمَن قالَ عُـلوٌ كلّها فـــهوَ صـادقٌ ... وَذلكَ قَد يَقـــضتِى بِآلـــهةٍ أخرى
وَمَن قالَ سفـــلٌ كلُّها فَهوَ صَـادقٌ ... فَليسَ لهُم رَبٌّ علَى هَـــذِه يُدرى
فَمَن يا تُرى بالشّركِ أَولى اِعتقـادُهم ... أُولئكَ أَو أصحَابُ سُـنّـــتِنا الغرّا
حَنابلـــــةٌ لكنّ مَذهـــبَ أحـمَد ... إمامَ الهُدى من كـلِّ ما أحدَثوا يَبْرا
وَقد عمَّ فى هَذا الـــزمانِ فَسادُهـم ... فَما تَركوا شاماً وما تـــرَكوا مـصرا
وَلَم ينفرِد شـــذّاذُ مـذهـــبِ أحمَد ... فَقَد ضَلّ قَومٌ من مـذاهِبنا الأخـرى
كَشُكرى الألـــوسى تابعاً إثر جـدّه ... وَأَعمَامهِ لَكنّـــهم آثَـروا الـــسترا
إلى أَن رَمـــى مَجـــنونُهم برجيعـهِ ... علَى النَّاسِ فى تأليفهِ ذلكَ السـفِرا
وَما وَصـلَت أرجاســـهُ غير قومـهِ ... بهِ وَبِهم أَرجاســهُ حُصِرت حَصـــرا
وَمَهما أَبانُـــوا عُذرَهُم بِجُـــنونـهِ ... نُصـــدّقُهم فِيهِ ولا نَـقـبَلُ العُـذرا
فَكانَ علَيـــهم قيدهُ بِســـلَاسِلٍ ... وَأَن يَحـــجروهُ عَن فظائعهِ حـجـرا
فَمَن أطلقَ الكَـــلبَ العقورَ فـــإنّـه ... هو المُخطِئ الجاني الّذي فعَلَ العَـقرا
أَتى بِكِتابِ الشَّـتمِ لا الـــعِلم دَاعِـيًا ... إلى لَعنهِ بينَ الـوَرى كلَّ مَن يَقـــرا

عدوُّ رَسـولِ اللَّـهِ أرضَـى عُداتَـهُ ... وَمنّى ومِن أحبَابِـهِ أوغرَ الصَـدرا
وَمِن حُمـقِهِ أَو كُـفرِهِ قَال إنّه ... إلـهي وقَد أكثَرتُ في مَدحهِ الشّعرا
وَلَو حلَّ مَدحي للنّـبِي بِسَـفرِهِ ... لَلـوّثهُ تـبّاً لهُ ولَـه سِفرا
وَمَع شَحنِه مِن نظمِ كـلّ مُجازفٍ ... بِشِـعرٍ إذا حَقّـقته تلـقهُ بَعرا
فَمِن مدحِ خيرِ الخلق ما راح مُنشئًا ... وَلا منشدًا بَيتا ولا منـشدًا شـطرا
بإقـرارهِ كم صـغتُ فِيه قَصـيدة ... وَنوّعتُ فى أمداحه النـظم والنثرا
فَكانَت لأرواحِ المـحبّينَ جـنّة ... وَكانَت علَى أعدَاءِ خيرِ الـوَرى جَمرا
وَلامَت لِمـنعِ الإستـغاثَة جدّهُ ... وَمِن عَمّه نُعـمَان أنكَرت النّـكرا
فَلو خصّني بالشَّتمِ مع عِظم جرمهِ ... لَما لُمتهُ لَـكنّهُ عـمّم الشـرّا
فَذَمّ هداةَ الدين مِن كلّ مـذهبٍ ... وَأَعطى لكلٍّ مِـن سَفاهـتهِ قدرا
غَدا لِفَتى تيمـيّةٍ أي نـاصرٍ ... فَهلّا اِستحقّ المُصطفى عندهُ النصرا
وَهلّا عَـفا عنّا لِذنـبٍ بزعـمهِ ... لِخدمتنا روح الوجـودِ أبا الزهرا
فَلَو كَانَ مِن نسـلِ المَجوس عَذرتهُ ... وَقلتُ اِمروٌ يَبـغي لِأجـدَادهِ ثأرا
وَلكن نراهُ يدّعي خَـيرَ نِسبةٍ ... وَأمُّ الفَتى مِـنهُ بِنسـبتهِ أدرى
فَمَن ذَا رَأى فِي النّاسِ شَخصًا مواليًا ... لِقومٍ يرَونَ الحـبَّ فِي جدّهِ كُفرَا
وَمَن ذَا رَأى فِي النّاسِ شَخصًا مُعاديًا ... فَتىً بمعالي جدّهِ أنـفَقَ العُـمرَا
إذن نحنُ فِي شـكٍّ منَ النسَبِ الّذي ... يقولُ وفِيه الشّـكُّ نَحصرهُ حـصرا
وَبعدُ فذيّاكَ الكِـتابُ يَـدلّنا ... علَى جـهلهِ طَوراً علَى غـيّه طورا
كتابٌ عَليهِ اللّعنُ مِـن كلّ سَامعٍ ... وَصَاحِبه أَيضًا غَـدا ماطِرًا مـطرا
وَكثّرَ فِيهِ النقلَ من دون حـاجةٍ ... لِيثبتَ فِي دعواهُ بالـكبرِ الكـبرا
وَبالحرفِ وَالقرطاسِ عظّم حجـمهُ ... لِيحملَ لَعناتٍ أتَت فـوقه تـترى
وَكلُّ جَوابٍ فِيه غـير مطـابقٍ ... لِمعنى كَلامي عندَ مَن يفـهمُ الأمرا
وَلكنّهُ عشواءُ تخـبطُ خـبطها ... بِليلٍ منَ الأهواء قد فـقدَ الـبدرا
وَأَعقلُ منه الكلبُ يسـترُ رجسهُ ... وَهَذا رَأى فى نشرِ أَرجاسـهِ فخرا
كِتابي لخيرِ الخلقِ قد جاء نـاصرًا ... وَهَذا لأعـداءِ النّـبي أَتى نـصرا
فَذلكَ مِـن أَعلَى وأَعلَى مناقـبي ... وَهَذا لهُ أَقوى مَـثالبهِ الكُـبرَى
وَذلكَ فَخري فِي الحَيـاةِ وبَعدها ... وَهَذا لهُ خِزي بِدُنيـاهُ والأخـرى

وَقرّظ قَولي عنَـدما تمّ طَبـــــــعهُ مَشايخُ إسـلام الشّريـــعَةِ فِي مِصرا
وَقرّظَ سَفرَ السُّـــــوءِ بالزُّورِ أهلهُ وَمَن كَانَ عَــن سُبلِ الشَّريعَةِ مُزوِّرا
يَذُمُّ خَيــارَ المُسلِمِـــــــينَ وَيَنتقِي لأشرَارِهم أمثَاله الحَـــمدَ والشّـــكرا
فَمِـثلُ الـــرِفاعي القُطب يَختَار ذَمّهُ وَشيخُ مَنارِ السُّـــوء يَمنَحهُ شُــكرا
خَبائثُ أَرواحٍ تَـــــــحنُّ لِبـعـضِها فَسُحقاً لـهُم سُحقاً وخُسراً لَهم خــسرا
همُ الكلُّ أعـــدَاءُ النّـبي فَبَــعضُهُم عَدَاوتهُ كُـــــبرَى وبَعضُهمُ صُــغرَى[1]

إذا، من خِلال هذِه الأبيات يتّضح لنا فِعلا حَجم التّعصب والمُغالاة الّتي وقَع فِيهَا الإمَام النّبهَاني فِي إطَار مَدحه لِرَسول الله (ﷺ) وأهلِ السّنَة فِي رَائِيته هَذِه، فمَا وَرد مِن تَهجُّم وكلَام جَارِح يَجعَل القارِئ العَادِي يُحِسّ وكَأَن النَّبهَاني عَلَى دِين مُعيَّن، ومحمَّد بن عَبد الوهَّاب وشَيخ الإسلَام ابن تَيمِية ومَن تبِعهَم علَى دِين آخر، إلَّا أنَّه فِي النِّهاية؛ كلٌّ مِنهما يَقول كَلِمة التَّوحِيد نَفسِها "لَا إلَه إلَّا الله مُحمَّد رَسول الله" وَيَرجو مَغفِرة الله وثَوابِه، وهُنا قَد نَتساءل: هَل خَدم النَّبهانِي بِنظمِه المُشِين هَذا الدّينَ الإسلَامِي؟ هل يَتصرّف المُؤمِن الحَقِيقي –بل الدّاعية– بِهَذا الشَّكل لِيُصلح الأمَّة؟ هل هذِه هي حَقِيقة الإسلَام والمُسلِمين والطَرِيقَة الصَّحِيحة فِي الدَّعوة إلى الله تَعالى وإرشَاد النَّاس إلى الطَّرِيق الصَّحِيح؟ طَبعا الإجابَة ستكون بـ: "لا" لمثل هذِه الأسئلة وغيرها ممَّا يَتبادَر فِي الذِّهن، لأنَّ الدّعوة إلَى اللهِ تعَالى تَكون بالدَّليل مِن القرآن الكَرِيم والسُّنة النَّبويّة، وبالّتي هي أحسَن، وبأسلوبِ التَّرغيب قبلَ التَّرهيب دُون المَسَاس بأعراضِ الأشخَاص والتَطاول علَيهِم بالكَلام الجَارِح.

[1]– يوسف النبهاني: **الرّائيّة الصّغرى**، نسخة إلكترونية محملة من الموقع الإلكتروني:
elwahabiya.com › wp-content › uploads › 2016/02، تاريخ النشر: فيفري 2016م، تاريخ الاطلاع: 17 أكتوبر 2018م.

4-2. الوَظِيفَة الدَعَويّة الإرشَادِيّة وقُوَّة المَعَانِي:

اهتم شُعَراءُ العَصرِ الحَدِيث فِي مَدحِهم لِرسولِ اللهِ (ﷺ) بِقُوة مَعاني أشعَارِهم ومَضمُونها ودلَالَاتها حتَّى يَتمكَّنوا مِن التَّأثير علَى السّامعين لَها، مُستغِلين كلَّ قُدرَاتهم اللّغويّة والبَلاغيَّة والفنيَّة لِرَسم الصُّورة الشّعريّة المُناسِبة الّتي تتلَاءم وطَبيعَة الإنسان العَربي الحَديث؛ الّذِي طَغت عَليه الدُّنيا ومَادِياتُها، وأبعدَته فِي غالِب الأحيَان عَن دِينه وأصولِه وأخلَطَت عَليه الحَابِل بالنَّابِل، فَكانَت المَدائِح النَّبويّة حِينها وَسيلَة هامَّة لِتَجديد الإيمَان والدَّعوة إلى الله تَعالَى، وإلَى مَبادئ الإسلَام وتَعالِيمه، والتذكِير بِخِصَال نَبيِّه وأخلَاقه الحَمِيدة الّتي لَا بُد علَى كلِّ مُسلِم أن يَتَّبِعها مِصدَاقا لِقولِه تَعالَى فِي مُحكَم تنزيلِه: "**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**"[1]، وامتثالا لقوله (ﷺ) عن عبد الله بن عَمرو بن العَاص رَضِي الله عَنهُما: أنَّ النّبِي (ﷺ) قَال: "**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَة، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**."[2]

ولِأنَّ الإنسَان العَربِي يَتأثَّر لِلكلِمة ويُعطِيها قِيمتهَا، ويَتفوَّق عَن غَيره فِي مَجَالِ نَظمِها والتأثِير بِها والتَّأثر لَها، كَانَت هِي سِلاح شُعراء العَصرِ الحَدِيث لِإرشَاد الأمَّة وتَهذِيبها وترتيب قَواعِدها الأخلاقيّة والقيميَّة مِن جَدِيد، لِضمَان استِمراريتهَا والنّهوضِ بِها ودَفعها نَحو الأمَام، وذلِك مِن خِلال رَبط مَاضِيها بِحَاضِرها لِبنَاء مُستقبلِها، ولَا سَبِيل إلى ذلِك إلَّا مِن خِلال التأثِير علَيها بِوَاسطة أعظَم شَخصِيَّة دِينيّة عَرفتها؛ تُؤمِن بِضَرورة الاقتِداء بِها، وتنكسِر لِمُجرَّد ذِكرِها أو ذِكر تَوجيهَاتِها ونَصَائِحها وصِفَاتها وأخلَاقِها ومَا يتعلَّق بِها مِن مُعجِزات وَوَقائع وأحدَاث وَقعت لَها، فِيها مِن العِبرَة والفائِدة

[1]– سورة الأحزا، الآية: 21.

[2]– رواه البخاري.

الجَمّة مَا أثبتَه العِلم الحَدِيث، وما أثبتتهُ تَجارِب الحَياة، وفِيها ما يَضمَن استِمراريَة المُجتمَع وصَلاحه مَا فِيها.

وبِناء علَى هَذا تكُون المَدائِح النَّبويّة ذَات وَظِيفة دَعوِيّة إرشاديّة واضِحَة، تَجد فِيها بَين الحِين والآخَر –بِشَكل مُباشِر أو غَير مُباشِر– الدَّعوة إلى دِين الله تعالَى، والكَثير من النُّصح والتَّوجِيه والإرشَاد، خَاصَّة وأنّ أغلبهَا قَصائِد مُطوَّلة لَا يَكاد يَترك الشّاعِر فِيها قضِيَّة إلَّا ويُشِير إليهَا مِن خِلَال سِيرَة رَسولِ اللهِ (ﷺ) الّتي لَم تَترك كَبيرة ولَا صَغيرة إلّا وأشَارت إليها، ومِن أمثِلة الأبيَات الشِّعريّة الّتِي تأخُذ وَظيفَة دَعويَّة إرشاديَّة قَول أمِير الشّعراء أحمَد شَوقي –علَى سَبِيل المِثَال لا الحَصر– فِي قَصِيدته "ذكرَى المَولِد":

وَلَم أَرَ مِثلَ جَمعِ المالِ داءً ... وَلا مِثــلَ البَخيلِ بِهِ مُصابا

فَلا تَقتُلكَ شَـــــهوَتُهُ وَزِنـها ... كَما تَزِنُ الطَعامَ أَوِ الشَرابا

وَخُذ لِبَنيكَ وَالأَيّـــــامِ ذُخرًا ... وَأَعـطِ اللهَ حِصَّتَهُ احتِسابا

فَلَو طالَعتَ أَحـدَاثَ اللَيالي ... وَجَدتَ الـفَقرَ أَقرَبَها انتِيابا

وَأَنَّ البِرَّ خَـيرٌ فِـــي حَياةٍ ... وَأَبقى بَعـــدَ صـاحِبِهِ ثَوابا[1]

بَيَّن الشّاعِر فِي هذِه الأبيَات أنَّ جَمع المَال مَرضٌ، والبُخلُ بِهِ مُصيبةٌ فِي صَاحبِهِ، وَدَعا إلى حُسنِ التَّصرُّف بِه وعَدم تبذِيره، وترك جُزء مِنه ذُخرًا لِوَقت الحَاجَة، وجُزءا آخر يُصرَف لِوجه اللهِ تعالَى (فِيمن يَستحِقُونه مِن مَصارِف الزَّكاة) احتِسابًا لِلأجر والمَغفرة والثواب بَعد المَوت، وهَذا يَجعَل المَدائِح النَّبويّة هنا تأخُذ طَابعا دَعويًا إرشادِيا لِما فِيه خَير البَشر وصلَاح أمورِ دِينهم ودُنياهم، وأَمثِلة هذِه الأبيَات الدَّعويَّة الإرشاديَّة كَثيرة فِي قصَائد المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث لَا يَسعُنا أن نَذكر مِنهَا كَثيرا فِي مَقامِنا هَذا.

---

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، مج1، ص69.

4-3. الاقـتِبـاس مِـن القـرآن الكَـرِيم والسـنّة النَّـبويّة:

تميّزت قَصيدة المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث هي الأخرَى بِظَاهرة الاقتِباس مِن القرآن الكَرِيم والسُّنة النَّبوِيّة عَامّة، والقُرآن الكَرِيم خَاصَّة ومُحاولة مُحاكاتِه -كما سبق وأن أشرنا- فِي طَرِيقة التَّعبير تأثُّرا بِألفَاظِه وأسلُوبِه البَديع، وَلُغتِه الرّاقية، الّتِي لَا تَزال تُبهر البُلغاء والفصَحَاء والشّعرَاء، وتُعجِز النّقاد والحَاقدين علَى الدّين الإسلَامِي إلى يَومنا هَذا، وهنَا قَد نَتساءل عَن سَبب كَثرة اقتِباس الشّعرَاء مِن القرآن والسّنة دُون غَيرِهما مِن كُتبِ التَّفسِير والمُصنَّفات إلى غَايةِ يَومِنا هَذا.

ولَعلّ سَبب الاقتِباس مِن القرآن الكَرِيم يَعود إلَى أنّه نَصٌّ مُقدَّس مَوثُوق تَعود إليه كلُّ المُصنَّفات والتَّفاسِير والمُؤلَفات الّتي جَاءت بَعده هِي فِي حدِّ ذَاتِها، فَهو بَعيد كلَّ البُعد عَن الشّكِ والتزوِير والتَّحرِيف -خَاصَّة فِي البِلَاد الإسلَاميَّة- وهوَ مَحفوظ فِي الصُّدور مَكتوب فِي المَصاحِف، لَا تَشوبه شَائِبة، يَتفقُ جَميع المُسلِمين علَى قُدسِيتِهِ وكَمالِه ومِصدَاقِيته وبُعده عَن البَاطِل والرَّيب مِصدَاقا لِقولِه تَعالَى فِي مُحكَم تنزِيلِه: "**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**"[1] ومِصداقا لقولِه تعالى أيضًا: "**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**"[2] ومِصدَاقا لقوله تعالَى أيضًا: "**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.**"[3]

وأمّا سَبب اقتِباس الشّعراء مِن السُّنة النَّبويّة الشَّريفَة -فِي نَظرِنا- فِيعود أيضًا إلَى كَون نُصوصِها مِن النّصوص المُقدَّسة المَوثوقَة الّتي يَثق فِيها المُسلم، وتَأتي فِي المَرتبَة الثّانِية بَعد القرآن الكَرِيم، لأنَّ الجَميعَ يتفِق علَى أنَّ الرّسولَ (ﷺ) كَان يُوحَى إليهِ مِن اللهِ سُبحَانه وتعالَى عَن طَرِيق جِبريل عليه السَّلام، يَقول تعالَى: "**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ**

---

[1]- سورة البقرة: الآية 02.

[2]- سورة البروج: الآيتان 21-22.

[3]- سورة فصلت: الآية 42.

الْقُوَى"[1] أضفْ إلى هَذا أنَّه (ﷺ) هو النَّموذَج المَنشود الّذِي يَسعى المُسلِم الحَقيقِي إلى بُلوغ دَرجَات كَماله، وهوَ قُدوة المُسلِمين ومَثلهم الأعلَى الّذِي يَجِب أن يَقتدوا بِه مِصدَاقا لِقولِه تَعالى: "**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.**"[2]

ولإثبَات هذِه الخَاصيّة سَنسلِّط الضَّوء –علَى سَبِيل المِثَال– علَى المُطوَّلة المَشهورَة "كشف الغمّة فِي مَدح سَيّد الأمّة" لمَحمُود سَامِي البَارودِي، ومِن أمثِلة اقتِباسه مِن القرآن الكَريم قولُه فِي ثنايا قَصيدَتِه:

وَلو دَرت أنَّـــــها فِيما تُحاوِلُه مَخــذولةٌ لم تسُم فِي مَرتعٍ وخِمِ
أَولى لَها ثُمّ أَولَى أَنّ يَحيقَ بِها مَا أَضمَرَتهُ مِن البَأساءِ والشّجمِ[3]

ففِي الشّطر الأوّل مِن البَيت الثّاني نَجِد أنفُسنَا أمَام قَوله تَعالى فِي مُحكَم تَنزِيله: "**أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ، ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ**"[4] مِن سُورة القِيامَة، ونَجد البَارودِي يَقتبِس أيضًا فِي مَوضِع آخَر فيقول:

فـكَانَ عَام وُفودٍ كلَّما انصرَفت عِصابةٌ أَقبَلت أُخرَى علَى قَدمِ
وَأرسَل الرّسل تترى لِلمُلوكِ بِما فِيهِ بلاغٌ لِأَهلِ الذِّكــرِ والَفهمِ[5]

ففِي الشَّطر الأوّل مِن البَيت الثّاني أيضًا نَجِد أنفسنَا أمَام قَولِه عَزّ وجَلّ: "**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ**"[6] مِن سُورة المُؤمِنين، وَيَقتبِس البَارودِي مِن القرآن الكَريم أيضًا فِي خِتام قَصيدَتِه قائِلا:

---

[1]– سورة النّجم، الآيات: 01 إلى 03.
[2]– سورة الأحزاب، الآية: 21.
[3]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة**، ص19.
[4]– سورة القيامة، الآية: 34–35.
[5]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة**، ص42.
[6]– سورة المؤمنين، الآية: 44.

فاسجُد لهُ واقــتَــرِب تبُلــغ بِطــاعتِهِ مَا شِئت فِي الدّهرِ مِن جَاهٍ ومِن عِظَم[1]

فنُلاحِظ أنّ الشَّطر الأوَّل مِن البَيت الشّعري مُقتبَس مِن قَولِه تعالَى : "**كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب**"[2] مِن سُورَة العلَق، ثمَّ اقتبَس البَارودِي أيضًا مِن القرآنِ الكَريم بَعد بَيتَين مُوَالِيين للبَيتَين السّابِقَين فيقول:

يا غافـر الذَّنــبِ والأَلبَابُ حائِـرةٌ فِي الحَشرِ والنَّارُ تَرمِي الجَوَّ بِالضرمِ[3]

ونلاحِظ أنّ بِدَاية الشَّطر الأوّل مقتبسة من قوله تعالى فِي محكم تنزيله: "**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ**"[4] من سورة غافر، ومن أمثِلة اقتباس البَارودِي من السنّة النَّبويّة الشّريفة فِي هذِه القَصيدة قوله:

فَــمَا يمُــــرّ علَى صــخرٍ ولا شجرٍ إلّا وحـــيَّاهُ بِالتســـليمِ مِــن أمَــمِ[5]

ويتحدَّث هَذا البَيت عَن دَليل من دَلائل نُبوَّة الرّسول (ﷺ)؛ وهوَ قُدرَة سَماعه لِتَسلِيم الحَجَر والشَجَر عَليه، وهوَ مُقتبَس من الحَديث النّبوِي عَن جَابِر بن سمرَة (**رضِي الله عنه**) قَال: قَال رَسول اللهِ (ﷺ): "**إنِّي لَأعرِف حَجَراً بِمَكَّة كَان يُسَلِّم عَلَيَّ قبلَ أَن أُبعَث، إنِّي لَأَعرِفُه الآن**"[6]، وأخرَجَ البزَّاز و أَبُو نَعيم عَن عَائِشة (**رضِي الله عَنها**) قَالَت: قَالَ رَسول الله (ﷺ): لمَّا أَوحَى الله إلَيّ جعلت لَا أَمرُّ بِحَجَر ولَا شَجَرٍ إلَّا قالَ السَّلَام عَلَيك يَا رَسولُ الله"[7]، وخِتامًا؛ كُلّ هذِه الشَّواهِد تُثبِت فِعلًا وُجود ظَاهرة الاقتِباس مِن القرآن والسُنّة فِي المَدائِح النَّبويّة فِي العَصرِ الحَدِيث .

---

[1]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، ص48.

[2]– سورة العلق، الآية: 19.

[3]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، ص48.

[4]– سورة غافر، الآية: 03.

[5]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، ص12–13.

[6]– رواه مسلم.

[7]– يوسف بن إسماعيل النبهاني: **حجّة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسلين (ﷺ)**، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص317.

4-4. الألفـاظ والحـقل المعـجـمي الدّيـنـي الإسـلاميّ:

زادَ اهتِمَام الدّارِسينَ بِنَظريّة الحُقول الدلَاليّة ومَا يتعلَّق بِها مِن مَباحِث وقَضَايا دلَاليَّة فِي العَصرِ الحَدِيث، لِمَا لَها مِن أهميَّة بَالِغة فِي فَهم مَعانِي النُّصُوص -سَواء كانَت نَثرا أم شِعرا- وخَلفِياتِها الفِكريّة والفلسفِيّة والثّـقافِية... ولعلّ أهم مَا يُدرس فِيها ما يُعرَف بالحَقل المُعجَمي (باللّغة الإنجليزيّة: Lexical field)، وهوَ "مُصطَلَح يُطلَق علَى مَجموعَةِ الكَلماتِ الّتي تَرتبِط دلَالتهَا وتَشترِك جَميعًا فِي التّعبِير عَن المَعنَى العَام"[1] أي أنَّه مِثلمَا يَقول جُون ليونز (J.Lyonhs) "مَجمُوعَة جُزئيَّة لِمُفردَات اللُّغَة"[2]، يَقوم فِيه الدَّارِس بِتَصنِيف مَجمُوعة ألفَاظٍ أو كَلماتٍ تَحتَ عُنوانٍ يَجمَعُها، ثمّ يَعمدُ إلى البَحثِ عنِ الخلفِياتِ الدّلاليّة الّتي تَقفُ وراءَ استِعمَال المُـؤلّفِ لتـلكَ المَجمُوعَات، والخَـلفِيّة الفِكريَّة الّتِي دَعـته لِذلك الاستِعمَال، وهُنا تَكمُن أهميَّة دِراسَـة الحُقول المُعـجَميّة فِي الوُصول إلى المَعنَى وفَهمِه دُون فَصله -بِطَبيعة الحَال- عَن سِياق وُرود الكلِمات الّتي تُكوِّنه.

والمُتأمّل فِي قصَائد المَدِيح النّبوِي الفَصيح فِي العَصرِ الحَدِيث يُلاحِظ أنَّها تَشتمل علَى العَديد مِن الحُقول المُعجمِيّة الّتي تَتوافق مَع ما يَخوض فِيه الشّاعِر فِي مَدائِحه مِن مَدح أو وَصف أو سَرد لِبَعض مَعَارك أو غَزوَات الرّسولِ (ﷺ) أو غَيرها مِن القَضايَا المُتعلّقة بِسيرَة النَّبي والحَياة فِي العَصرِ الحَدِيث، إلَّا أنّ بُروزَ الألفاظِ الدّينيَّة عَامّة يَكون بِشَكل واضِح بَين الحِين والآخَر فِي هذِه المَدائِح مِن بِدَايتها إلى نِهَايتها ، وهوَ مَا يَتولّد عَنهُ حَتما الحَقل المُعجَميّ الدّيني الإسلَامِي بالدَّرجَة الأولَى باستِثناء الشّعرَاء المُتصوفِين الّذين يَظهر علَى مَدائِحم ألفَاظ ومُفردَات أخرَى تَدلّ علَى نَزعَتهم الصُوفِيَّة (وكذا الأمر بالنِّسبة للشّعرَاء المتشيعِين).

---

[1]- أحمد مختار عمر: **علم الدّلالة**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 1982م، ص79.

[2]- موريس أبو ناضر: **مدخل إلى علم الدّلالة الألسني**، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ع19، 1982م، ص35.

والشّواهِد الشِّعرِيّة الّتي يُمكِن أن نَستدِلّ بِها –علَى سَبِيل المِثَال– علَى هذِه الخَاصية كَثيرة لَا تَخلو مِنها أي قَصيدَة فِي مَدح رَسولِ الله (ﷺ)، ولنتأمَّل مَطلَع قَصيدَة "فِي حَفلة المِيلَاد النّبوِي" للشّاعر مَعروف الرّصَافِي (1875م–1945م)[1]، الّذي يَرى فِي النبيّ (ﷺ) جَانِب العَظمَة الّتي تَدفَع صَاحِبها إلى الوُصولِ إلَى غَايتهِ مَهما وَاجهَه مِن عَراقيل وصِعَاب، يقول الرّصَافِي:

وَضحَ الحَقُّ واستَقَامَ السَّبِيل بِعَظيمٍ هُو النَّبِـيُّ الرّسُولُ
قَامَ يَدعُو إلَى الـهُدَى بِكِتَابٍ عَربـيٍّ قُـرآنُـهُ تَرْتـيلُ
طالباً غايةً منَ المجدِ قُصْوى صدّهُ عن بُلُوغِها مُستحيلُ
ووصُـولاً إلى مـقامٍ رفِيعٍ عزَّ مَنْ قبله إليهِ الوُصُولُ
هِمَّةٌ دُونَـها الكـواكبُ نُـوراً واعتـلاءً يعلُو بهِ ويَطُولُ
جَرّدَ اللهُ مِنْ للحَـقِّ سَيـفاً كُلّ ضدّيْنِ وَحـدَهُ والُفلولُ
فِيه عَـزمٌ للمُـهلِكاتِ قَـحُوم واصطِبارٌ للنّائِبَاتِ حَـمُولُ [2]

ونُلاحِظ فِي هذِه الأبيَات مَثلا أنَّ الرّصافِي قَد اعتَمد علَى العَديد مِن الألفَاظ الدّينيَّة كَثيرة التَّداول بَين عَامَّة النّاسِ، وهِي: **الحقُّ، النَّبيُّ، الرّسُول، الهُدى، قُـرآنُه، تَرْتِيل، عزّ، اللهُ، المُهلِكاتِ،** وكُلّ هذِه الألفَاظ الدّينيّة تُشكّل حَقلًا مُعجَميًا دلَالِيا واحِدا هوَ الحَقل المُعجَمي الدّيني الإسلَامِي.

---

[1]– **معروف الرّصافي:** هو معروف بن عبد الغني بن محمود الجباري الحسيني، ولد في بغداد عام 1875م، أكاديمي وشاعر مسلم عراقي من أب كردي النسب وأم تركمانية، كان والده يعمل في حكومة الدولة العثمانية برتبة باش جاويش، نشأ في بغداد حيث أكمل دراسته في الكتاتيب، ثم دخل المدرسة العسكرية الابتدائية فتركها، وأنتقل إلى الدراسة في المدارس الدينية ودرس على يد علماء بغداد الأعلام كالشيخ عبد الوهاب النائب، والشيخ قاسم القيسي، والشيخ قاسم البياتي، والشيخ عباس حلمي القصاب، ثم أتصل بالشيخ العلامة محمود شكري الألوسي ولازمهُ أثنتي عشرة سنة، وتخرج علي يديه، بني لهُ تمجيداً لذكراه تمثالاً في الساحة المقابلة لجسر الشهداء عند التقاطع مع شارع الرشيد المشهور قرب سوق السراي والمدرسة المستنصرية الأثرية، توفي سنة 1945م.

[2]– معروف الرّصافي: **ديوان معروف الرّصافي،** مراجعة مصطفى الغلاييني، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقلفة، القاهرة، مصر، 2014م، ص257.

وتتّضِح هَذِه المِيزة أيضًا –علَى سَبِيل المِثَال– فِي قَصيدة "**نِظام البُردة**" للشَّاعِر الكَبير "أحمَد بَاكَثير (1910م–1969م)"[1] الّتِي نَظمهَا وَعُمره لَا يَتجاوَز خَمسًا وعِشرين (25) سَنة، يَقول فِي أبيَات مِنها:

يَرى الطَهَارَة مِن أسمَى شَعَائِره ... لَا يَقبَل الله نُسكَ الأغبَر الدسِمِ

وفِي الصَّلَاة مُنَاجَاة تُطهِّر مِن ... نَفس المُصَلِي وتُؤوِيهَا لَدَى البَهم

وفِي الزّكَاة دَواءٌ لاَ مَثِيلَ لَه ... لِكَشفِ مَا حَاق بِالدّنيا مِن الإزمِ

الإشتِراكِيّة المُثلَى تَتِمّ بِه ... بِلَا كُنود ..ولَا حَيف.. ولَا وغمِ

أمَّا الصِّيام فَترويض النّفُوسِ علَى ... حَملِ الشَدائِد فِي صَبرٍ بِلَا برمِ

وَكَم جَلا الطِّب مِن أسرَارِه عجَبًا ... يُزيلُ مَا عَي عَنه الطِّب مِن سَقَمِ

وَالحَجّ مُؤتَمَر لِلمُسلِمِين بِه ... تَنمُو قِوَاهم لِيَضحَوا قَادَة الأمَمِ[2]

ونُلاحِظ فِي هذِه الأبيَات أيضًا استِخدَامه لِمَجموعَة مِن الألفاظِ الدّينيّة المُتداوَلة وهِي: **الطّهَارة، شَعائره، الله، نُسُك، الصَّلاة، تُطهّر، المُصلي، الزَّكَاة، حَاق ،الصّيام، صَبرٍ، الحَجّ، المُسلِمين**، وكلّها ألفَاظ تنطَوي تَحتَ حَقل مُعجَمي وَاحِد هُو الحَقل المُعجَمي الدّيني الإسلَامي أيضًا، وغَير هذِه الألفَاظ الدِينيّة فِي مُختلَف قصَائد المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث كَثيرة يَسهُل التَّنبهُ إلَى طُغيَانِها وسِيادَتِها علَى بَاقي أنوَاعِ الألفاظ، وكلَّها تُسهِم فِي إعطَاء بُعدٍ ودَلالَةٍ واضِحةٍ للنَّص ومَضمُونِه.

---

[1]– **علي أحمد باكثير**: هو علي بن أحمد بن محمد باكثير الكندي؛ شاعر وكاتب مسرحي وروائي مصري ولد سنة 1910م من أصل حضرمي، إندونيسي المولد، ألف العديد من المسرحيات الملحمية الشعرية والنثرية أشهرها ملحمة عمر بن الخطاب، وأشهر رواياته التاريخيّة: وا إسلاماه، والثائر الأحمر، كما ترجم مسرحية "روميو وجولييت"، وحصل على الكثير من الجوائز منها جائزة الدولة التقديرية الأولى مناصفة مع نجيب محفوظ، توفي باكثير في مصر في غرة رمضان عام 1389هـ الموافق لـ: 10 نوفمبر 1969م، إثر أزمة قلبية حادة ودفن بمدافن الإمام الشافعي في مقبرة عائلة زوجته المصرية.

[2]- عبد السّلام البسيوني: **من المعارضات المعاصرة لقصيدة البردة للبوصيري**، ص232–233.

4-5. تَـعــدُّد المَـوضوعـات والأغــراضِ الشّـعـريّـة:

تُعدّ خَاصّية تَعدُّد المَواضِيع والأغرَاض الشّعرِيّة فِي القَصِيدة الوَاحِدة مِن خَصائِص القَصيدة العَربيّة القَديمة وخاصَّة الجَاهِليـة مِنها؛ حَيث كَان الشّاعر آنذَاك "يَفتتحهَا بِالوقوف علَى الأطلَال والحَديث عَنها وَوَصفِها، ثمَّ يَعرِض بَعضًا مِن مَنـاحِي فُتوتِه كَالغزل وَوَصفِ الخَمر، وَقد يَصِف لَنا رِحلَته فِي الصّحرَاء... ثمَّ يَمضِي إلَى الغَرض الأصِيل مِن القَصيدَة فِي مَدح أو يَفتخر أو يُعاتب"[1] وهَكذا دَواليك تحوَّلت هَذِه العَادة إلَى تَقاليد وطَريقَة نَظمٍ مُتداولَة عِند الكَثير مِن الشّعرَاء فِي مُختلَف العُصور – ومِنهم شُعراء العَصرِ الحَدِيث – إلى غَاية يَومِنا هَذا، شَريطَة أن تُشكِّل تِلك الأغرَاض والمَوضوعَات فِي مُجملِها وِحدة عُضوِيّة تَستمِّد مُقومَاتِها مِن ترابُطها بِبَعضها البَعض، لِتكُون القَصيدَة فِي النِّهايَة "بِنية حَيَّة تَامّة الخَلق والتَّكوين"[2] مِثلَما يَصطَلِح علَيها الدُّكتور شَوقي ضَيف.

وَقَد اتّسمَتْ أغلَب قَصَائد المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث –وخاصَّة المَشهورَة مِنها– بِحِفاظِها علَى خَاصّيةِ تَعدّدِ الأغراضِ الشِّعريّة والمَواضيعِ فِي القَصيدَة الوَاحدةِ والسَّير علَى نَهج القُدمَاء فِي طَريقَة النَّظم، ذلِك أنّ أغلَبها قَصَائد مُعارَضةٍ لِقصَائد المَدِيح النّبوِي القَديمة؛ وبِخاصَّة قصَائِد العَصر العَباسِي (مُعارَضة قَصيدَة البُردَة خَاصَّة والسّير علَى نَهجِها)، فالقارِئ العَادي لَها لِلمرَّة الأُولَى –وخَاصَّة الأبيَات الأولَى مِنها– لَا يلتَمسُ بُعْدَها الدّيني مُباشِرة، ولا يُدركُ أنّها قَصيدَة منْ العَصرِ الحَدِيث بالنّظرِ إلَى بِداياتِها التَّقليديَّة الكلَاسِيكية، والطَّلليَّة فِي كَثير مِن الأحيَان إلَّا بَعْدَ وُصولهِ إلى الأبياتِ المَادِحَةِ لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ) المبيِّنة لأخلَاقهِ وصِفاتهِ، أوْ السَّارِدة لِمَا يتَعَلَّقُ بِغَزواته ومُعجِزاتهِ...إلخ.

---

[1]– وليد إبراهيم قصاب: **قضيّة عمود الشّعر في النقد العربي القديم**، دار الفكر، دمشق، سوريا، دت، ص296.

[2]– شوقي ضيف: **في النّقد الأدبي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1969م، ص153.

ومن أمثِلة القصَائد المدحيّة الّتي تتضِح فِيها هذِه الخاصِيّة بِشكلٍ وَاضِح مُطوَّلة البَارودِي "كَشف الغُمّة فِي مَدح سَيّد الأمّة" –الّتي استشهدنا بها كَثيرا علَى مَا يَبدُو– الّتي يَقول فِي مَطلعهَا التَّقليدِي:

يَا رَائِـــدَ البَـرْق يَمّم دَارَة العَلَـــمِ واحْدُ الغَمَام إلَــى حَيٍّ بِذِي سَلَم

وَإن مَرَرتَ علَى الرَّوحَاءِ فَامْر لَها أَخــلَافَ سَـــارِيَةٍ هَتّـانَةِ الدِّيَمِ [1]

فالبَارودِي استهلَّ هذِه المُطوَّلة بِمَطلع تَقليديٍّ يَكثر فِي القَصَائد المَدحيَّة القَديمَة ومَا تتضمَّنه "مِن ذِكر للمَواضِع الحِجَازيَّة وإهدَاء التحيَّة إليهَا مَع الرّيح والبَرقِ علَى نَحو مَا كُنا نَرى فِي مَطالِع الشَّريف الرّضِي ومِهيَار الدِّيلمي"[2] وَغيرِهم مِن قُدمَاء الشّعراء، فَكلٌّ مِن "**العَلَم**"، و"**ذي سَلَم**"، و"**الرَّوحَاء**" أمَاكن حِجَازية ذَكَرها البَارودِي علَى طَرِيقَة القدمَاء مُتمنِيا أن تَسقِي الأمطَار دِيار مَحبوبَتِهِ، لِيخوضَ بَعد ذلِك فِي نَسيب[3] لَم يَخرج فِيه أيضًا عَن التّقالِيد القَديمَة مُعترِفا بِه فِي أواخِر قَصِيدتِه قائِلا:

صَدّرتُها بنَسِـــيبٍ شَفَّ بَاطِنُه عَن عِفَّـةٍ لَم يَشِنـــهَا قَولُ مُتَّهِمِ

لَم اتّخِذهُ جِــزافا بَل سَلَكتُ بِهِ فِي القَولِ مَسلَكَ أَقوَامٍ ذَوِي قِدَمِ

تَابَعتُ كَعبًا وَحَسَـانًا وَلِي بِهِمَا فِي القَــولِ أُسوَة بَرٍّ غَيرَ مُتَهَمِ[4]

ويدلّ هَذا الاعتِرَاف أنّ البَارودِي كَان علَى دِرايَة أنّه التزَم بِالتقالِيد الشّعريّة المَورُوثة، "وهو يَخشى أن يُتَهَم بإساءَة الأدَب، فَقَال: إنّه كَانَ غَزلًا عَفِيفا لَا مَطعَن فِيه عَليه."[5] ثمَّ أتبَع البَارودِي نَسيبَه بِذِكر رَسول الله ومَدحِه مُتتبِعا حَياته مُتابَعة دِينيَّة تاريخيَّة مُرتَّبة –خَاصَّة ما يَتعلّق بالغَزوات والسَّرايا– كمَا وردَت فِي كُتبِ السِّيرة ابتِداءً

---

[1]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، ص03.

[2]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص142.

[3]– **النّسيب:** وهو رَقيقُ الشِّعْر في النّساءِ؛ ولا يكون إلاَّ فيهن، وهو يجمع بين الغزل والتشبيب الذي يعني تَرْقِيق أَوَّل الشعر بذكر النساءِ، وهو من تَشْبيب النار.

[4]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، ص47.

[5]– محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة:** ص143.

مِن مِيلَاده (ﷺ) إلى غَاية فَتح مَكّة وقُدومِ الوُفود علَيه، ومِن أهمِّ المَواضيع الّتِي أشَار إليها هي:" بَشائر مَولد الرّسول وذِكر أمِّه، حَادِثة شَقِّ الصدر، تنبؤ الرَّاهب بُحَيرا بِنُبوتهِ بَعد رُؤيتهِ للغمَامةِ تُظلِّلُه والشَّجر يَحنو بأغصَانهِ عَليه، خَبر الإسرَاء والمِعرَاج والهِجرة إلى المَدينة، ذِكر مُعجِزة الغَار والحَمام المُعشِّش علَى بَابه، بُلوغُه يَثرِب فِي أمَان وبِناء المَسجد، والمُؤاخَاة بَين المُهاجِرين والأنصَار، ذِكر غَزَوات الرّسول وسَراياه، فَتح مَكَّة وانتِصَار الإسلَام، وقُدوم الوفُود علَى رَسول اللهِ (ﷺ)"[1]، وخَتم البَارودِي قَصِيدته مِثلَما كَان يَفعل المَادِحون قَبله بِالاعتِراف بِذنُوبه والتَّعبِير عَن نَدمِه ورَجائِه فِي المَغفِرة بِجاه رَسول اللهِ وشَفاعتِه قائِلا:

يَا غافِرَ الذَّنــــبِ والأَلبـــــابُ حَائِرةٌ ... فِي الحَشرِ والنّارُ تَرمِي الجوَّ بِالضرمِ

حَاشَا لِفَضلِك وَهُو المُســـتعاذُ بِهِ ... أَلَا تَـــــمُنُّ علَى ذِي خـــــلَّةٍ عدِمِ

إنّي لمُستشفِع بِالمصـــطَفى وكَفَى ... بِهِ شفِيـــــعًا لدَى الأَهـــوَالِ والقُحَمِ

فاقبَـلْ رَجائِي فمَالِي من ألوذُ بِـــهِ ... سِواك فِي كُلِّ ما أخشَاهُ مِـــن فَـــقمِ

وصَلِّ رَبِّ عَلَى المُختَارِ مَا طَـلعت ... شَمسُ النّهارِ ولَاحَت أنجُمُ الظُّـــــلَمِ

والآلِ والصَّحبِ والأَنصَارِ مَن تبِعُوا ... هُدَاهُ واعتَـــــرَفُوا بِالعَـــهدِ والـــذِّممِ

وامنُنْ عَلَى عَبدِك العَانِي بِمَـــغفِرةٍ ... تَمحُو خَطَـــــايَاهُ فِي بدءٍ ومُختَـــــتمِ[2]

وكَثرة هَذِه المَواضِيع وتَعدّدهَا يُؤدِي حَتما إلَى تَعدُّد الأغرَاضِ الشّعرِيّة فِي القَصيدَة الوَاحِدة وتَراوحهَا بَين النَّسيبِ والمَدحِ والفَخرِ والوَصفِ... وتنوُّع أنمَاط كِتابتهَا حسبَ حَاجة كلِّ مَوضوعٍ ومَا يُناسِبه مِن نَمطٍ فِي الكِتابَة (سَرد، وَصف، حِوار، تَوجيه...)، وكُلّ هَذا الكَلام يَنطبِق علَى أغلَب قصَائد المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث وخاصَّة المُطوّلة مِنها، والمَلاحِم الشّعريّة العَديدَة الّتي ظَهرَت آنذَاك.

---

[1]– يُنظَر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص143–144.

[2]– محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، ص48.

الفَصل الرَّابِع:

مُوازنَة بَين هَمزيّة حَسّان بن ثابِت ونَهْج البُردة لأَحمَد شَوقي

1. مـــدخَـــل:

2. مَفـــــهُوم المُـــوازنَـــة وَمبَـــادِئـها:

3. دِراسة قصِيدة هَمزيّة حَسّـــان بـنُ ثابِت:

4. دِراسة قصِيدة نَهج البُردة لأحـمد شَوقي:

5. المُوازنَة بَين القَصيدَتين شَكلًا ومَضمونًا:

مُوازَنَة بَين هَمزيّة حَسّان بن ثابِت وَنَهْج البُردة لأحمَد شَوقي

المَوضوع	
1. مـــدخَـــل:	ص168
2. ماهية المُـــوازنَة الأدبـــيّـــة وشـروطـها:	ص169
2-1. مَفهوم المُـوازنَة لـغة واصـــطلاحا:	
2-2. شـــروط المُـــوازنَـة وأصـــولها:	
2-2-1. شـــروط المُـوازن وصـــفاته:	
2-2-2. شروط صحّـة عمـــليّة المُوازنَة:	
3. دِراسة قصِـــيدة هَمـــزيّة حَسّـــان بـن ثابِت:	ص172
3-1. ملخـص القصِيدة ومناسبة نظـمها:	
3-2. دِراسة القصِيدة من حيث الشّـــكل:	
3-3. دِراسة القصِيدة من حيث المضمون:	
4- دِراسة قصِيدة نـهج البُـــردة لأحـمد شَـــوقي:	ص195
4-1. ملخص القصِيدة ومناسبة نظمـــها:	
4-2. دِراسة القصِيدة من حيث الشّـــكل:	
4-3. دِراسة القصِيدة من حيث المضمون:	
5- المُوازنَة بين القصـــيدتين شـكـلا ومضـمـونا:	ص213
5-1. أوجه التّشـــابه والاختلاف من حيث الشّـــكل:	
5-2. أوجه التّشـــابه والاختِلاف من حيث المضمون:	
5-3. خلاصة المُوازنَة ونقاط التّداخل بين القصـيدتين:	

1. مدخـــل:

اجتهَدنَا فِي هَذا الفَصل الأخِير مِن دِراستنا عَلَى إقَامَة مُوازنَة بَسيطَة بَينَ قَصِيدتَين مُختلفتَين فِي مَدحِ الرَّسول (ﷺ)، للتّحقق –بالدّرجة الأولَى– من مَدى صِحّة خَصائِص المَديح النّبوِي الّتي تَوصّلنا إليهَا في الفَصلَين السّابقين؛ والقصِيدة المَدحيّة الأولَى هي الهَمزيّة –الطَويلة نِسبيا مقارنَة بِبَقيّة قَصائِد عَصر صَدر الإسلَام– المَشهورة بـ: "**عَفت ذَات الأصَابع فالجِوَاء**" لِحَسّان بن ثابِت الأنصَاري؛ الّتي لم يُختلَف في نَسب أبياتِها إليه –رغم تعدّد آراء الدّراسين في التأريخ لها– على غِرار العدِيد من القَصائِد الأخرَى له، وقد آثرنا حَسّاناً علَى بَاقي شُعراء عَصره كَونه أحد مُخضرَمي الشّعر العَربي القَديم من جهة، ولِكَون الرَّسول (ﷺ) اعتمَد عليه كَثيرا في الرّد على أعداءِ الإسلَام إلى درجة أنّه كان يُلقّب بـ: "شاعر الرَّسول"، وأمّا القصِيدة المَدحيّة الأخرى المُختارة من العَصر الحَديث فهي قصِيدة "نَهج البُردة" لأمير الشّعراء "أحمَد شَوقي" الّتي يَفتتِحها بِقوله: "**رِيمٌ عَلَى القَاعِ بيْنَ البَانِ وَالعَلَم**"، وقد وقع اختِيارنَا عَليها بالنّظر إلى شُهرتها، وعَدم طولِها المُفرط مُقارنَة مَع كَثير من قَصائِد ذلك العَصر، وتناسبها مَع مَوضوع بَحثنا، وشُهرة صَاحبها وجودَة أشعَاره، وكَونه أحد مُخضرَمي الشّعر العَربي الحَديث بِجَدارة واستِحقَاق.

وَقبل خَوضنا في تَفاصِيل عَملية المُوازنَة ارتأينا أن نُبيّن مَفهومها لُغة واصطِلاحا، وأن نَستوضِح شُروطها ومَبادئها وصِفات المُوازِن فِيها؛ حتَّى تَكون دِراستنا مُثمرة أكثر، وفي الاتجاه الصّحِيح والسّليم، ثمّ دَرسنا بَعد ذلك كلّ قصِيدة شَكلا ومَضمونا وفق العَناوين (الخَصائص) الّتي تطرّقنا إليها في كلّ عَصر من العُصور، ثمّ أجمَلنا في الأخير مُختلف أوجُه التّشابه والاختِلاف بَين القَصيدَتين لنتأكّد مِن مَدى تحقّق خَصائِص المَديح النّبوي فِيها لِكلّ عَصر خَاصٍ بِها، وقَد كَانت دِراستنا وفق العَناوين الآتية:

2. مَاهِية المُوازنَة الأدبــيّة وشُروطــها:

2-1. مفهوم المُوازنَة لغة واصطلاحا:

المُوازنَة **لغة** في لسَان العَرب لابن مَنظور من "الفِعل (وَزَنَ)؛ وزن الشّيء إذا قدره، وَوازنت بين الشّيئين مُوَازَنةً ووِزانًا، وهذا يُوازِن هَذا إذا كَان على زِنته أو كَان يُحاذيه... والوَزْنُ: رَمْزُ الثِّقَلِ والخِفَّةِ"[1]، وَوَرد في مُعجم مُختار الصّحَاح للرّازي: "ومِنه الحَديث: لَو كَانت الدّنيا تَزِن عِند الله جَناح بَعوضَة؛ أي: تَعدِل وتُساوِي"[2]، وَوَرد في مُعجَم الوَسيط: "وَازَنَ بَينَ الشَّيئَينِ، مُوازَنة، وَوِزانًا: سَاوَى وَعَادَل، والشَيءُ الشَيءَ: سَاوَاه فِي الوَزنِ وَعَادَله، وَقَابَلَه وَحَاذَاه"[3]، أي أنّ المُوازنَة لُغَة مِن المقابَلَة والمُساواة والمُعَادَلَة بين شيئين.

أمّا **اصطِلاحا** فللموازنَة الأدَبيّة تَعريفَات عَديدة تَصُبّ أغلَبها في مَعنى وَاحد مُشترك؛ وَهي عُموما نَوع مِن أنواعِ النّقدِ لِتَمييز الرّديء مِن الجَيّد، وَوَسِيلة مِن الوَسائل النّقديّة والتّاريخيّة لِلفنون والآداب عَامّة، و"هِي دِراسة يتمّ خِلالها المُقارنة بَين عَناصر الأدَب، وفُنونه، وعُصورِه، ورِجالِه بقَصد الإيضَاح والتّرجِيح"[4]، وهي عَمل لَا يَختصُّ به نقَّاد الأدَب فَحَسب؛ "بل يَقوم بِه كلّ القرَّاء عَن قَصد أو عَن غَير قَصدٍ، وَقد ظَهرت المُوازنَة مُبكّرة في تاريخ الأدَب العَربي وبَقِيت تُسايِره على مَرِّ العُصور إلَى اليومِ، وسَتبقى دائماً"[5] في العُصور اللّاحِقة.

---

[1]- محمد بن مكرَّم بن على ابن منظور، **لسان العرب**، مج 15، ص205-206.

2- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصّحاح**، ص300.

[3]- مجمع اللّغة العربية :**المعجم الوسيط**، دار المعارف، مصر، 1973م، ج2، مادة (وزن)، ص1039.

[4]- علي بن أحمد الجرجاني: **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1985م، ص167.

[5]- ينظر.. محمد أبو هداية: **تعريف لفظ الموازنة في اللّغة والاصطلاح**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://abuhedaia.blogspot.com، تاريخ النشر: 23 أكتوبر 2013م، تاريخ الاطلاع: 12 جويلية 2019م.

وقَد كَانت المُوازنَة في الأدَب العَربي في بِداية الأمر سَاذجة في غَالب الأحيَان؛ تتميّز بِطَابع العَفويّة، وأسَاسها الذّوق الفنّي الفِطري التّأثري الّذِي لا يَستنِد كَثيرا إلى قَواعد مَوضوعيّة مُعيّنة، والشّواهِد النّقدِيّة في التُّراث النّقدي العَربي القَديم تُثبت ذلك، إلَّا أنّها تَطوّرت مع الوقت وأضحَت جزءًا من مَنهج المُفاضلة بَين الشّعراءِ وتمييزِ جيّد شِعرهم من رَديئه، وتحدِيد نِقاط الضّعفِ والقوّة فِيه.

وتَعود بِداياتها إلى العَصر الجَاهلي؛ إذ كَثيرا ما كَان العَرب القُدامى يَقومون بِهذا النّشاط عِند الحُكم علَى الشّاعِر أو علَى بَعض شِعره، أو عِند التّنويه بِصَاحبه لما في شِعره من عَناصر الجَودة شَكلا أو مَضمونا، ومَا ورد في كُتب الأدب مِمّا كان يَجري في سوق عُكَاظ مِن مُوازنات قائِمة على المُوازنَة بين بَيتين أو مَقطوعتين مِن الشّعرِ لِشاعرين مُختلفين خَير دليل علَى ذلك؛ حِينما كانت تُضرَب للنّابغة الذّبياني مثلا قُبّة حَمراء مِن جِلد، يأتيه الشّعراء إليها مِن كلّ الأمَاكن يَعرِضون عليه أشعَارهم، فيَحكم عليها، ويميّز جَيّدها مِن رَديئها، ثمّ تَطوّرت هذِه العَمليّة شَيئا فشَيئا عبر مُختلف العُصور – شَأنها في ذلك شَأن النّقد عامّة – حتّى أصبَحت مِقياساً نقديًا يَستند إلى أسسٍ فنيّة ومَوضوعيّة وقواعِد بَلاغيّة وذَوقيّة مُعيّنة.

2-2. شروط المُوازنَة وأصُولها:

يرى الدّكتور زَكي مُبارك فِي كِتابه (المُوازنَة بَين الشّعراء) أنّ "المُوازنَة نَوع مِن النّقد، وضَرب مِن ضُروبِه –كما سَبق الإشارة إليه– تَظهَر بِها وجوه القوّة والضّعف في أسَاليب البَيان؛ وهي تتطلّب قوّة في الأدَب، وبَصرا في مَناحِي العَرب في التّعبِير"[1]، فهي دِراسة يتمّ مِن خِلالها المُقارنة بين عَناصر الأدَب وفُنونه، وعُصوره، ورِجاله بقصد الإيضَاح والتّرجِيح، وحتّى تَكون المُوازنَة صحيحة لا بُدّ أن تتحقّق بَعض الشّروطِ في النّاقِد المُوازِن عامّة، وفي عَملية المُوازنَة في حدّ ذاتِها خَاصّة:

[1]– زكي مبارك: **الموازنة بين الشّعراء**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م، ص09.

2-2-1. شروط المُوازِن وصِفاته:

على النّاقد المُوازن أن يَتوافر له ما يَكفي مِن دِقّة مُلاحظة، ونَزاهة أدبيّة، وخُطّة عِلميّة مَنهجيّة حَتّى تَكون مُوَازنته عَادلة وشَاملة وكَامِلة إلى حَدٍّ ما؛ فيَجب عَليه أن يتّصِف بـ:

1- أن يَكون مُلمًّا بِسيرة كلّ مِمّن يوَازن بينهم، فلِكلّ حَياته الخَاصّة الّتي طَبعت آثاره طَابعاً خَاصاً إذا عَرفها النّاقِد استَطاعَ أن يفسِّر بها ما يُميّزه عن زَميله أو يعرف سَببَ فَضله عَليه في كلّ فُنونه أو في بَعضها .

2- أن يتبيّن النّواحي الّتي اشتَرك فيهَا الأدبَاء أو الآثار الأدَبيّة الّتي اِختلَفوا فيها، ثمّ يَنتقل إلى الأفكَار والأخيلَة والأسَاليب، وإلى المَوضوعَات لِتكون مُوازنَته عَامّة.

3- ولا بُدّ مِن مَعرفة مُبتكرات كلّ واحِد أو سَرِقاته وكَيف أخذَها ومِقدار مَا يُفرّقه عن زَميله، ويَظهر ذلك جَلياً إذا اتّحدتِ المَوضوعات والفنّون الأدبيّة، كما يتّضِح في المُوازنَة بَين العُصور الأدبيّة والتاريخيّة، فلكلٍّ خَوَاصه الّتي تُميّزه وإنْ كانت كلّها قائِمة علَى الأدب وفُنونه ورِجاله، أو علَى العَوامل السِّياسيّة والاجتمَاعِيّة الّتي تُحيل الحَياة وتدفَع الشّعوب إلى طَريق الحَياة أو المَمَات.[1]

وخُلاصة هَذا أنّه "يَجب أن يَصل مَن يَتصدّر لِلمُوازنة بَين الشّعرَاء إلَى دَرجة عُليا فِي فَهم الأدب، وأن يُصبح وله في النّقد حَاسّة فنِيّة تنأى به عمّا يفسد حُكمَه مِن الأهواءِ والأغراضِ الّتِي تَحمل القاصِرين مِن طُلّاب الأدبِ علَى البُعد عَن جَادة الصَّواب... فقد نَجد من النَّاس مَن يَطرب للشّعر؛ لا لأنَّه شِعر؛ بل لأنّه طَرق مَوضوعا يُحبّه، وكَشف عَن معنى تَميل نَفسه إليه، وَقد لَا يَكون مَا سَمِعه أو قَرأه

[1]- ينظر.. محمد أبو هداية: **تعريف لفظ الموازنة في اللّغة والاصطلاح**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://abuhedaia.blogspot.com، تاريخ الاطلاع: 12 جانفي 2019م.

جَميلًا من الوِجهة الفنيّة"[1]، وهنا مِن غير المَعقول أن نَجزم قَطعًا على حُسن ما استحسَنه هذا الشّخص.

2-2-2. شروط صِحّة عَمليّة المُوازنَة:

لا تتحقّق عَملية المُوازنَة بِشكل صَحيح إلّا إذا تَحقّقت مَجموعة مِن الشّروط؛ "وهِي كَثيرة ومُتنوّعة، وَلكنّها جَميعاً تعود إلَى أصلِ واحد؛ وهو أنَّ طَرفي المُوازنَة لا بد أنّ يكون بينهما اتِّفاق مِن ناحية واختلاف مِن ناحِية أخرى، فالأشياء المتّفقة في كلّ شَيء-على فَرض وُجودها- لا مَعنى للموازنة بينها؛ إذ هي شَيء واحِد مُكرّر الصّورة، والأشياء المُختلفة فِي كلّ شَيء-علَى فرض وُجودها- لا مَعنى للمُوازنة بَينها كذلك"[2]، إضَافة إلى هذا؛ لا بدّ أن تكون المُوازنَة الشّعريّة دقيقة مَوضوعيّة ومُنصِفة وِفق خُطّة ومَنهجيّة مُحدّدتين مُسبقا، وأن تتّضح جَليا مِن خِلالها أوجُه التّشابه والاختِلاف بين طرفي المُوازنَة، ولا يتحقّق هذا إلا إذا تحقّقت شُروط وموَاصفات - ولا حَرج إن لَم تتَحقّق بَعضها- النّاقد المُوازِن الّتي أشرنا إليهَا سَابقا.

3- دِراسة قصِيدة هَمزيّة حَسّان بن ثابِت:

دَرسنا في هذا المَبحث هَمزيّة حَسّان بن ثابِت "عَفت ذات الأصَابع فالجواء..." دِراسة بَسيطة من حَيث العَناوين الّتي تطرّقنا إليها في الفَصل الثّاني من الدِراسة فقط لأنّ هَدفنا من دِراستها هو إثبات مَدى تحقّق خَصائص المَديح النّبوي في عَصر صَدر الإسلَام فيها، ولَيس إجراء دِراسة مُعمّقة لها تتطرّق إلى كلّ كَبيرة وصَغيرة فيها، لِذلك لم نَتطرّق إلى الكثير من الجَوانب الصّوتيّة والإيقاعيّة والتّركيبيّة والبنويّة والدلاليّة لها، والّتي قد نَجدها في العَديد من الدّراسَات الّتي أُجرِيت حَولها، وتَجنبا لِلتّكرار والإطَالة دون فَائدة، وتقيّدا بِخطّة رِسالتنا وأهدافِها كَانت دِراستنا لَها كالآتي:

---

[1]- زكي مبارك: **الموازنة بين الشّعراء**، ص10.

[2]- ينظر.. محمد أبو هداية: **تعريف لفظ الموازنة في اللّـغة والاصطلاح**، تاريخ الاطلاع: 12 جويلية 2019م.

3-1. مُلخَّص القصِيدة وَمُناسَبة نَظـمِها:

في العام السّادس من الهِجرة (حَوالي 627م) عُقِد صُلح الحُديبيّة بَين الرَّسول (ﷺ) وبَينَ قُريش، عَلى أَن يَدخلَ المُسلِمون مَكّة المكرّمة للحَج بَعد عَامٍ من ذلك، ولكن قريشًا نقضَت العَهد فجهّز رَسول الله (ﷺ) جَيشا قَويا لِمحَاربة المُشركين وفَتح مكّة، ولأنّ الشّعر كَان فى العُصور القَديمة مِن أهمّ وسَائل الإعلَام العامّة بَين النّاس، فقد نَزل إلى مَيدان الحَرب أيضًا، واستخدَمته الأطراف المُتنازعة فِي الدّفاع عَن نَفسها والردّ على بَعضها البَعض.

واعتمد الرَّسول في هذا الشّأن علَى العَديد من الشّعراء، وَفي هَذه الحَادثَة عَلَى حَسّان بن ثابِت أَكثَر مِن غَيرِه، "فَعَن عَائِشة رَضيَ اللهُ عَنها أَنَّ رَسول الله صلَّى اللهُ عَلَيه وَسلَّم، قَالَ: "**اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ**" **فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ**" **:اهْجُهُمْ**" **فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسّان بْنِ ثابِت، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسّان: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فَقَالَ رَسول اللهِ (ﷺ): "لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي**" **فَأَتَاهُ حَسّان، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسول اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَأَسُلَّـنَّكَ مِنْهُم كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رِضِيَ اللهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ رَسول اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: "هَجَاهُمْ حَسّان فَشَفَى وَاشْتَفَى**[1]" حَيثُ هَجَا حَسّان حِينَهَا قُريشًا، وَأَشَاد بِبُـطولَة المُسلمين مِن المُهاجِرين والأنصَارِ وَبِشَجاعَتهِم، وَأعلَن تَصمِيمَهم عَلَى قِتالِ المُـشرِكين وَفتحِ مَكّة

[1]– رواه مسلم.

مَا لَم تُوافِـق قُريش عَلَى دُخولِها، وَأَدَائِهم العُمرَة، وَردَّ أيضًا عَلَى أَبِي سُفيانَ بن الحَارِث الّذي هَجَا النّبي (ﷺ)، فقَال:

هَجَـوتَ مُحَمّـداً، فَأَجَبْتُ عنهُ وَعِندَ اللهِ فِـــــي ذَاكَ الــجَزَاءُ
أَتَهْجُـوهُ، وَلَـــسْتَ لَهُ بكُـفْءٍ فَشَرُّكُما لِخَـــــــيْرِكُمَا الفِـدَاءُ
هَجَـوتَ مُبَـــاركاً، براً، حَنِيفاً أمينَ اللهِ، شِيمَـــــتُـهُ الوَفَـاءُ
فَمَنْ يَهـجُو رَسول اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمدَحُهُ، وَيَنْـــصُـــرهُ سَـــــواءُ
فَإنّ أبِي وَوَالِـدَهُ وَعِـــــرْضي لِعِرضِ مُحمدٍ مِـــــــنكمْ وِقَـاءُ
فإمّـا تثقَفَنَّ بَـنُو لُـــــــــؤيٍ جُذَيـمَةَ، إنّ قَتْـــــــلَهُمُ شِفَـاءُ
أولَئكَ معشرٌ نصـرُوا عَلـينَا فَـفِـي أظفَارِنَا مِنـــــهُمْ دِمَـــاءُ
وَحِلْفُ الحَارِثِ بْن أَبِي ضِـرَارٍ وَحِلْفُ قُرَيْظَةٍ مِنّـــــــا بَـــرَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيبَ فِيـــهِ وَبَحْرِي لَا تُكَـــــــدِّرُهُ الّـــدِلَاءُ [1]

وتُعتَبَر هَمزيّة حَسّان بنُ ثابِت هَذِه مِنْ أُولَى قَصائِدِهِ وجيّدِهَا فِي مَدح رَسول اللهِ (ﷺ)، حَيثُ هَجَا فيهَا أبا سُفيانَ علَى الطَرَائقِ الجَاهِليّة، مُفتتحًا إيَاهَا بِمطلَع تَقلِيديّ –عَلَى الأرجَح أنّهُ قِيلَ قَبلَ فَتحِ مَكّة– يَقُولُ فِيه:

عَفت ذاتُ الأصَابع فَالجِـواءُ إلَى عَـذْراءَ مَنـزِلُـهَا خَـــلاءُ
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيـــهَا الرَّوَامِـسُ والسَّـمَاءُ [2]

وَقد اختلَف الدّارِسُون فِي تأرِيخِ نَظمِها بِالنّظرِ إلَى أسلُوبِ حَسّان فِي عَرضِهَا، وَخَاصّة حِينَ تَصوِيرِه لِلَوحَةِ الخَمرِ وَصُورَتها المُحبَّبة الوَارِدَة فِي القصِيدة، وَكَذا البَـيت الّذي يَقولُ فِيه:

[1] – حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص17 إلى ص21.
[2] – نفسه، ص17–18.

فإمّا تُعـرِضُـوا عنا اعتَمَـرنَا وَكَانَ الفَتـحُ وانكَشَـفَ الغِطَاء[1]

وَهُو بَيت قَد يُفهَم مِنهُ أنّ القصِيدة لَم تُقَل فِي الفتحِ، وَإنّمَا فِي وَقت سَابق حِين خَرجَ الرَّسول (ﷺ) مُعتمرًا لَا فَاتحًا، وَيُضَاف إلَى كُلّ هَذا احتِمال "أنّ أبَا سُفيان كَان قَد أسلَم قَبل الفتحِ"[2]، فَكيفَ جَاز لحَسّان أن يَهجُوه بَعد إسلَامِه؟ وَتتلخّص آراءُ الدّارِسِين حَولَ تَأريخ القصِيدة فِي ثلاثة اتجَاهَات متباينة؛ أولُها أنّها قصِيدة جَاهليّة إسلاميّـة، وثانيها أنّها قصِيدة إسلَاميّة قِيلَت قبلَ الفتحِ؛ وثالثها أنّها قصِيدة إسلاميّة قِيلَت يَومَ الفتحِ.[3]

وَخلَاصَة هَذِه الآراء أنّها "قصِيدة نُظِمت أبياتُها الأولَى فِي الجَاهِلية؛ إذ نَجِد حَسّانا يَذكُر فِيها المَواضعِ الّتي كَانَ يتردّدُ عليهَا في بِلاَدِ الشّامِ لِمَدحِ أمراءِ بنِي غسّانَ، كَما تَمدّحَ فيهَا بِشُربه للخَمر، وأمّا الجزء الإسلَاميّ مِنها فَيَبدو أنّه نُظِم أيضا علَى فتـراتٍ، فمنها أبيَات تدلّ على أنّها قِيلت قبلَ فتحِ مَكّة، وأبيَات أخرَى بِمناسَبة ذلِك الفتح"[4]، وما يُهمِنا أكثر فِي دِراستنا هذه هوَ أنّ أبياتهَا لحَسّان بن ثابِت، وليسَـت مَوضوعَة أو مَنسوب بَعضها لِغيره من الشّعراء أو ما شَابه ذلك، أمَّا قضيّة التّـأريخ لها فقد فصّل فيها الكثير من الباحثين قديما وحدِيثا، واختلَفوا في ذلِك كثيرا ولا يسعنا فِي هذا المقام أن نخوض فيها.

---

[1]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص19.

[2]– ينظر.. ابن هشام: **السّيرة النّبويّة**، مج2، ص400–401.

[3]– ينظر.. نزيه محمد اعلاوي: **إشكاليّـة تاريخ تأليف همزيّة حسّان وبناؤها الفنّي**، مجلّة دراسات، العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة البلقاء التطبيقيّة، الأردن، مج33، ع2، 2006م، ص255.

[4]– محمود علي مكي: **المدائح النّبوي**، ص13–14.

3-2. دِراسة القصِيدة من حيث الشّـكل:

3-2-1. وَزن القصِيدة وبَحرُها:

نُظمَت هذه القصِيدة على تفعيلَات وَزنٍ من أوزان البُحور الطّويلة، وهو "**بَحر الوافر**" الّذي تفعيلَاته الأصلِيّة هِي: **(مُفَاعَلَتُن مُفَاعَلَتُن)** لِكلّ شَطر، وهُو بَحر -كما سَبق وأن أشَرنا- من "أليَنُ البُحور يشتدّ إذا شَدَدته، ويَرِقّ إذا رقّقته، وأكثَر ما يَجُود بِه النّظم في الفَخر كَمُعلَّقة عَمرو بن كَلثوم، وفِيه تَجود المَراثي، ومِنها كَثير في شِعر المتقدّمِين والمُتأخّرين"[1] وهذا مَا يَتوافق مَع مُناسبة نَظم القصِيدة ومَوضوعِها الّذي لم يخلُ من بَعض الفَخر، وللتأكّد من بَحرها نُقَطِّع البَيت الأوّل والثّاني مِنها، يقولُ حَسّان:

عَـفت ذاتُ الأصَـــابع فَالـــجِواءُ إلَى عَـــذراءَ مَنــزلُــها خَـــلاءُ

عَفت ذَاْتُ لْ	**أَصَـاْبِعِ فَلْ**	**جِـــوَاْوُوْ**	**إِلَىْ عَـذْرَاْ**	**ءَ مَنْـزِلُـهَاْ**	**خَـلَاْوُوْ**
0 /0/ 0//	0/ //0//	0/0//	0// 0/0/	0///0//	0/0//
مَفَاعِيلُن	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُن	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ

دِيَارٌ مِـنْ بَنــي الحَســحَاسِ قَـــــفْـرٌ تُعـفِّـيـها الـرَّوامِـسُ والسَّـــمَـاءُ

دِيَـاْرُنْ مِنْ	**بَنِـ لْحَسْـحَاْ**	**سِ قَـفْرُنْ**	**تُعَفْفِيْهَ رْ**	**رَوَاْمِسُ وَسْ**	**سَـمَـاْءُو**
0/ 0/0//	0/ 0/0//	0/0//	0// 0/0/	0///0//	0/0//
مَفَاعِيلُن	مُفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُن	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ

ونلاحِظ جَليا في هذين البَيتين أنّ التّفعِيلة الأولَى مِن كلّ شَطر بَيتٍ شِعريّ (والتّفعيلة الثّانية من الشّطر الأوّل للبَيت الثّاني) تَحوّلت إلى (مَفَاعِيلُنْ //0/0/0) وذلِك بِسبَب تَسكين الحَرف الخَامس المُتحرّك مِن التّفعيلة الأصلِيّة (مُفَاعَلَتُنْ //0///0)،

[1]- تأليف جماعة من الأساتذة: **الأسلوب الصّحيح في البلاغة والعروض**، ص115.

ويُعرَف هَذا في عِلم العَروض والقافية بزِحاف العَصْب وهو زِحاف حسنٌ وكثير الورود في الشّعر العَربي، ونلاحِظ أيضا تَحوّل تفعيلتي الضّرب والعَروض من (مُفَاعَلَتُنْ) إلى (فَعُولُنْ) وهي علّة بالنّقص؛ وتُسمَى علّة القَطف، وعِبارة عَن: (عَصْب + حَذْف) وهي عِلّة طَبيعيَّة كَثيرة الورود في هَذا البَحر، وَوُرُود الزِحافات والعِلَل من بِداية القصِيدة وتنوّعها –الأكيد على الأرجح– إلى نهَايتها لَه دَور هَام في تَوسيع مَجَال الاستعمَالات اللّغويّة للشّاعر وتَنويع ألفاظِه ومُفرداتِه الشّعريّة.

3-2-2. دِراسة القافية والرّوي والتّصريع:

للقافية أهميّة بالِغة ومتأصّلَة في الإيقَاع المُوسيقي الخارجِي للقصِيدة مُنذ وُجود الشّعر، "فإذا جَهِلها الشّاعِر ضَعُف رَصفُه، وتَهلهَل نَسجُه، واختلّ نَظمُه"[1] ولولَاها لفُقِد جانبٌ كبيرٌ من التأثير والجَمال الموسيقي للقصِيدة عَامّة، فَهي تعملُ كَمُنبّه صَوتِيٍّ وضَربة نَاقوس تُنبئ السّامع بِانتهاء دلَالة مُعيّنة أو فِكرة مُعيّنة، وتُشــعِر المتلَقي عَامّة بِامتداد النّغم المُوسيقي للقصِيدة وَوِحدته، ممّا يجذِب انتباهه ويشدّ فِكره إلى مُحاولَة فَهم مَعاني القصِيدة ومَضَامينها ومُرَاد صَاحِبها مِنها.

وقَد اعتمد حَسّان بن ثابِت في قَصيدَته هذِه قافية مُطلَقة مُنتهِية بِروي الهَمزة مَسبوقا بألف مَدّ في كلّ أبياتِ القصِيدة دُون استِثناء حَيث جَاء البَيت الأوّل مُصرَّعا، وهذا دليل علَى التقيّد الصّارم لحَسّان بنِظام القصِيدة الشّعريّة آنذاك، ويَتلَاءم رَوِي الهَمزة مع طَبيعة المَوقف الّذِي كان فيه حَسّان ومن معه، ذلك الموقف الّذي يتطلّب نبرة ختاميّة مؤثّرة، وشدّة وقوّة في أسلُوب الخِطاب، وهو مَا يتلَاءم مَع خَصَائص رَوِيّ الهَمزة –الّذِي يُعتبر مِن أكثرِ حُروف الرّوي تَداولا في الشّعر العَربي القَديم– الّتي

[1]– أبو الحسن علي بن عثمان الاربلي (ت670هـ): **كتاب القــوافي**، تح/ عبد المحسن فراج القحطاني، الشركة العربية للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1997م، ص77.

"وُصِفت بأنّها أكثرُ الصّوامِت شِدّة"[1] وصُعوبة في النّطق، وهو مَا يُعطي الإيقَاع الخَارجِي شِدّة وغِلظة تَتناسَب ومَوقف الحُزن والأسى الّذِي يتطلّب إفراغَ ما يَجول في الخَاطر مِن عَواطِف وأحَاسِيس حِين تذكر الأطلَال والدّيار والحَبيبة مِن جِهة، ومَوقف الاعتِزاز والافتِخار والقوّة حِينما يَهجو أبا سُفيان وأهلَ قُرَيش، ويَمدح المُسلمين ورَسول الله (ﷺ) مِن جِهة ثانية.

3-2-3. ظَاهرة التّوازي وتَـوَلُّدُ الـتّكرار عنهَا:

تحقّقت ظاهرة التّوازي في هَمزيّة حَسّان بن ثابِت في العَديد مِن المَواضِع، ومِن أوضَحِها وأهمّها مَثلا قوله:

وكانَـتْ لا يَـزَالُ بِهَا أنِيـــــسٌ خِلال مُرُوجِـهَا نَعَـــمٌ وَشَـاءُ
فَدَعْ هذا، وَلَـكن مَنْ لِطَـــيفٍ يُؤَرّقُني إذا ذَهَـــبَ العِشـــاءُ
لشَـــعثاءَ الّتي قـدْ تيَّـــمتهُ فليسَ لقلـبهِ منـــها شـــفاءُ
كَأنّ سَبِـــيئَةً مِن بَيْـــتِ رَأسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَـــلٌ وَمَـاءُ
عَلَى أنْيَابِهَا، أوْ طَـعْمَ غَـضٍّ منَ التّفاحِ هَصْـــرهُ الجَنـاءُ
إذا مَا الأشربـــاتُ ذُكرنَ يـوماً فَهُنّ لِطَيّـــبِ الـــرَّاحِ الفِـــدَاءُ
نُوَلّيـهَا المَـــلامَةَ، إنْ أَلَمْـــنَا إذا مـــا كـانَ مَـغْثٌ أو لِحـاءُ[2]

ونلاحِظ في هذه الأبيَات تَحقّق التّوازي العَمودِي بَين نِهاية الشّطر الثّانِي مِن الأبيات: الأوّل والرّابع والسّابع –أي بين كلّ بيتين متتاليين– من خِلال توافُق طَبيعَة الكَلمات المُسطَّر تَحتها بِخط: **(نَعَـــمٌ وَشَـاءُ، عَسَـــلٌ وَمَـاءُ، مَـغْثٌ أو لِحـاءُ)**، فكلّ مِنها عِبارة عَن اسم نَكِرة مُنوَّن (نَعَم، عَسَل، مَغث) ثمّ حَرف عَطف (الواو، أو) ثمّ اسم مَعطوف نَكِرة أيضا (شاء، ماء، لِحاء)، وهذا التّماثل مِن حَيث التّركيب يُسهم حَتما

[1]– علي زويّن: **مباحث في اللّغة وعلم اللّغة**، بيت الحكمة، بغداد، العراق، ط1، 2012م، ص139.
[2]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص18.

في التأثير علَى المتلقِي ويَجعله يَنتظر تِكرار ذلِك التّركيب النّحوي مَرّة أخرَى، ومِن المَواضِع الّتي ورد فِيها التّوازي العَمودِي بِشكل واضِح أيضا قَول حَسّان:

وَقَالَ اللَّهُ: قَد أرسَـــلْتُ عَبْداً يقولُ الحَقَّ إنْ نفَــعَ البَـــــلاءُ

شَهِدْتُ بِهِ، فَقُـومُوا صَـدِّقُوهُ! فقلتمْ: لا نقـــومُ ولا نشـــــاءُ

وَقَالَ اللَّهُ: قَد يَسَّــرْتُ جُـنْداً همُ الأنصَارُ، عُـرْضَتُها اللّــقَاءُ[1]

وتحقّق التّوازي العَمودِي في هذه الأبيَات مِن خِلال التّماثُل النّحوِي للشّطر الأوّل مِن البيتين الأوّل والثّـالِث وفق الجَدول الآتي:

البنية التركيبيّة للشّطر الأوّل من البيت الأوّل	البنية التركيبيّة للشّطر الأوّل من البيت الثّالث	طبيعة الكلمات نحويا
الواو (و)	الواو (و)	حرف عطف
قال	قال	فعل ماض
اللَّهُ	اللَّهُ	لفظ جلالة فاعـل مرفوع
قد	قد	حرف تحقيق
أرسَلْتُ	يَسَّـرتُ	فعل مضارع متصل بضمير
عَبْداً	جُنْداً	مفعول به

ومِن خِلال هذا الجَدول نلاحِظ فِعلا التّماثل البنوي النّحوي الحَاصِل بين الشّطرين رغمَ اختِلاف معناهما، حَيث ترتّب عَنه تِكرار بَعض الحُروف والكَلِمات (حَرف الواو، الفعل: قال، والفاعل: لفظ الجَلالة "الله")، ونلاحِظ في هذِه الأبيَات أيضًا تَحقّق التّوازي الأفقي جُزئيا في الشّطر الثّـاني من البيت الثّـاني من خِلال قَول حَسّان:

شَهِدْتُ بِهِ، فَقُـومُوا صَـدِّقُوهُ! فقلتمْ: لا نقـــومُ ولا نشـــــاءُ

[1]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري** ، ص20.

فنلاحِظ أن: **(لَا نَقوم = لَا نَشاء)** من حَيث تركيبهمَا النّحوي، فَكِلاهما عِبارة عَن: "لا" النّافية ثمّ يَليها فِعل مُضارع بِصيغة الجَماعة، ولو دقّقنا قليلا في الشّطر الأوّل أيضًا فإنّنا نلاحِظ شِبه تماثل في قوله: **(فقوموا صدّقوه)** فكِلاهما عِبارة عن: فِعل أمر فِي صِيغة الجَماعة متّصل بِواو الجَماعة عَدا الفعل "قوموا" فإنّه مَسبوق بِحَرف الفاء وغير متّصِل بالهاء فِي نِهايته، فَرغمَ الاختِلاف بَينَهما إلّا أنّنا نَشعر بِذلك التّماثل بَينهما الّذي يُحقّق بِدَوره شِبه تَوازٍ بَينهما.

ونجِد مثل هذا التّوازيَات بِطريقة مُشابِهة في قول حسّان:

هَجَوتَ مُحَمّداً، فَأَجَبْتُ عنهُ وَعِندَ اللهِ فِـــــي ذَاكَ الــجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ، وَلَـــسْتَ لَهُ بـكُفْءٍ فَشَـرُّكُما لِخَـــــــيرِكُمَا الفِـدَاءُ

هَجَوتَ مُبَــاركاً، بَــرًّا، حَنِيفاً أمـينَ اللهِ، شِيمَـــــتُهُ الوَفَــاءُ[1]

وتحقّق التّوازي العَمودي في هذِه الأبيات بَين بِدايتي الشّطر الأوّل من البَيتين الأوّل والثّالث، والتّوازي الأفقي جُزئيا في الشّطرِ الثّاني مِن البَيت الثّاني، ونُلخّص هذِه التّوازيات في الجَدولين الآتيين:

أ- التّوازي العمودي:

البنية التّركيبيّة الأولى	البنية التّركيبيّة الثّانية	البنية النّحويّة
هَجَوْ	**هَجَوْ**	**فعل ماض مـبني على السّكون لاتصاله بالتّاء المتحرّكة**
ضمير متّصل (التاء)	**ضمير متّصل (التاء)**	**ضمير متّصل في محل رفع فاعل**
محمّدا	**مباركا**	**مفعول به منصوب**

[1]- حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص20.

ب- التّوازي الأفقي (الجزئي):

البنية التركيبيّة للشّطر الأوّل من البيت الأوّل	البنية التركيبيّة للشّطر الثّاني من البيت الثّالث	طبيعة الكلمات
الفاء (فـ)	اللام (لـ)	حروف
شرّكما	خيركما	اسم مضاف متصل بضمير

ونلاحِظ جليا في جَميع هذِه التّوازيات التّركيبيّة النّحويّة -إضافَة إلى وَظيفَتها في التأثِير علَى المتلقي وَجَذبه، وتَحقيق انتِظام إيقاعِ الأبيَات الوارِدة فِيهَا وَوَزنها- أنّه قد تولّد عَنها تكرار بَعض الكَلمات والحُروف مِثل: حَرف العَطف "الواو"، الفِعل "قال"، لَفظ الجَلالة "الله"، حَرف "قد"، لا النّافية... إلخ

ونَحن نتحدّث عَن ظاهِرة التّكرار لَفت انتِباهنا أيضًا تِكرار حَرف السّين مثلا أربَع مرّات في البَيت الثّاني من القصِيدة الّذي يقول فِيه حَسّان:

دِيَارٌ مِنْ بَنــي الحَســحَاسِ قَـــفْـرٌ تُعـفِّـيها الـرَّوامِـسُ والسَّـــمَـاءُ[1]

ومَعروف أنّ حَرف السّين صَوت مَهموس مِن "الأصوَات المَهموسَة في اللّغة العَربية كَما تُنطَق اليوم؛ وَهي اثنا عَشر صَوتا هي: **ح، ث، هـ، ش، خ، ص، ف، س، ك، ت، ق، ط** "[2]، يتلَاءم ومَشاعر الحُزن والانكِسار، وهو ما يَتوافَق مَع طَبيعة الموقف الّذي كان فيه حَسّان، وهُدوء الصّحراء وسُكونها ومَشاعِر الحُزن عِند الوقوف على الأطلَال،

وخِتاما؛ تُثبِت لنا كلّ الأمثِلة الّتي أشَرنا إليها في هذا المَبحث خَاصّية وُرُود واعتِماد ظَاهرة التّوازي في المَدائِح النّبويّة في عَصر صَدر الإسلَام، حَيث يَتولّد عَنها في غَالب الأحيَان تِكرار بَعض الحُروف والكلِمات.

---

[1]- حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص18.

[2]- كمال بشر: **علم الأصوات**، دار غريب، القاهرة، مصر، 2000م، ص174.

3-2-4. الأبيات المَخصُوصَة بِمَدح الرَّسول وقِصَر القصِيدة أو طولها:

تميّزت قصِيدة حَسّان بن ثابِت "عَفت ذَات الأصَابع..." بِقصَرها الشّديد مِن حَيث الطُول والقِصر مُقارنة بِالقَصائِد المُطَوّلة آنذاك الّتي يَتجاوَز عَدد أبيَاتها مِئات الأبيَات الشّعريّة، ومُقارنَة بقَصائِد المَديح النّبوي المُطوَّلة فِي العَصر الحَديثِ الّتي يَتجاوز عَدَد أبيَاتها آلاف الأبياتِ أحيَانا حِينما يَتعلَّق الأمر بالمَلاحِم الشّعريّة النّبوِيّة -كَما سَبق وأَن أشَرنا في أكثرَ مِن مَوضِع-، فعَددُ أبيَات هَمزيّة حَسّان لا يَتجاوز (32) بيتا شِعريا، لا يتجاوز فيها عدد الأبيات الخاصّة بِمَدح رَسول الله (ﷺ) والجُزء الإسلَامي مِنها عامّة (13) بيتا على الأكثَر، وهِي:

وَجِبـــرِيلٌ رَسول اللّـَهِ فِيـــــنَا	وَرُوحُ الـقُـدسِ لَيْسَ لَـــهُ كِفَـاءُ
وَقَـالَ اللَّهُ: قَـــدْ أرْسَـــلْتُ عَـبداً	يقــولُ الحقَّ إنْ نفــعَ البـــــلاءُ
شَهِـدْتُ بِهِ، فَقُـومُـــــوا صَـدِّقُوهُ!	فـقُـلـتمْ: لا نـقــومُ ولا نـشـــــاءُ
وَقَـالَ اللَّـهُ: قَـــــد يَسّـرْتُ جُنْداً	هــمُ الأنـصَارُ، عُـرْضَـتُها اللّــقَاءُ
لَنَـا فِـي كُــلّ يَـــومٍ مِـــن مَعَدٍّ	سِبـــابٌ، أوْ قِـتَـالٌ، أوْ هِجَـــاءُ
فَنَحـكُـــمُ بالقَـوَافِـي منْ هَـجَانَا	ونـضـــربُ حِيـنَ تخـتلطُ الدمَـــاءُ
أَلَا أبـلِغْ أبَـا سُـــفيَـــانَ عنّـــي	فَأنتَ مُـــجَـــوَّفٌ نَـخِبٌ هــوَاءُ
بِأنَّ سُيُـــوفِـنَا تَـــركَـــتكَ عَبـدًا	وَعَبـــدُ الـــدَار سَادَتُـها الإمَـاء
هَجَـــوتَ مُحَـــمّـداً، فَأجَـبْتُ عنهُ	وَعِنـــدَ اللهِ فِـــــي ذَاكَ الـجَـــزَاءُ
أتَهـــجُوهُ، وَلَـــسْتَ لَـــهُ بكُـفْءٍ	فَشَـــرُّكُما لِـخَـــــــيرِكُمَا الـــفِـدَاءُ
هَجَوتَ مُبَـــاركاً، بـــــراً، حَنِيفاً	أمينَ اللهِ، شِيمَـــــتُهُ الـــــوَفَـاءُ
فَمَنْ يَهْجُـــو رَســـول اللَّهِ مِنكُمْ	وَيَمـدَحُـهُ، وَيَـــنـــصُـرهُ سَـــواءُ
فَإنّ أبِـي وَوَالـــــدَهُ وَعِـــرْضِـي	لِعِرضِ مُحمّـــدٍ مِـــــنكـمْ وِقَـاءُ[1]

[1]- حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصَاري**، ص19-20.

والمتأمّل في هذه الأبيَات –كلٌّ علَى حِدى– لا يُدرك أنّها في مَدح رَسول الله (ﷺ) إلّا إذا قَرأها كلّها، لأنّ كَثيرا مِنها يتضمّن تهديدا لأعدَاء الإسلَام وقليل مِنها فقَط يَتضمّن بَعض الثّناء المُباشر علَى رَسول الله (ﷺ)، وقد أشَار الدّكتور مَحمُود عَلِي مكّي في كِتابه "المَدائِح النّبويّة" إلى عَشرة أبيَات فقط –تختلف في تَرتيبها عن الأبيَات الّتي ذَكرناها سابقا– على أنّها الجُزء الإسلَامي الّذي يُعبّر عَن مَدح حَسّان بن ثابِت لرَسول الله (ﷺ)، وهي:

وَقَـالَ اللَّهُ: قَـدْ أرْسَـلْتُ عَـبداً ... يقُـولُ الحـقَّ إنْ نفـعَ البـلاءُ
شَهِـدْتُ بِهِ، فَقُـومُـوا صَـدِّقُوهُ! ... فـقُلـتمْ: لا نـقـومُ ولا نـشـاءُ
وَجِبـرِيلٌ رَسـول اللّـهِ فِيـنَا ... وَرُوحُ الـقُـدسِ لَيْسَ لَـهُ كِفَـاءُ
أَلَا أبـلِغْ أبَـا سُـفيَـانَ عنّـي ... فَأنتَ مُـجَـوَّفٌ نَـخِبٌ هـوَاءُ
بِأنَّ سُيُـوفِـنَا تَـركَـتكَ عَبدًا ... وَعَبـدُ الـدَار سَادَتُـها الإمَـاء
هَجَـوتَ مُحَـمّداً، فَأجَـبْتُ عنهُ ... وَعِنـدَ اللهِ فِـي ذَاكَ الـجَـزَاءُ
أتَـهـجُوهُ، وَلَـسْتَ لَـهُ بكُـفْءٍ ... فَشَـرُّكُما لِـخَـيْرِكُمَا الـفِـدَاءُ
هَـجَوتَ مُبَـاركاً، بـراً، حَنِيفاً ... أمينَ اللهِ، شِيمَـتُهُ الـوَفَـاءُ
أَ مَـنْ يَهْـجُو رَسـول اللَّهِ مِنكُمْ ... وَيَمـدَحُهُ، وَيَـنـصُـرهُ سَـواءُ
فَـإنّ أبِـي وَوَالِـدَهُ وَعِـرْضِـي ... لِعِرضِ مُحمّـدٍ مـنكـمْ وِقَـاءُ[1]

وعقّب مَحمود علي مَكّي علَى هذِه الأبيَات "أنّ المَديح لَا يَحتلّ فِيها إلَّا مَكانا ضَئيلا، ومُعظمهَا لا تكَاد تَختلِف في مَعانيها وصِياغتهَا عَن الشّعر الجَاهلِي عَدا بَعض المَعاني الإسلَاميّة مِثل إشارتِه إلى جِبريل ورُوح القُدس أو إشَادتِه بِبَعض صِفات رَسول الله"[2] صلّى الله علَيه وسلَّم.

[1]– ينظر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص14.
[2]– نفسه، الصفحة نفسها.

3-2-5. عُنوان القصِيدة بين الحُضور والغِياب:

وَرَدت قصِيدة "عَفت ذَات الأَصَابع فالجِواء" في مُقدمّة قَصائِد قافية الألِف مِن دِيوان حَسّان بن ثابِت الّذي اعتمَدناه تَحت عُنوان: "**كانَ الفتح وانكشَفَ الغِطَاء**"[1]؛ وهو الشّطر الثّاني مِن البَيت الرّابع عَشر الّذي يَقول فِيه حَسّان:

فإمّا تُعــرِضُوا عنّا اعتَــمَرنَا وكَـانَ الفَتــحُ، وانْكَشَفَ الغِطــاءُ[2]

وهذا العُنوان في الحَقـيقة غير مُتداول كَثيرا بين الدّارسين وبَين عَامّة النّاس، وفي مَواقع الأنترنت، لأنَّ العُنوان الأكثر شُهرة وتداولا هو هَمزيّة حَسّان "**عَفت ذَات الأَصَابع فالجواء**"، وهو مأخوذ -بطبيعة الحَال- من الشّطر الأوّل من البَيت الأوّل للقصِيدة:

عَفت ذَاتُ الأَصَابع فـالــجــواءُ إلَــى عَــذرَاءَ مَنــزِلــهَا خَــلاءُ[3]

وكلٌّ مِن هَذين العنوانين يَستمدان مُحتوياتهمَا الدّلاليّة وقوّتهمَا التّعبيريّة من المَنطقة دَاخل النّصيّة للقصِيدة (بنية نصيّة مأخوذة من أحد أبيات القصِيدة)، وله علاقة بسياق القصِيدة ومُناسبتها-ولو بِوجه مِن الأوجه- وخاصّة عُنوان "**كان الفتح وانكشف الغطاء**" الّذي له عَلاقة بِفتح مَكّة، أي لَه عَلاقة بِشيء مِن المَنطقة خَارج النّصيّة للقصِيدة (مناسبتها)، ليصبحَ بعد ذلك "مفتاحا منتجا دالا ليس على مستوى البِناء الخَارجي لِلعمل فَقط بل يمتدُّ إلى البنى العَمِيقة ويَستفزّ فَواصِله ويدفَع السّلطة الثّلاثيّة (**المُبدع - النّص - المُتلقي**) إلى إعـادَة إنتاجٍ تُتـيح لِعوامل النّص الانفِــتاح علَى أكثر مِن قراءة"[4] وتأوِيل وتحلِيل مُختلِف.

---

[1]- حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصَاري**، ص17.

[2]- نفسه، ص19.

[3]- نفسه، ص17.

[4]- يُنظَر: إبراهيم بادي: **دلالة العنوان وأبعاده في "موتة الرّجل الأخير"**، مجلة المدى، دمشق، سوريا، ع 26، 1999م، ص114.

ولكن الإشكاليّة في هذه العناوين –قبل دِراستها والخَوض في دلَالتها وعَلَاقتها بِبنية النّص الشّعري ومُناسَبته وسِياقه ومَا يتعلّق بِصاحِبه– أنّها لَم تُوضَع مِن طَرف صَاحب القصِيدة نفسه، أي أنّنا هنا أمَام غِياب عُنوانها الأصلِي وعدَم وَضعه أسَاسًا، لأنّ العنوان الوَارد في مُختلف طَبعات دِيوان حَسّان مِن وَضْعِ مَن جَمع قَصائِد الشّاعر وحقّقها لتسهيل الوُصول إليها والبَحث عَنها، بل إن بَعض طَبعات الدّيوان لَم تُورِد أيّة عُنوان لَها مُكتفية بإدراجه في مُقدّمة قَصائِد قافية الألِف، وعلَى سَبيل المِثال طَبعةٌ مُصوَّرةٌ (يُمكن تَحميلُها بِسهولَة مِن مَواقِع الأنتَرنَت) صَادَفتنا أثنَاء بَحثِنا؛ صَدَرت بتاريخ: 19 جمادى الثّانية 1331هـ (الموافق لـ 1913م) عن دَار السّعادة؛ إحدَى المَطابِع المصريّة السُنيّة.

وبِناء علَى هذا لا يُمكننا في هذِه الحَالة أن نَحكم علَى مَدى إجادَة الشّاعِر في وَضع عُنوانه وحُسن اختِياره لألفاظِه أو صِياغة أسلوبِه وغَيره ممَّا يُمكن أن يُقال أثنَاء دِراسة عُنوان القَصائِد الشّعريّة، باعتِبار أنَّ العُنوان هُو "المِحور الّذِي يُحدّد هَويّة النّص وتَدور حَولَه الدّلالات وتتعلّق بِه، وهُو بِمكَانَة الرّأسِ مِن الجَسدِ، وَهو فِي أيّ نَصٍّ لَا يأتِي مَجانِيا أو اعتبَاطِيا؛ فَهو لَيس كَالاسمِ فِي الإنسَان الّذِي يُسمى بَعد وِلَادته مُباشرَة حَيث لا يَكون الاسم دَالًّا علَيه كُلّ الدّلَالة"[1]، بَينما الأمر يَختلِف في النّصوصِ الأدبيّةِ والشِّعريّةِ حَيث يَكون للعُنوانِ أهميّة بَالِغة دلَاليا وسِيميائيا وجَمالِيا، بَل أصبَح شِبه صِناعَة –إن صَحّ التّعبِير– في العَصر الحَديث والمُعاصِر، إلى دَرجة أنّنا أحيَانا نُعجَب ونَنجَذِب نَحو العُنوان ولَكنّنا نَصطَدِم بِالمحتَوى الضّعيفِ المُخيِّب لِلظّن، البَعيد عن مُستَوى العُنوان وَرَونقه وألفاظِه المُختارة بِدقّة وعِناية.

[1]– يُنظَر: خليل موسى: **قراءة في شعريّة النّص الرّومانسي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000م، ص16.

3-3. دِراسة القصِيدة مِن حَيث المَضــمُون:

3-3-1. طَابِع القصِيدة ومَدَى صِدق مَشَاعِر صَاحِبهَا ومُغَالَاتِه فِي المَدح:

يَحتاج الحَديث عن طَابع قصِيدة حَسّان "عَفت ذَات الأَصَابع..." إلى التّفصِيل قَلِيلا بالنّظر إلى قَضية التّأريخِ لَها ومُناسبَة نَظمها، فالجُزء المَنظوم قَبل فَتح مَكّة جُزء ذو طَابع جَاهلي بَحتٍ؛ بَعيد عَن الطّابع الدّينيّ الإسلَاميّ الّذي بدأ يَظهر آنذاك، لأنّ الشّاعر لا يَخرج فِيه عَن التقاليد المَوروثة فِي نظم القَصائِد آنذاك حَيث استهلّه بِمقدّمَة طـلَلِيّـة غَزلِيّة وَقَف فِيها علَى بَعض الأطلَال ذاكِرا الدّيار الخَالية **(ذات الأَصَابع، الجوَاء، عَذراء)** مُتحدّثا عَن طَيف مَحبوبَته مُبديا حُبَّه للخَمر.

أمّا الجُزء الإسلَامي الّذي أشَرنا إليه سَابقا أثناء دِراستنا للأبيَات المَخصُوصَة بِمَدحِ الرَّسول وقِصَر القصِيدة أو طولِها فَهو الّذي يَظهر فِيه الطَّابع الدّيني مِن خِلال بَعض المَعاني الإسلَامية بِشكل وَاضِح إلى حدٍّ ما، بِسبَب ذِكر الشّاعِر لِبعضِ الألفاظ الدّينيّة –الجَديدَة آنذاك– أثناء مَدحِه لِرَسول الله (ﷺ) وإشادَتِه بالمُسلمين الفاتِحينَ، وخاصّة كلِمات: **(جبريل، رَسول الله، رُوح القُدس، الجَزاء)** الّتي ظَهرَت مِن خِلال الأبيَات الّتي يَقول فيها حَسّان:

وَقَــالَ اللَّهُ: قَــدْ أرْسَــلْتُ عَـبداً ... يقــولُ الحـقَّ إنْ نفــعَ البــــلاءُ
شَهِـدْتُ بِهِ، فَقُـومُـــا صَـدِّقُوهُ! ... فـقُـلـتمْ: لا نـقــومُ ولا نـشـــاءُ
وَجِبــــرِيلٌ رَسـول اللّـهِ فِيـــنَا ... وَرُوحُ الــقُــدسِ لَيْسَ لَــهُ كِفَــاءُ
أَلَا أبـلِـغْ أبَـا سُـــفيَـــانَ عنّـــي ... فَأنتَ مُـــجَـــوَّفٌ نَـخِبٌ هــوَاءُ
بِأنَّ سُيُـــوفِـنَا تَــركَـــتكَ عَبـدًا ... وَعَبــدُ الــــدَار سَادَتُـها الإمَــاء
هَجَـــوتَ مُحَـــمّـداً، فَأجَـبْتُ عنهُ ... وَعِنـــدَ اللهِ فِـــي ذَاكَ الــجَــزَاءُ
أتَـهـــجُوهُ، وَلَـــسْتَ لَـــهُ بكُـفْءٍ ... فَشَـــرُّكُما لِـخَـــــيْرِكُمَا الــفِـدَاءُ
هَـجَوتَ مُبَـــاركاً، بـــــراً، حَنِيفاً ... أمينَ اللهِ، شِيمَـــــتُهُ الـــــوَفَـاءُ

أَ مَـنْ يَهْـجُو رَسُـول اللَّهِ مِنكُمْ وَيَمـدَحُهُ، وَيَـنـصُـرهُ سَـواءُ

فَـإنّ أبِـي وَوَالِـدَهُ وَعِـرْضِـي لِعِرضِ مُحمّـدٍ مِـنكـمْ وِقَـاءُ[1]

ففي هذِه الأبيَات نَلتمِس ظُهور الرّوح الإسلَاميّة وبُروزها –ولو بِشكلٍ ضَئيل– فِي أبيَات حَسّان بن ثابِت، بَل هِي الّتِي جَعلت مِنها قصِيدة ذَات طَابع دِيني إسلَامي رَغم أنّها قصِيدة جاهليّة شَكلا ومَضمونًا في مُعظمِها بالدّرجة الأولَى، وأمّا عَاطِفة الشّاعِر فِيها فَهي صَادقة لا مَحَال بَعيدَة عن المُغالَاة في الدّين، لأنّ حَسّانا كانَ "أكبَر شُعراء الرَّسول، يَمتاز بالصّدقِ والإخلَاص"[2] لَه، وكَان في مَوقف واقِعِي عَملِيّ يتطلّبُ مِنه الجِديّة في القولِ والمُواجهة القويّة من جِهة، ولأنّ الرَّسول (ﷺ) كَان يَنهَى عن المُغالاة، ويَدعو إلى مَكارِم الأخلَاق والصّفات، ولَا يَسمح بِمثل تِلك المُغالَطات والشُبهَات والتَّعصّب للدّين والمُغالاة فيه من جهة ثانية.

3-3-2. الوَظِيفَة الدَعَويّة الإرْشَادِيَّة وَقُـوَّة المَعَانِي:

وفِي هَذا العُنوان أيضًا لا يُمكننا أن نَتحدّث عَن الوظِيفة الدَّعويّة الإرشَاديّة فِي الجُزء الجَاهلي مِن القصِيدة بالنّظر إلى خُصوصِيته وبعده عن هذه القضية، أمّا الجزء الإسلَامي منها فلا يخلو من هذه الوظيفة الّتي تميزت بِها المَدائح النّبوِيّة في عَصر صَدر الإسلَام، كَون أنّ الرّسَالة المُحمّديّة كَانت في بِداياتها تَحتاج إلى مَن يدعو إلَى الله واتباع رَسوله وتَصديق رِسالته، فَنجِد مَثلا أنّ حَسّان في هذِه القصِيدة يدعُو إلَى تَصدِيق رَسول الله (ﷺ) بِشكل واضِح وصَريح في قوله:

شَهِـدْتُ بِهِ، فَقُـومُـوا صَـدِّقُوهُ! فَـقُـلـتمْ: لا نـقـومُ ولا نـشـاءُ[3]

---

[1]– ينظر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص14.

[2]– زكي مبارك: **المدائح النّبويّة**، ص27.

[3]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصَاري**، ص17.

فَقَول حَسّان: "شهدت به" تدلّ علَى أنّه صَدّق بِرسالة النّبي (ﷺ) وشَهد أنّه رَسول الله ونبيّه هُو أوّلا، ثمَّ دَعا بَعد ذَلِك أعدَاء الإسلَام قائِلا: "**قومُوا صَدّقوه.**" دَعوةً صَريحةً وَوَاضِحةً إلَى تَصدِيق الرَّسول وعَدَم مُعارَضتِه، وهُنَا بِالذّات يأخُذ هذا البَيت وَظيفَة دَعويّة واضِحة إلى الإسلَام، إلّا أنّ الطّرفَ الآخر قَابلَها بالرّفض والعِنادِ قَائِلا: **(لا نَقُـوم ولا نَـشَاء)** أي "لَا نَقوم لِتصدِيقه ولَا نُريدُه، ولَمّا كَان ذلك قالَ حَسّان:

وَقَـالَ اللَّـهُ: قَـــد يَسّـــرْتُ جُنْداً هـــمُ الأنـصَارُ، عُرْضَتُها اللّـــقَاءُ

ويعني هذا البَيت أنّهُم لَمّا عَاندوا ولَم يُصدّقوا بِالرَّسول (ﷺ) نَصرَه الله بالأنصَار"[1]، وإذا مَا حَاولنا أن نُقيّم البَيت الشّعرِي السّابق مِن حَيث حُسنِ نَظمِه، وَجودَة سَبكه وقـوّة مَعانِيه فإنّنا يُمكُن أن نَحكم بالإيجَاب لِصَالح حَسّان، ذلِك أنّ هَذا البيت يَحتوي علَى شِبه تَوازِيَين أفقيَين – وقد سَبق شَرحُهما في مَبحث دِراسة ظَاهرة التّوازي للقصِيدة– زَادَاه جَمالا وَرَونقا وقُـوّة في السّبك والنّظم والمَعنى، وذَلك مِن خِلال التّماثل النّحوِي الحَاصِل فِي نِهاية كلّ شَطرٍ مِن البَيت؛ بَين الفِعلَين: **(قومُوا)** وَ**(صَدّقوه)** في الشّطرِ الأوّل، وبَين الفِعلَين المُضارِعين المَنفِيين: **(لا نَقوم)** وَ**(لا نَشاء)** في الشّطر الثّاني مِن البَيت الشّعري.

والحَديث عن قُـوّة المَعاني وحُسن نَظم وسَبك أبيات هذِه القصِيدة، وصُورِها البَيانيّة والشّعريّة ومُحسّناتِها البَديعيّة وأسَالِيبها التّعبيريّة (الّتي كَانت مُتقنة ومُتنوّعة بِسَبب تعدّد أغرَاض القصِيدة ومَوضوعَاتها وتمكّن الشّاعر وإجَادته) أمرٌ يَطول كَثيرا جِدّا ولا يَخدم بَحثنا كَثيرا، ولَا يَسعنا في هَذا المَقام أن نتطرّق إليهَا بالتّفصِيل –وقد أشرنا إلى هَذا سَابقا– لأنَّ الأمرَ الأكيد أنّ حَسّانا بن ثابِت قد أجَاد فِي قَصيدَته هذِه؛ وكيفَ لَا؟ وَهو مِن مُخضرَمي الشّعرِ العَربي القَديم ومُجِيدِيه.

---

[1]– مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، شر/ محمد بن خليفة الوشتاني وَ: محمّد بن محمّد بن يوسف السنوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج8، ص402.

3-3-3. الاقتباسُ منَ القرآنِ الكَريمِ والسنّـةِ النّبويّة:

المتأمّل قليلًا في هَمزية حَسّان بن ثابِت الّتي بَين أيدِينا يُدرك أنّ الاقتِباس مِن القرآن الكَريم والسّنّة النّبويّة فيهَا يَكاد يكونُ مُنعدِما، ولَعلّ ذلِك راجِع لِسبَبٍ أو سبَبَين رَئيسيَين؛ أوّلُهما أنّ "هَمزيّة حَسّان هذِه مِن أُولَى قَصائِده في مَدح رَسول الله (ﷺ)"[1]، والأمر الثّاني أنّها قِيلت علَى فَتراتٍ والجُزء الّذِي تَظهَر فِيه الرّوح الإسلَاميّة قَصِير جِدًّا (لا يتعَدى عشرَة أبيات أو 13 بيتا كأقصَى تقدِير) وهوَ الجُزء الّذي يُمكن أن نَتوقّع فِيه اقتباسًا مُعيّـنا من القرآن أو السّنة النّبويّة، وفِعلا، كَان البَيت الوَحيد –على الأرجَح– الّذي اقتبَس فِيه حَسّان من القرآن هو:

وإلّا، فَاصْـــبِروا لِجَـــلَّادِ يَـومٍ يُـعزُّ اللهُ فـيـهِ مَـــــنْ يشـاءُ[2]

فنُلاحِظ أنّ الشّطر الثّاني مِن هذا البَيت الشّعري يَتشابه ويَتقاطع مع جُزء من قوله تعالى في مُحكَم تنزيله: "...**تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاء وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاء وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاء وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاء بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**."[3]، فالقارئ عِندما يقرأ، والسّامع حِينما يسمع الشّطر الثّاني من البَيت قد يَستتمه في ذِهنه بِقوله "يذلّ من يشاء"، لأنّنا عَادة ما نقول في عَاداتنا الكَلاميّة: "يُعزّ من يَشاء ويذِلّ من يَشاء"، وهنا نلتمِس فائدة هذا الاقتباس في التأثير علَى المتلقي، أضِف إلى كلّ هذا أنّ حَسّانا بن ثابِت لم يقلْ هذا البيت هكذا وفقط، بل ربمَا "لِعلمه أنّ الله قد أعزّ دِينه بقوله سُبحانه وتعالى: "**وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسولِهِ وللمُؤمِنينَ**"[4] وغيرِها مِن الآيات"[5].

---

[1]– ينظر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص13.

[2]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص 27.

[3]– سورة آل عمران، الآية: 26.

[4]– سورة المنافقين الآية: 08.

[5]– مسلم بن الحجاج القشيري النّيسابوري: **صحيح مسلم**، ج8، ص402.

3-3-4. الألفَاظ والحَقل المُعجَمِي الدِّينِي:

تعدّدت الألفَاظ والحُقول المُعجميّة في هَمزيّة حَسّان بن ثابِت، وكَان لِلألفاظ الدّينية وَقْع خَاص في الجُزء الإسلَامي من القصِيدة، حَيث شكّلت في مُجملِها حَقلا مُعجمِيا دِينيا واضحًا يُمكن التنبّه إليه بِسهولَة، يقول حَسّان:

وَجِبـــرِيلٌ رَســول اللّـهِ فِيـــــنَا وَرُوحُ الـقُـدسِ لَيْسَ لَـــهُ كِفَـاءُ
وَقَـالَ اللَّهُ: قَـــدْ أرْسَـــلْتُ عَبداً يقــولُ الحقَّ إنْ نفــعَ البـــــلاءُ
شَهِـدْتُ بِهِ، فَقُـومُـــــوا صَـدِّقُوهُ! فـقُـلـتمْ: لا نـقــومُ ولا نـشـــــاءُ
وَقَـالَ اللَّـهُ: قَـــــد يَسّـرْتُ جُنْداً هــمُ الأنـصَارُ، عُـرْضَـتُها اللّــقَاءُ
لَنَـا فِـي كُـلّ يَـــومٍ مِـــن مَعَدٍّ سِبـــابٌ، أوْ قِـتَـالٌ، أوْ هِجَـــاءُ
فَنَحـكُـــمُ بالقَـوَافِـي منْ هَـجَانَا ونـضـــربُ حِيـنَ تخـتلطُ الدمَـــاءُ
أَلَا أبـلِغْ أبَـا سُـــفيَـــانَ عنّـــي فَأنتَ مُـــجَـــوَّفٌ نَـخِبٌ هــوَاءُ
بِأنَّ سُيُـــوفِـنَا تَـــركَـــتكَ عَبـدًا وَعَبـــدُ الـــدَار سَادَتُـها الإمَـــاء
هَجَـــوتَ مُحَـــمّداً، فَأجَـبْتُ عنهُ وَعِنـــدَ اللهِ فِـــــي ذَاكَ الـجَـــزَاءُ
أتَهـــجُوهُ، وَلَـــسْتَ لَـــهُ بكُـفْءٍ فَشَـــرُّكُما لِـخَـــــــيرِكُمَا الـــفِـدَاءُ
هَجَوتَ مُبَـــاركاً، بـــــراً، حَنِيفاً أمينَ اللهِ، شِيمَـــــتُهُ الـــــوَفَـاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَســـــــول اللَّـهِ مِنكُمْ وَيَمـدَحُـهُ، وَيَـــنـــصُـرهُ سَـــواءُ
فَإنّ أبِـي وَوَالـــــدَهُ وَعِـــرْضِـي لِعِرضِ مُحمّـــدٍ مِـــــنكـمْ وِقَـاءُ[1]

فكلّ مِن الكَلمات: " **اعتمرنا، أمين الله، جبريل، رَسول الله، روح القدس، الأنصار، الجزاء، أمين الله، يعز الله فيه من يشاء، عند الله، قد أرسلت عبدا، يقول الحق...**" تُجمَع تَحت حَقل مُعجَميّ واحِد هو مُعجم الألفاظ الدّينيّة الإسلَاميّة، تأثّرا بألفاظ القرآن الكريم، ومُصطَلَحَات الدّين الجَدِيد (الإسلَام) آنذاك.

[1]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصَاري**، ص19–20.

هذا، وكَان مِن أبرَز الحُقول المُعجَميّة المُعتمَدة أيضًا في هذِه القصِيدة مُعجَم الألفاظ الجَاهليّة؛ الّذي يُمكن التمَاس ألفاظِه في الجُزء الأوّل من القصِيدة –المَنظوم على الأرجَح قبلَ إسلَام حَسّان– حَيث كان مِن أبرزِ ألفاظِه: **ذات الأصَابع، الجوَاء، عَذراء، بَنِي الحَسحَاس، قَفر، الرّوامِس، نَعم، شَاء، تُثير النّقع، يُبارين الأسنّة، مصعدات الأسل، الظَماء...** وغَيرها من الألفاظ المتداولة في العَصر الجَاهِلي.

3-3-5. مَوضوعات القصِيدة وأَغرَاضهَا الشِّعرِيَّة:

رغم أنّ هَمزيّة حَسّان "عَفت ذات الأصَابع..." لم تكن من القَصائِد المُطوّلة المَعهودة في عَصر صَدر الإسلَام والعَصر الجَاهلي، إلّا أنّها نُظِمت علَى الطَرائقِ الجَاهليّة الّتي تَتعدّد فيها المَواضيع والأغراض الشّعريّة؛ فَهي مِن بَين القَصائِد الإحدَى عَشرة –باعتِبار أنّ القصِيدة هي مَا زادَ عَدَد أبيَاتها عَن سَبعة– الّتي تَحتوي علَى مقدّمة طَلليّة أو غَزليّة أو طَلليّة غزليّة من بَين واحِد وسِتّين قصِيدة إسلَاميّة وردَت في دِيوانه، مُعظمها دَخل فِيها مُباشرة في مَوضوعه، وهِي ظَاهرة تكلّم عنها ابن رشيق القيرواني قائِلا: "ومِن الشّعراء مَن لا يَجعل لِكلاَمه بَسطا من النّسيب، بَل يَهجم علَى ما يريدهُ مكَافحةً، وما يتناولُه مصَافحةً"[1]

وقد استهلّ حَسّان بن ثابِت قَصِيدته هذه بِمقدّمَة طَلليّة غزليّة سَريعة لم يُطِل فيها كثيرا، حشدَ فيهَا ثلاثَ لوحاتٍ شِعريّة فنّيّة مُختلفة؛ أولها هي: الوقوف على الأطلَال مُكتفيا بِتحدِيد مَوضع الطَّلل من خِلال الكلمَات: (ذات الأصَابع، الجواء، عَذراء) وهي أماكِن في بِلاد الشّام كَانت بِها مَنازل "بني جفنة" مُلوك غَسّان الّذين كَان حَسّان يتردّد علَيهم في الجَاهليّة مادحًا لهم، يقولُ حَسّان:

عَفت ذاتُ الأصَابع فَالجِوَاءُ إلَى عَـذْراءَ مَنـزِلُـهَا خَـــلاءُ

[1]– أبو العلي حسن بن رشيق: **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، تح: محمّد محي الدّين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ج1، ص231.

دِيَـــارٌ مِنْ بَني الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيـــهَا الرَّوَامِـــسُ والسَّـــمَاءُ

وكانَـتْ لا يَـزَالُ بِهَا أنِيـــــسٌ خِلال مُرُوجِـهَا نَعَـــــمٌ وَشَـاءُ [1]

فَقَدْ أشارَ الشّاعِر في هَذين البَيتين إلَى أنَّ هَذهِ المَنازل "عَفت" أي: دُرست وطُمست آثارها –دون أن يَذكُر بَقايا الدّيار مِن نؤي ورَماد وأوتَاد... مِثلما كَان يُفعَل في الشّعر الجَاهلي– فغدَت خَالية تَتلاعَب بِها الأمطَار والرّياح بَعد أن كَانت عَامرة لَا تَخلو مِن أَنيسٍ، ومُروجُها لَا تَخلو مِن النَعَم والشّاء.

ثمّ انتقل حَسّان إلى مَوضوع وغَرض شِعري آخر في قَصيدَته في إطَار مُقدّمتِها الطَلَليّة الغَزليّة، جَسّد من خِلاله لَوحة غَزليّة –إن صحَّ التّعبِير– مُتميِّزة استَهلّها بِقولِه: "**فَدَعْ هَذَا**" المُتداولة آنذاك عند الشّعراء "عِند فَراغِهم مِن المُقدّمة حَيث يَستخدِمون عِبارَة "**دَعْ ذَا**" وَ"**عُدْ عَن ذَا**" ويأخذونَ فيمَا يُريدون"[2]، يقول:

فَـدَعْ هذا، وَلَـكن مَنْ لِطَـــيفٍ يُؤرّقُـني إذا ذَهَـــبَ العِشَـــاءُ

لشعثاءَ الّتي قـــــدْ تيَّـــمتهُ فليسَ لقلـبـــهِ منـــها شـــفاءُ

كَأنّ سَبِـــيـئَـةً مِنْ بَيْـــتِ رَأسٍ يَكُونُ مِزَاجَـــهَا عَسَـــلٌ وَمَـــاءُ

عَلى أنْـيَابِـــهَا، أوْ طَـــعْمَ غَـــضٍّ منَ التّـــفاحِ هَصـــــرهُ الجَـنـاءُ [3]

والمُتأمِّل فِي هذِه الأبيَات ومَا قبلَها يُدرك أنّ حَسّان لم يَفرغ نِهائيا بَعدُ مِن مُقدّمتِه الطَلَلِيّة الغزليّة، ولم يَدخل بَعد في غَرضِه الأسَاس من القصِيدة، بل اكتفَى بالإشارة إلى تَرك وَصف الدّيار ومَا كَانت عَليه ومَا ألّم بِها، لِيشرَع بِذكاء فِي لَوحة أخرى من لَوحات مُقدّمته، وهِي لَوحة غَزلية ذَكر فِيها حَبيبته (شَعثاء)، ومَا فعله طَيفها بِه مِن أرق في نَومه، وأنّها تيّمت فُؤاده واستولَى حُبّها عليه، وذَهبت به كلّ مَذهب،

---

[1]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص17–18.

[2]– ينظر.. أبو العلي حسن بن رشيق: **العمدة في مَحاسن الشّعر وآدابه ونقده**، ج1، ص239.

[3]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص18.

كمَا وَقف عِند ثغرها ورضَابها، فشبّه طَعم رضَابها بِطَعم خَمرٍ مُزِجت بعَسلٍ ومَاءٍ أو بطعمِ تفاحٍ غضٍّ.

ثم انتقل حَسّان مباشرة بعد كلّ هذا إلى اللّوحة الخَمريّة على سَبيل الاستِطراد واصِفا رضَاب "شعثاء" صَاحبته، حيث قال:

إذا مَـــا الأشـــرِبـاتُ ذُكرنَ يـــوماً فَـــهُنّ لِطَـيّـــبِ الـرَّاحِ الفِـدَاءُ

نُوَلّيها المَـــلامَـــــةَ، إنْ أَلَـمْـنَا إذا مَـا كـانَ مَـغْثٌ أو لِـحـــاء

وَنَشـــربـهَا فَـــتَـتَـركُـــنا مُلُـــوكاً وأُســـداً ما يُـنَـــهْنِـهنا اللّـــقـاءُ[1]

ونلاحِظ أنّ حَسّان يزعم أن "**شعثاء**" أشهى من الخَمر على الرّغم من أنّه يفضّل هذه الأخيرة (الخَمر) الرّاح على باقي الأشربة لأنّها تترك شارِبيها مُلوكا وأُسُدًا لا يكفهم اللّقاء، وهدَف كلّ هذا هو وَصف الخَمر وبيان أثرها في نَفس شارِبها، وليس المَدح أو الإشادَة بها، مُنتقلا بِبَراعة مِن هذِه المقدّمة الطَلَليّة الغزليّة إلى وَصف جَيش المُسلمين مُهدّدا ومتوعّدا وهَاجيا أبا سُفيان هِجاء لاذعا (دون المَساس بِعرضِه كما كَان مُنتشرا في عَصر الجَاهلية)، مَادحا رَسول الله في الوَقت نَفسه، يقول حَسّان:

عَدِمْنَا خَيـلَـــــنا، إنْ لـم تَـرَوْهَا تُثِـيرُ النّـــقْعَ، مَـوْعِـدُها كَـدَاءُ

يُبَارِينَ الأعِـــنّـــةَ مُصـــعِـدَاتٍ عَلَى أكـــتَـــافِهَا الأسَـلُ الظـّمـاءُ

تَظَلُّ جِـــيَادُ ـــنَا مُتَـمَـــطِّرَاتٍ تلـطـــمـــهـنّ بالـخـمرِ النـســاءُ

فإمّا تُعـــرِضُوا عنّا اعتَـــمَـرنَا وكـــانَ الفَتـحُ، وانْكَشَفَ الغِطـاءُ

وإلّا، فاصـــــبِروا لِجَـــلَّادِ يَـومٍ يُـعزُّ اللهُ فـيـهِ مـــــنْ يشـاءُ

وَجِبـــرِيلٌ رَسـول اللّـهِ فِيـــــنَا وَرُوحُ الـقُـــدسِ لَيْسَ لَـــهُ كِفَـاءُ

وَقَـــالَ اللَّهُ: قَـــدْ أرْسَـــلْتُ عَـبداً يقـــولُ الـحقَّ إنْ نـفـــعَ البـــلاءُ

شَهِـدْتُ بِهِ، فَقُـومُـــــوا صَـدِّقُوهُ! فـقُـلـتمْ: لا نـقـــومُ ولا نـشـــــاءُ

[1]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص18–19.

وَقَـالَ اللَّـهُ: قَـــــد يَسّــرْتُ جُنْداً هـــمُ الأنـصَارُ، عُرْضَـتُها اللّــقَاءُ
لَنَــا فِـي كُــلّ يَـــومٍ مِـــن مَعَدٍّ سِبـــابٌ، أوْ قِــتَــالٌ، أوْ هِجَـــاءُ
فَنَحـكُـــمُ بالقَـوَافِـــي منْ هَـجَانَا ونَـضـــربُ حِيـنَ تخـتلطُ الدمَـــاءُ
أَلَا أبـلِغْ أبَـا سُـــفيَـــانَ عنّـــي فَأنـتَ مُـــجَـــوَّفٌ نَـخِبٌ هـوَاءُ
بِأنَّ سُيُـــوفِـنَا تَـــركَـــتكَ عَبـدًا وَعَّبـــدُ الـــدَار سَادَتُـــها الإمَـــاء
هَجَـــوتَ مُحَـــمّداً، فَأجَـبْتُ عنهُ وَعِنـــدَ اللهِ فِـــي ذَاكَ الـجَـــزَاءُ
أتَهـــجُوهُ، وَلَـــسْتَ لَـــهُ بكُـفْءٍ فَشَـــرُّكُما لِـخَـــــيْرِكُمَا الـــفِـدَاءُ
هَجَوتَ مُبَـــاركاً، بـــــراً، حَنِيفاً أمينَ اللهِ، شِيمَـــــتُهُ الـــــوَفَـاءُ
فَمَنْ يَهـــجُو رَســـــول اللَّهِ مِنكُمْ وَيَمـــدَحُهُ، وَيَـــنـــصُـرهُ سَـــواءُ[1]

ثم أبدَى حَسّان بعد كلّ هذا مدَى استعدَاده للتّضحِيّة بعِرضه ووَالِده وجَدّه مُقابل عِرض رَسول الله (ﷺ) حَيث قال:

فَـإنّ أبِـي وَوَالِـــــدَهُ وَعِـــرْضِـي لِعِرضِ مُحمّـــدٍ مِـــــنكـمْ وِقَـاءُ[2]

وبالرّغم مِن كلّ هَذا، فإنّ تعدّد المواضِيع والأغراض الشّعريّة لم يَمنع مِن أن تكُون لِهذه القصِيدة شِبه وِحدة عُضويّة؛ تحقّقت من خِلال الجوّ العامّ المُسيطر علَى القصِيدة، ألا وهو الدّفاع عَن الرَّسول (ﷺ) ومَدحه وعن الدّين الإسلَامي عامّة، حَيث كرّس الشّاعر ما وَرد مِن فَخر وَوَصف وهِجاء ومَدح لِخدمة المَوضوع العَام للقصِيدة ومُناسبتها وسِياق نَظمها.

[1]– حسّان بن ثابت: **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، ص19–20.

[2]– ينظر.. محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، ص14.

4- دِراسة قصِيدة نهج البُردة لأحمَد شَوقي:

دَرَسنا في هَذا المَبحث مِن رِسالتنا قصِيدة "نهج البُردة" لأمير الشّعراء "أحمد شَوقي" في مَدح رَسول الله (ﷺ) بالطّريقة نَفسها الّتي دَرسنا بها هَمزيّة حَسّان بن ثابِت "عَفت ذات الأصَابع..." بِهدف المُوازنَة بالدّرجة الأولى، من خِلال تركيزنا على دِراسة العناوين الموَافقة لها من العَصر التّابعة إليه فقط، للتّحقّق مِن مَدى توفّرها على خَصائص المَديح النّبوي (في العَصر الحَديث) الّتي توصّلنا إليها، دون التطرّق إلى كلّ كَبيرة وصَغيرة فيها؛ حتّى تكونَ موازنتنا بَينهما مَوضوعيّة وعادِلة من جِهة، وحتّى لا نَقع في التّكرار لأنّ القصِيدة مَدروسة كما هو مَعلوم، وحتّى لا يَطول بَحثنا دون تحقِيق أهدافِه ومراميه من جِهة أخرى.

4-1. ملخّص القصِيدة ومُناسبة نَظمِها:

تتألّف قصِيدة "نهج البُردة" لأحمَد شَوقي من (190) بيتا شِعريا حَول حَياة الرَّسول (ﷺ) في طفولَته وشَبابه ورُجولته، ثمَّ أثناء بِعثته ونَشر رِسالته وهِجرته وغَزواته، وغَيرها مِن تَفاصِيل حَياته، ويُمكن تَقسيمها إلى خَمسة مَقاطع رَئيسيّة حَسب المَضمون والمُحتوى، وهي:

أ- المقطع الأوّل (24 بيتا): وفِيه استهلّ الشّاعِر قَصيدَته بِنسيب تَقلِيدي مُطوّل بَلغ عدَد أبيَاته أربعَة وعِشرين بَيتا شِعريا.

ب- المقطع الثّاني (15 بيتا): وتحدّث فيه الشّاعِر عَن الدّنيا ومَلذاتِها، ومدَى غرور وانغماس النَّفس البشريّة في هذِه الملذَّات، وحَذّر فيهِ من النَّفس الأمّارة بِالسّوء.

ج- المقطع الثّالث (137 بيتا): وخاضَ فيه الشّاعِر في الغرَض الأسَاس من قصِيدته؛ وهو المَديح النّبوي، حَيث أظهَر فيه مَحَبته للنّبيّ (ﷺ) مُتَعرِّضا إلى: علَامات نبوّته، ثمّ بِعثته الشّريفة، ثمّ إلى مُعجزة القرآن الكَريم، ثمّ انتقلَ إلى الحَديث عن مَولده (ﷺ)، ثمّ ذكَر حَادثتي الإسرَاء والمعرَاج، مُتطرّقا إلى الهِجرة النّبويّة ومَا

تعلّق بِها، ثمَّ خَرج قليلًا عن هَذا الغَرض مَادِحا الإمام البُوصَيري لِما له مِن فَضل علَيه، راجِعا إلى مَدح رَسول الله مُقارنا بَينه وبينَ النّبيّ عيسَى عليه السّلام، مُبرِّئا الرَّسول وجَميع الأنبيَاء من سَفكِ الدّماءِ، واصِفا بعدَ كلّ هذا جِهاده (ﷺ) وجهاد المُسلمين معه، مُقارنا بين حَال المُسلمين وحال الصَهاينة آنذاك، وبين الشّريعَة الإسلَاميّة وشَرائع الحَضارات القَديمة ثمّ بَين الخُلفاء الرّاشدين والقيَاصِرة.

د- المقـــطع الـــرّابـــع (09 أبيات): وفيهِ صلّى الشّاعِر على النّبي (ﷺ) وعلى الخلفاء الرّاشدين، واصِفا الجميع بأحسَن الصّفات.

هـ- المقطع الـــخامس (05 أبيات): ولجأ فيهِ الشّاعِر إلى الله تعالَى بالابتهَال والدّعاء بالخَير وحُسن الخِتام للأمّة الإسلَاميّة.

وقد تعدّدت آراء الدّارسين حولَ مناسبَة نظمِ أميرِ الشّعرَاء لِقصيدتِه المَشهورة هذِه، ولكن علَى الأرجَح "أن شَوقي وضَع نَهج البُردة تِذكارا لِحجّ الخدِيوي السّابق "عباس" الثّاني عام 1909م"[1] فقد شَاع أنّ الشّاعِر لما صَحبه الخِديوي عبَاس معه إلى الحَجّ، فَرَّ في مُنتصَف الطريق ورَجع إلى مصر، ولَم يقمْ بِركن الحجّ آنذاك، فشعرَ بالذّنبِ بعدَ مُرور أيامٍ، فنَظم نَهج البُردة تكفيرًا لِذنبه.

وفيه رأي آخر حَول مُناسبة نَظم هذه القصِيدة؛ وهو أنّ أحمَد شَوقي أُصيبَ بِمَرض عُضال أهلَكه ولم يتمكّن الأطبَاء مِن مَعرفةِ عِلاجِه، "فما كانَ مِنه إلّا أن اقتدَى بِصاحِب البُردة "الإمَام البُوصَيري" حِينما تشَّفع بالرَّسول (ﷺ) خاشِعا مُمتثِلاً طَالبا الشِّفاء والصِّحة."[2] ولِذلك كانَت قَصِيدة شَوقي عِبارة عَن مُعارضَة لِبردَة الإمَام البُوصَيري، حيثُ سَار فيها علَى نَهجها واقتفَى أثرها بِوضُوح.

---

[1]- منير سلطان: **البديع في شعر شوقي**، منشأة المعارف، مصر، 1986م، ص112.

[2]- ينظر.. حسن حسين: **ثلاثيّة البُردة -بردة الرّسول صلّى الله عليه وسلم-**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1987م، ص95.

4-2. دِراسة القصِيدة من حَيث الشّكل:

4-2-1. وَزن القصِيدة وبَحرها:

نظم "شَوقي" قصِيدته هذه عَلى تفعيلَات بَحرٍ من البُحور الطّويلَة الأكثرِ اعتمَادا في الشّعر العَربي قَديما وحَديثا؛ ألَا وهو **بَحر البَسيط**، وتفعيلَاته الثّمانيَة الأصليّة كمَا هو مَعرُوف هي:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

ولنتحقَّق مِن بَحر القصِيدة من خِلال تقطِيع البَيت الأول مِنها:

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البَانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُر الحُرُمِ

رِيْمُنْ عَلَلْ	قَاْعِ بَيْ	نَ لْبَانْوَلْ	عَلَمِيْ	أَحَلْلَ سَفْ	كَ دَمِيْ	فِ لْأَشْهُرِلْ	حُرُمِي
0//0/0/	0//0/	0// 0/0/	0///	0//0//	0///	0//0/0/	0///
مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

ونلاحِظ جليا تحوُّل التّفعيلة (**فَاعِلُن** /0//0) إلى (**فَعِلُنْ** ///0) في الشّطر الثّاني من البَيت، وذلك بسبب زِحاف الخَبن (حَذف الحَرف الثّاني السّاكن) في الحَشو؛ وهو زِحافٌ حَسنٌ كثيرُ الورودِ في هذا البَحر يُتيح للشّاعر تنويعَ استعمالاته اللّغويّة، وأمّا عَرُوض البيت وضَربه فقد وَرَدا على وزن (**فَعِلُنْ** ///0) وهو أمرٌ طبيعي كثير الوُرود في هذا البَحر أيضًا.

واختِيار شَوقي للبَحر البَسيط لَم يكن عَبثا، ذلِك أنّه اقتفَى أثر الإمَام البُوصَيري في نَظم بُردته المنظومَة على وزن بَحر البَسيط أيضا، وهو بَحر اختاره صَاحب البُردة "لأنّــه -كمــا يقــال- أليــق بالمَــدح لخِصائِصــه الفنيّــة والمَقطعيّــة، ولِــذلك اختــارَه البُوصَيري"[1]، وعلَى الأرجَح أيضًا أميرُ الشّعراء أحمَد شَوقي في نَظم قَصيدتِه.

[1]- ينظر.. رابح بوحوش: **البنية اللّغوية لبُردة البوصيري**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982م، ص24-25.

4-2-2. دِراسة الـقَافِـيـة والـرَّوِي والتّـصرِيـع:

اعتمد شَوقي في قصيدَته نَهج البُردة هذه على قافِية مُطلقَة مُنتهية برويِّ الميم حيثُ جاء البَيت الأوَّل مِنها مُصرّعا من خِلال كَلمَتي **(العَلَم، الحُرُم)**، مُحدِثا جَرسًا مُوسيقيًا افتتاحيًا مُميَّز لِلقصِيدة، وَقد وَرد رَوِي "الميم" مَكسورا مُجرّدا مِن الرِّدف والتأسِيس، وكَونه مَكسورًا سَهُل علَى الشّاعِر أن يُوظّف اليَاء وصلًا للرّوي، بالاستِفادة من كلِمات تنتهِي بِياء لَا يُمكن الاستغناء عَنها أو إسقَاطهَا مِن الكلِمة، تَتوافَق مَع إشبَاع الكَسرة في مِيم الرّوي، ولنُلاحِظ الأبيات الآتية مثلا:

003. لَمّا رَنـــا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَـــةً يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي

011. مَنِ المَوائِسُ بانـــاً بِالرُبـــى وَقَنا اللّاعِباتُ بِروحـــي السافِحاتُ دَمي

048. وَصاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرُسلِ سائِلَةٌ مَتى الوُرودُ؟ وَجِبريلُ الأَمينُ ظَمي

100. يا أَحمَدَ الخَيرِ لي جاهٌ بِتَسمِيَتي وَكَيفَ لا يَتَســامى بِالرَّسول سمِي؟

171. جُرحانِ في كَبِدِ الإسلَام ما اِلتَأَما جُرحُ الشَهيدِ وَجُرحٌ بِالكِتابِ دمي[1]

فَالياء المتّصلَة بِرَوِي الميم الوارد في الكلِمات: **(رمي، دمي، ظمي، سمي)** ياءٌ لَا يُمكن الاستِغناء عنها في الكلِمَة، لأنّ حذفها يُخِلُّ بالمعنى، ومِمّا تميّز به روي القصِيدة أيضًا وقافيتها عامّة هو تغيُّر حَركة الحَرف الّذي يَسبقه في كَثير مِن الأبيَات؛ فهو تَارة مَفتوح، وتَارة مَضمُوم، وذلِك انطِلاقا مِن البَيت الأوّل المُصرّع مِن خِلال كَلِمتي: **(عَلَم، حُرُم)** وهوَ عَيب مِن عُيوب القافية؛ "إذ الأولَى عَروضياً أن يلتزِم الشّاعِر حَركة واحِدة في الحَرف الّذي قَبل الرّوي علَى طُول القصِيدة "[2]

[1]- أحمد شوقي: **الشّوقيات**، مج1، ص190-191-195-199-206 على الترتيب.

[2]- ينظر.. السيّد أحمد الهاشمي: **ميزان الذّهب**، ص136.

كما تَميّزت قافية القصِيدة أيضًا بالعديدِ من الخَصائِص وكَان من أهمّها تَوظيف الشّاعر لِبعض الكلِمات المُندثِرة وقليلَة الاستِعمال والتداول فِي العَصر الحَديث، ولنُلاحِظ أبياتَ شَوقي الآتية مثلا:

055. كَم جيئَةٍ وَذَهــــابٍ شُرِّفَت بِهِـما بَطحــاءُ مَكَّةَ فـي الإِصــباحِ وَالغَسَمِ

058. لَمّا دَعا الصَّحبُ يَستَسقونَ مِن ظَمَإٍ فاضَـت يَــداهُ مِنَ التَسنيمِ بِالسَنَمِ

082. وَالخَلـقُ يَفتِكُ أَقواهُم بِأَضـعَفِـهِم كَاللَيـثِ بِالبَهــمِ أَو كَالحوتِ بِالبَلَمِ

087. رَكوبَةً لَكَ مِن عِــزٍّ وَمِـن شَــرَفٍ لا فـي الجِيادِ وَلا فـــي الأَينُقِ الرُسُمِ

139. بيضٌ مَفاليلُ مِن فِعلِ الحُروبِ بِهِم مِن أَسيُــفِ اللهِ لا الهنديَّة الخُــذُمِ[1]

فكلّ من الكلِمات: **(الغَسَمِ، السَنَمِ، البَلَمِ، الرُسُمِ، الخُذُم)** وغيرها كَثير قليلَة التَّداول في عَصر شَوقِي، وتَحتاج إلى قاموس حتّى يتّضِح مَعناها، كَما اعتمَد شَوقي أيضًا علَى تِكرار بَعض القوافِي تَارة بِمعنى مُشترَك وتَارة بِمعنى مُختلِف، ولنُلاحِظ الأبيَات الموالِية علَى سَبيل المِثال لا الحَصر:

083. أَسرى بِكَ اللَـهُ لَيــــلاً إِذ مَلائِكـهُ والرُسلُ في المَسجِدِ الأَقصى عَلى قَدَمِ

089. حَتّى بَلَغتَ سَمــــاءً لا يُطارُ لَـها عَـلى جَنــاحٍ وَلا يُســــعى عَلى قَدَمِ

101. المادِحونَ وَأَربــابُ الهَوى تَبَــعٌ لِصاحِبِ البُــردة الفَيحــاءِ ذي القَـدَمِ[2]

ونلاحِظ جليا تِكرار الشّاعِر لِكلمة **(قدم)** فِي قافِية هذِه الأبيَات بِمعنى واحد ومُشترك، مُستفيدا بذلك مِنها فِي مَنظومة قافِيته الّتي كانَت مَزيجا مِن الكلِمات المتنوعة والمتشابهة أحيانا في معناها أو جنسِ حروفِها أو عددِه أو شكلِه.

[1]- أحمد شوقي: **الشّوقيات**، مج1، ص195-196-198-203 على الترتيب.

[2]- نفسه، ص198-199 على الترتيب.

4-2-3. دِراسة ظَاهِرَة التّوازي وتَـوَلُّـدُ التّـكرَار عَـنـهَا:

ظَهر التّوازي بِنوعَيه في هذِه القصِيدة في العَديد مِن مَواضعِها، ومِن أهمّهَا وأوضحِها -علَى سَبيل المِثال لا الحَصر- نذكُر مَا يلِي، يقول حَسّان:

لَقَّبتُموهُ أَمينَ القَومِ فـي صِـغَرٍ وَمـا الأَمِـينُ عَلـى قَـولٍ بِمُتَّـهَمِ

فَاقَ البُدورَ وَفـاقَ الأَنبِـياءَ، فَـكَم بِالخـلقِ والخَلقِ مِن حُسنٍ وَمِن عِظَمِ[1]

ونُلاحِظ تَحقّق ظَاهرة التّوازِي الأفقِي فِي البَيت الثّاني مِن خِلال تَماثل البِنية النّحويّة بين: **(فَاقَ البُدورَ)** وَ **(فَاقَ الأَنبِياءَ)** في الشّطرِ الأوّل؛ فكِلاهُما عِبارة عَن (فِعل مَاض + فاعِل ضَمير مُستتر + مَفعول بِه)، وكَذا الأمر بين: **(مِن حُسنٍ)** وَ**(مِن عِظَمِ)** في الشّطر الثَّاني؛ فكِلاهما عِبارة عن (حَرف جرّ + اسم مَجرور)، ومِن التّوازيات العَموديّة الأكثر وُضوحا قَول شَوقِي مَثلا:

وَالخَلـقُ يَفتِكُ أَقواهُم بِأَضـعَفِـهِم كَاللَيـثِ بِالبَهـمِ أَو كَالحوتِ بِالبَلَمِ

أَسرى بِكَ اللَـهُ لَيـلاً إِذ مَلائِكـهُ والرُسلُ في المَسجِدِ الأَقصـى عَلى قَدَمِ

لَمّا خَطَـرتَ بِـهِ اِلتَـفّوا بِسَيِّدِهِم كَالشُـهبِ بِالبَدرِ أَو كَالجُـندِ بِالعَلَمِ[2]

ونلاحِظ في هذه الأبيات تَماثل بنية الشّطر الثّاني من البَيتين الأوّل والثّالث من حَيث بِنيتهما النّحويّة، ونلخّص هذا التّماثل في الجَدول الآتي:

البنية التّركيبيّة للشّطر الثاني من البيت الأول	البنية التّركيبيّة للشّطر الثاني من البيت الأول	البنية النّحويّة
الكاف (كَـ)	الكاف (كَـ)	حرف جر يفيد التشبيه
اللّيث	الشُّهب	اسم مجرور
الباء (بِـ)	الباء (بِـ)	حرف جر

[1]- أحمد شوقي: **الشّوقيات، مج1**، ص197.

[2]- نفسه، ص198.

البَـهم	البَـدر	اسم مجرور
أو	أو	حرف عطف يفيد التخيير
الكاف (كَـ)	الكاف (كَـ)	حرف جرّ يفيد التشبيه
الحُوت	الجُند	اسم مجرور
الباء (بِـ)	الباء (بِـ)	حرف جرّ
البَـلم	العلَـم	اسم مجرور

ونلاحِظ من خِلال هذا الجَدول تولّد بَعض التّكرار وخَاصّة حُروف الجرّ وحَرف العَطف وهُو مَا يُثبت أن ظَاهرة التّوازي يَتولّد عَنها بَعض التّكرار نَاهيك عن المُساهَمة في تَسهيل إقامَة الوَزن وانتِظام الإيقَاع، ومِن أمثلَة التّوازِي الأفقي الواردَة فِي القَصِيدة أيضًا قَول الشّاعِر مَثلا:

رَكوبَةً لَكَ مِن عِــزٍّ وَمِن شَــرَفٍ لا فــي الجِيادِ وَلا فــي الأَينُقِ الرُسُمِ

البَدرُ دونَكَ فـي حُسنٍ وَفـي شَــرَفٍ وَالبَحــــرُ دونَـكَ في خَيـرٍ وَفـي كَرَمِ[1]

ونلاحِظ جليا التّوازي الجُزئي في كُلّ شَطر مِن البَيت الأوّل، بِحيث عبارة: **(من عزٍّ)** تماثلها: **(من شرفٍ)**، وكِلاهما عِبارة عن "جَار ومَجرور"، وعبارة: **(لا في الجياد)** تماثلها: **(لا في الأينق)** وكِلاهما عِبارة عن "لا النّافية يليها جَار ومَجرور"، أمّا التّوازِي الأفقِي الوَارد في البَيت الثّاني فَنلخِصه في الجَدول التّالي:

البنية التّركيبيّة للشّطر الثّاني من البيت الأوّل	البنية التّركيبيّة للشّطر الثّاني من البيت الأوّل	البنية النّحويّة
البدر	البحر	اسم معرفة (مبتدأ)
دونك	دونك	ظرف مكان
في	في	حرف جرّ

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات، مج1**، ص198.

حسن	خير	اسم مجرور
الواو	الواو	حرف عطف
في	في	حرف جرّ
شرف	كرم	اسم مجرور

ونُلاحِظ من خِلال هذا الجَدول مدى التّطابق بَين الشّطرَين مِن حَيث بِنيَتهما النّحويّة وهوَ ما يَترتَّب عَنه –بِطبيعَة الحَال– مِن سُهولَة في تَحقُق الوَزن وانتظَام الإيقَاع، وتِكرار بَعض الحُروف والكلِمات، وبالتّالي التّأثير على المُتلقي وإيصَال المَعنى إليه بِنسبة أكبَر، ومِن التّوازيَات –الّتي لَفتت انتِباهنا أيضًا– المُشابهة للتّوازِي السّابق قولُ أحمَد شَوقي:

دارُ الشَّرائِـــعِ روما كُلَّما ذُكِـرَت دارُ السَّــلامِ لَها أَلقَــت يَــدَ السَلَمِ

ما ضارَعَتها بَياناً عِنــدَ مُلــتَأَمٍ وَلا حَكَتــها قَضــاءً عِنــدَ مُختَصَــمِ[1]

فنلاحِظ أن بِداية كلَّ شَطر مِن البَيت الأوّل كانَت باسمِ مُعرَّفٍ بالإضافَة، أمّا البَيت الثّاني فشَطراه مُتماثِلان نَحويا أيضا:

البنية التركيبيّة للشّطر الأوّل من البيت الثّاني	البنية التركيبيّة للشّطر الثّاني من البيت الثّاني	البنية النّحويّة
ما	لا	حروف نفي
ضارعتْ	حكتْ	فعل ماض متصل بتاء التأنيث
الهاء (ها)	الهاء (ها)	ضمير متّصل في محل نصب مفعول به
بيانا	قضاء	مفعول لأجله
عند	عند	ظرف مكان وهو مضاف
ملتأم	مختصم	مضاف إليه

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات، مج1**، ص205.

ونُلاحِظ من خِلال هذا الجَدول أيضا التّكرار الوارِد بِسبب تَحقّق ظَاهِرة التّوازِي في هَذا البَيت، إضَافة إلى الجَانب الجَمالي التّأثيري الّذِي يتحقّق عَنها، ونَجد مِثل هَذا التّوازي أيضًا في قَول الشّاعِر:

الـزّاخِرُ العَذبُ فـي عِلمٍ وَفــي أَدَبٍ وَالنّاصِرُ النَــدبِ في حَربٍ وَفــي سَلَمِ[1]

ونلخّصُ أوجه التّماثل النّحوِي بَين شَطري هذا البَيت في الجَدول التّالي:

البنية التركيبيّة للشّطر الأوّل من الـــــبيت الثّاني	البنية التركيبيّة للشّطر الثّـــاني من البيت الثّاني	البنية النّحويّة
الزّاخر	النّاصر	مبتدأ
العذب	النّدب	نعت
في	في	حرف جرّ
علم	حرب	اسم مجرور
الواو (وَ)	الواو (وَ)	حرف عطف
في	في	حرف جر
أدب	سلم	اسم مجرور

ونستنتج من خِلال هذا الجَدول، وكلّ الأمثلة (الشّواهد) السّابقة الّتي أشَرنا إليها –والعديد من التّوازيات الّتي لَم نذكُرها– أنّ ظاهِرة التّوازي مِن أهمّ الظواهِر الإيقاعِيّة الّتي يُمكن أن يتنبّه إليهَا القارئ أثناء قِراءته للقصِيدة أو سَماعها، وتكمُن أهمِّيتها فِي مُساهَمتها في تَسهِيل إقامَة الشّاعر لِوزن قَصيدَته، والتّأثير علَى المتلقِي وجَذب انتِباهِه من خِلال إبراز المَعاني الّتي تتحقّق في البيتِ الشّعرِي الوارِدة فيه هذِه الظاهرة، إضافَة إلَى تولُّد التِّكرار عَنها بِمُختلف أنواعِه.

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات، مج1**، ص206.

4-2-4. الأبيَات المَخصُوصَة بِمَدح الرَّسول وطول القصِيدة أو قصرها:

تميّزت قصِيدة نَهج البُردة لأحمَد شَوقي بِطولها (190 بيتا شِعريا) مُقارنة بهَمزيّة حَسّان بن ثابِت "عَفت ذات الأصَابع..." (32 بيتا شِعريا)، ولَكنها تُعتبر قَصيرة جدًّا مُقارنة بالمَلاحِم الشّعريّة المُطوّلة الّتي يَتجاور عَدَد أبياتِها الشّعريّة آلاف الأبيَات –كمَا سَبق وأن أشَرنا فِي أكثرِ مِن مَوضع– مِثل الإلياذَة الإسلَاميّة لأحمَد مُحرَّم الّتي يُقارب عَدد أبيَاتِها 3000 بيت شِعري كامِل، وَحتمًا؛ كَثرة الأبيَات وتعدّد الأغراضِ الشِّعريّة والمواضِيع في قصِيدة نَهج البُردة كلّها عَوامل سَاعدت علَى زِيادة وطُغيان عَدد الأبيَات المَخصُوصة بِمدح الرَّسول (ﷺ) والثّناء عَليه.

فبعد افتتاح الشّاعِر قصيدَته بأبيات النّسيب المُطوّلة وتَحذيره مِن هَوى النّفس، انطلقَ في مَدح الرَّسول بَين الحِين والآخر (تارة بالتّلمِيح وتارة بأسلُوب مُباشر) ابتداءً مِن البَيت الشّعري الأربَعين إلى نِهاية قَصيدَته (حوالي 150 بيتا شِعريا)، ذاكِرا مَولده والعَديد مِن معجزاته وقِصّة الإسراء والمِعراج، والخُلفاء الرّاشِدِين مِن بَعده، خَاتما بُردته بالصّلاة والسّلام علَيه (ﷺ) وعلَى الخُلفاء الرّاشِدِين، والمُناجاة والابتِهال لله تعالَى، يقول شَوقي مثلا في بِداية مَدحه لرَسول اللهِ:

040. أَلقي رَجائي إذا عَزَّ المُجيرُ عَلى مُفَرِّجِ الكَربِ في الدارَينِ وَالغَمَمِ

041. إذا خَفَضتُ جَناحَ الذُلِّ أَسأَلُهُ عِزَّ الشَّفاعَةِ لَم أَسأَل سِوى أُمَمِ

042. وَإِن تَقَدَّمَ ذو تَقوى بِصالِحَةٍ قَدَّمتُ بَينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَدَمِ

043. لَزِمتُ بابَ أَميرِ الأَنبِياءِ وَمَن يُمسِك بِمِفتاحِ بابِ اللَهِ يَغتَنِمِ[1]

ويَقصد شَوقي في البَيت الأوَّل بـ"المُجِير: **المُنقِذ**،.. ومفرّج الكَرب في الدّارين: هو الرَّسول الأمِين، لأنّه أخرجَ النّاسَ مِن ظُلمَة الغِواية إلى نُور الهِداية، وهو فِي الآخِرة صَاحِب الشّفاعَة العُظمى.. وأمير الأنبياء"[2] وسيّد وَلَدِ آدم كَما يُقال.

---

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، ص194.

[2]– نفسه، الصّفحة نفسها.

4-2-5. عنوان القصِيدة بين الحضور والغياب والإتقان:

تميّزت قصِيدة نهج البُردة بِحُضور عُنوانها وَوضعِه من طَرف نَاظمها دُون غَيره، وهو عِبارة عن مُضاف (نهج) ومُضاف إليه (البُردة) بَعيد عن الزَّخرفة اللّفظِيّة والمُبالغة، وهو عُنوان ذو وَظيفة تَناصيّة يُحيلنا إلى نَصٍ خَارجي يُشبِهه شَكلا ومَضمونا (بُردة البُوصَيري)، كما يدلّ على مَبلغ تأدُّب شَوقي وتواضُعه لِاعترافِه باتبَاع البُوصَيري في بُردته، خاصّة وأنّه صرّح مبَاشر بذلك في بَعض الأبياتِ من قَصيدَته، بأنّه لَا يُعارض الإمَام البُوصَيري بَل يَسير علَى نَهجه، وأنّ بُردته أَصل المَدائِح النّبويّة، ومَا هو إلَّا أحدُ الغابِطين به، حَيث قَال فِي هَذا الشّأن:

المادِحـــونَ وَأَربـــابُ الهَـوى تَبَـــعٌ لِصـــاحِبِ البُـــردة الفَيحـــاءِ ذي القَـدَمِ
مَديحُهُ فيـكَ حُـــبٌّ خالِصٌ وَهَـــوىً وَصادِقُ الحُبِّ يُمـــــلـــي صـــادِقَ الكَلَمِ
اللّـهُ يَشـــهَدُ أَنّـــــي لا أُعارِضُـــهُ من ذا يُعارِضُ صَـــوبَ العـــارِضِ العَرِمِ
وَإِنَّما أَنـــا بَعـــضُ الغـــابِطيـنَ وَمَـن يَغـبِـط وَلِـيَّـــكَ لا يُـــذمَـــــم وَلا يُلَـمِ[1]

ولعلّ الكلِمة الّتي تحتَاج تَوضِيحا في هذا العُنوان هِي كَلمة "نَهْج" الّتي وَرد عنها في لِسان العَرب قَول ابن مَنظور: "طريقٌ نهجٌ، أي بيِّنٌ واضحٌ، وهو النّهج، والجمع: نُهُجَات، ونُهُجٌ، ونُهوجٌ... وفُلانٌ يستنهج سبيلَ فلانٍ أي: يَسلك مَسلَكه"[2] ولِذلك عِند قِـراءة العُـنوان ومُحاولتنا لِفَهم العِلَاقة بَين كَلمتيه فإنّه "يتبَادر للذّهن مُباشرة أنّ الشّاعِر قد سَار فِيها علَى طَريق البُردة للبوصيري"[3] واقتفَى طَريقته في نَظمِها مِن خِلال الالتزام بالمَوضوعات نَفسها الّتي خَاض فِيها البُوصَيري في بُردته مِن مَدح لرَسول الله (ﷺ) والتّشفعِ به مِثلما فَعل، وهو مَا نَجدُه فِعلا فِي نَهج البُردة.

---

[1]- أحمد شوقي: **الشّـوقيات، مج1**، ص199-200.

[2]- محمد بن مكرَّم بن على ابن منظور: **لسان العرب**، مج 02، ص 383.

[3]- حسن حسين: **ثلاثيّة البردة -بردة الرّسول صلى الله عليه وسلم-**، ص12.

4-3. دِراسَة القصِيدة من حَيث المَضمُون:

4-3-1. طّابع القصِيدة ومدَى صِدق مَشَاعِر صَاحِبهَا ومُغَالَاته فِي المَدح:

تميّزت قصِيدة نَهج البُردة لشَوقي بِغلبة الطّابع الدّيني الإسلَامي علَيها، وذلِك لأنّ الشّاعِر نَثر فيهَا مَعلومَات دِينيّة هامّة (باستِثناء المَقطعَين الأوّل والثّاني المُتعلّقين بالنّسيب والتّحذِير من هَوى النّفس) حَول سِيرة الرّسول (ﷺ) طِيلة ما يُقارب (150) بيتا شِعريا، أبانَ فيها أميرُ الشّعراءِ عَن عَاطِفة صَادِقة في مَدحه، ومَشاعِر فيّاضَة وتَعلّق شَديد بالدّين الإسلَاميّ ونَبيّ الإسلَام محمّد، حَيث حَاول أن يُعطِي نَفَسا حيًّا في قصِيدته مِن خِلال رَبطِها بِمشاكل الأمَّة، وتشخِيص الدّاء، وعَرض الدّواء.

وأمّا فيما يَخصّ قضيّة المُغالاة فتبقَى هَمزيّة حَسّان بن ثابِت "**عَفت ذَات الأصَابع فالجواء**" أكثر بُعدًا عن هذه السّقطَة العَقَدِيَّة الّتي وَقع فِيها كَثير مِن الشّعراء قَديما وحدِيثا، وقصِيدة نَهج البُردة لشَوقي هي الأخرَى لم تَسلم مِن بعضِ مَظاهر الغلُوّ ولَو أنّها تَكاد تكون خَالية منه مُقارنة بِبردة البُوصَيري، ومِن مَواضِعه القلِيلة نَذكر علَى سَبيل المِثال قول الشّاعر:

090. وَقيلَ كُـــلُّ نَبِيٍّ عِندَ رُتبَـــتِهِ وَيا مُحَمَّـــدُ هَذا العَـــرشُ فَاستَـــلِمِ

091. خَططتَ لِلدّيـــنِ وَالدُنيا عُلومَـــهُما يا قارِئَ اللَـوحِ بَل يا لامِـــسَ القَلَمِ

092. أَحَطـــتَ بَينَهُما بِالسِـرِّ وَانكَشَفَت لَكَ الخَـزائِنُ مِـــن عِلمٍ وَمِن حِكَـــمِ[1]

فهذه الأبيات فيها كَلام "لعلّه مَأخوذ مِمّا يذكرُه بَعض القُصّاص والعَوام من أنّ النّبيّ (ﷺ) ليلَة الإسراء والمِعراج اطّلع علَى اللّوح المَحفوظ، وعلِم ما فِيه مِمّا كان ومِمّا يكون، وهذا الكَلام بَاطل لا أصلَ له، وإن كَان النّبيّ صَلوات الله وسَلامُه علَيه قد

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، ص198.

رأى من آيات ربّه الكبرَى، لكنّه لم يَصحّ عَن أحدٍ أنّه أمسَك بِالقلم، ولَا أنّه نَظرَ في اللّوح المَحفوظ"[1]، ولنلاحِظ البَيت (48) مِن القصِيدة أيضا:

وصَاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرّسلِ سَائِلَةً مَتَى الوُرُود؟ وَجِبرِيلُ الأَمِين ظمِي[2]

والمتأمّل قلِيلا في الشّطرِ الثّاني مِن هذا البَيت قد يتنبَّه إلَى قَضية هامّة؛ وهي أنّ المَلائِكة لا تأكل ولا تشرَب فكيفَ لِجبريل أن يَظمَأ؟ "ولَعلّ الشّاعر أرادَ هُنا أن يُبيِّن خَطر هَذا اليوم وشِدّته، ولَكنه لم يُوفَّق فِي اختِيار الألفاظ"[3] المُناسِبة الّتي تُوصِل فِكرَته بِطريقَة صَحيحَة وسَليمة بَعيدة عن كلّ الشّبُهات.

4-3-2. الوَظِيفَة الدَعَويّة الإرشَادِيَّة وَقُوَّة المعَانِي:

لم تَخلُ قصِيدة نهج البُردة لأمِير الشّعراء مِن الوظِيفة الدّعوِيّة الإرشادِيّة، بَل كانَت واضِحة فِيها وَمُباشِرة، لِكثرة الفِتن في عَصر الشّاعِر وبِيئته، وتَفشِي مَظاهر اللّهو والمُجون والانحِراف الخُلقي والبُعد عَن الدّين تأثرًا بالحَضَارة الغَربيّة المُخالِفة لِشرع الله ودِينه، الأمر الّذِي جَعل شَوقي يُخصّص مَقطَعا كامِلا للتّحذِير مِن هَوى النّفس في بُردته، ويقول فيه:

025. يا نَفسُ دُنياكِ تُخفي كُلَّ مُبكيَةٍ وَإِن بَدا لَكِ مِنها حُسنُ مُبتَسَمِ
026. فُضّي بِتَقواكِ فاهاً كُلَّما ضَحِكَت كَما يَفُضُّ أَذى الرَقشاءِ بِالثَرَمِ
027. مَخطوبَةٌ مُنذُ كانَ الناسُ خاطِبَةٌ مِن أَوَّلِ الدَّهرِ لَم تُرمِل وَلَم تَئَمِ
028. يَفنى الزَمانُ وَيَبقى مِن إِساءَتِها جُرحٌ بِآدَمَ يَبكي مِنهُ في الأَدَمِ
029. لا تَحفَلي بِجَناها أَو جِنايَتِها المَوتُ بِالزَّهرِ مِثلُ المَوتِ بِالفَحَمِ
030. كَم نائِمٍ لا يَراها وَهيَ سَاهِرَةٌ لَولا الأَمانِيُّ وَالأَحلامُ لَم يَنَمِ

---

[1]– أبو منذر: **نهج البردة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.islamweb.net/media/print.php?id=12552، تاريخ النشر: 01 جانفي 2002م، تاريخ الاطلاع: 15 جوان 2019م.

[2]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، ص198.

[3]– أبو منذر: **نهج البردة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني السّابق، تاريخ الاطلاع: 15 جوان 2019م.

031. طَوراً تَمُـــدُّكَ فـي نُـمـى وَعافِـيَـةٍ وَتــارَةً فـي قَـرارِ البُـــوسِ وَالوَصَـمِ
032. كَـم ضَلَّلَتكَ وَمَن تُحجَـب بَصيرَتُـهُ إِن يَلقَ صابـا يَرِد أَو عَلــقَماً يَسُم
033. يـا وَيلَتاهُ لِنَفسـي راعَــها ودَهــا مُسوَدَّةُ الصُحــفِ فـي مُبيَضَّةِ اللَمَمِ
034. رَكَضتُها فـي مَريعِ المَعصِـياتِ وَما أَخَـذتُ مِن حِميَـةِ الطاعــاتِ لِلتُخَمِ
035. هامَت عَلـى أَثَــرِ اللَذّاتِ تَطلُبُــها وَالنَفسُ إِن يَدعُها داعي الصِبا تَهِمِ
036. صَلاحُ أَمــرِكَ لِلأَخلاقِ مَرجِـعُهُ فَقَوِّمِ النَفسَ بِالأَخــلاقِ تَســتَقِمِ
037. وَالنَفسُ مِن خَيرِها في خَيرِ عافِيَةٍ وَالنَــفسُ مِن شَرِّها فـي مَرتَـعٍ وَخِــمِ
038. تَطغى إِذا مُكِّنَت مِن لَـذَّةٍ وَهَــوىً طَغيَ الجِيــادِ إِذا عَضَّت عَلـى الشُكُـمِ
039. إِن جَلَّ ذَنبي عَنِ الغُفرانِ لـي أَمَـلٌ فـي اللَهِ يَجــعَلُني فـي خَيرِ مُعتَصِمِ[1]

ونلاحِظ جليا من خِلال هذه الأبيات الأسلُوب المُباشر لشَوقي في تقدِيم النّصح والإرشَاد وعِتاب النّفسِ ونَهيها عَن اتِّباع الهَوى والشّهَوات واللذّات مُبيّنا أن إصلَاحها وتقويمهَا لا يَكون إلَّا بالأخلَاق، وحِمية الطّاعات، وتقوَى الله عزّ وجَلّ، وأمّا الحَديث عن قوّة المَعاني وحُسن نَظم الشّاعِر لأبيَات قَصيدته وسَبكها –بَعيدا عَن ما وَردَ مِن بَعض المُغالاة فيها– فَهو أمرٌ مَفروغ مِنه خاض فِيه الكثِيرون قَبلنا، وحَكمُوا إيجَابا لصَالِح أحمَد شَوقي، وكَيف لَا تكون القضيّة مَحسومَة لِصالِحه وهو المُلقّب بأمِير الشّعراء وأَحَد مُخضرَمي عَصره، فَهذه القصِيدة تعدّ رائِعة من رَوائع الشّعر العَربي الحَديث الّتي درسها الدّارسون وشَرحها الشّارحون وأثنوا علَيها جَميعا، ولنأخذ أي بيت مِنها ونلتمِس قوَّة مَعانيه وتماسُكه وجَماليته، ففي البيت الأول مِنها مثلا:

ريمٌ عَلـى القـاعِ بَيــنَ البـانِ وَالعَلَـمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمـي فـي الأَشـهُرِ الحُـرُمِ[2]

شبّه شَوقي هنا جَمال مَحبوبته بِجمَال الظّبي الواقف بَين أشجار الغابة الخَضراء الخَلاّبة، إلّا أنّ مَنظر الظّبي شدّ انتباهه وأبهَره أكثر مِن جَمال الغابة، حَيث شبّه شِدّة

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، ص193–194.
[2]– نفسه، ص190.

جَمال الظّبي بالسّيف القاطِع الّذي قتلَه بالرّغم مِن حُرمة سَفك الدّمَاء في الأشهُر الحُرم (ذو القِعدة، ذوالحِجّة، مُحرَّم، رَجَب) في الإسلَام، ولا يُنكر أحَد قُوَّة المَعنى في هذا البيت الشّعري، وغيره من الأبيات الجيّدة والمُتقنة كثير في هذِه القصِيدة.

4-3-3. الاقتِبَاس منَ القُرآنِ الكَريمِ والسُنّة النّبويّة:

اقتبسَ شَوقي العدِيد من مَعانيه وجُملِه مِن القرآن الكَريم والحَديث النّبوي الشّرِيف ومِن أمثِلة ذلك قولُه في البَيت الأول مِن بُردته:

ريمٌ عَلى القاعِ بَيــنَ البانِ وَالـعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُر الحُـرُمِ

ففي الشّطرِ الثّانِي من البَيت قد يَكون شَوقي اقتبَس كلِمتي **(الأشهُر الحُرُم)** مِن قَولِه تعَالى: "**فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحصُرُوهُمْ وَاقعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرصَدٍ...**"[1]، ولنُلاحِظ البيت الآتي أيضا:

041. إذا خَفَضتُ جَنــاحَ الـذُلِّ أَسـأَلُــهُ عِزَّ الشَفاعَةِ لَم أَسأَل سِوى أُمَــمِ[2]

ففي الشّطرِ الأوّل مِن هذا البَيت علَى الأرجَح أنّ شَوقي قد اقتَبسَه مِن بِداية قوله تَعالَى فِي مُحكَم تنزيلِه: "**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**"[3] ولنُلاحِظ البيت الآتي أيضا:

113. ذُكِرتَ بِاليُتمِ فـي القُـرآنِ تَكـرِمَـةً وَقيـــمَةُ اللُؤلُؤِ المَكنــونِ فـي اليُتُمِ[4]

ففي الشّطر الثّانِي من هذا البَيت، علَى الأرجَح أنّ شَوقي قد أخذَ كَلمَتي: **(اللُؤلُؤ المَكنُون)** واقتبسَها مِن قولِه تعَالى: "**كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**"[5] مِن سُورة الواقِعة الّتي تَجعَل القارِئ يُدرِك مَكانة اليتيمِ عِند الله عَزّ وجَلّ.

---

[1]- سورة التوبة، الآية: 05.

[2]- أحمد شوقي: **الشّوقيات**، ص194.

[3]- سورة الإسراء، الآية: 24.

[4]- أحمد شوقي: **الشّوقيات**، ص193-194.

[5]- سورة الواقعة، الآية: 23.

وأمّا اقتباسُ شَوقِي مِن الحَديث النّبوي الشّريف فَهو قلِيل جدّا، ومِن أوضحِه –في نَظرنا– ذِكره لِبَعض أحداث قِصتَي الإسرَاء والمِعراج "ابتداء من البَيت (83) إلى البَيت (93)"؛ حِينما يقول في أول بَيت مِنه يشير فِيه إلى القصّة:

083. أَسرى بِكَ اللّـهُ لَيـلاً إذ مَلائِكـهُ والرُسلُ في المَسجِدِ الأَقصى عَلى قَدَمِ[1]

فقد ثبتَ عن هذه القصّة حَديث مُطوّل ومَشهور للإمام البُخاري يَقول فيه: عن مالِك بن صَعصَعة قال رَسول الله (ﷺ): "**بَينَا أنَا عِندَ البَيتِ بَينَ النّائِمِ واليَقظان – وذكر: يعني رجلاً بين الرّجلين – فأُتيتُ بطَستٍ مِن ذَهبٍ، مُلِئَ حكمةً وإيمانًا، فشُقَّ من النّحرِ إلى مَراقِّ البطنِ، ثم غُسِلَ البطنُ بماءِ زمزمَ، ثم مُلِئَ حكمةً وإيمانًا، وأُتيتُ بدابَّةٍ أبيضَ دون البغلِ وفوقَ الحمارِ: البُراقُ، فانطلقتُ مع جبريلَ حَتّى أتينا السّماءَ الدنيا.... وأجزي الحسنةَ عشْرًا**)[2] وإضافة إلى هذا الحَديث، هناك آيات قرآنيّة كثيرة تُثبت هذِه القصّة، مِن أهمّها قَوله تعالى: "**سُبْحَانَ الّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**..."[3] وكلّ هذِه الشّواهد تثبِت لَنا أنّ القرآن الكَريم (خاصّة) والسنّة النّبويّة مِن أهمّ مَصادر شِعر المَديح النّبوي ومَنابعه.

4-3-4. دِراسة الأَلفَاظ والحَقل المُعجَمِي الدِّينِي:

اعتمد شَوقي في قصِيدته هذِه –إضافة إلى ألفاظِ المدحِ والطّبيعةِ والحبّ والانكِسار– على الألفاظ الدّينيّة بِشكل واضِح بَعد انتهائِه مِن مَقطعَي النّسيب وذمّ النّفسِ عن الهوى، وهو ما جَعل من الحقل المُعجَمي الدّيني الإسلَامي حَقلا مُعجميّا بارزا من حُقول القصِيدة، ولنتأمّل الأبيات الآتية مَثلا:

039. إن جَلَّ ذَنبي عَنِ الغُفرانِ لي أَمَـلٌ في اللّـهِ يَجعَلُـني في خَيـرِ مُعتَصِمِ

---

[1]– أحمد شوقي **الشّوقيات**، ص198.

[2]– رواه البخاري.

[3]– سورة الإسراء، الآية: 01.

040. أَلقي رَجائي إذا عَزَّ المُجيرُ عَلى مُفَرِّجِ الكَرَبِ في الدّارَينِ وَالغَمَمِ

041. إذا خَفَضتُ جَناحَ الذُلِّ أَسأَلُهُ عِزَّ الشَفاعَةِ لَم أَسأَل سِوى أُمَمِ

042. وَإِن تَقَدَّمَ ذو تَقوى بِصالِحَةٍ قَدَّمتُ بَينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَدَمِ

043. لَزِمتُ بابَ أَميرِ الأَنبِياءِ وَمَن يُمسِك بِمِفتاحِ بابِ اللَهِ يَغتَنِمِ

044. فَكُلُّ فَضلٍ وَإِحسانٍ وَعارِفَةٍ ما بَينَ مُستَلِمٍ مِنهُ وَمُلتَزِمِ

045. عَلَّقتُ مِن مَدحِهِ حَبلاً أُعَزُّ بِهِ في يَومِ لا عِزَّ بِالأَنسابِ وَاللُحَمِ

046. يُزري قَريضي زُهَيراً حينَ أَمدَحُهُ وَلا يُقاسُ إِلى جودي لَدى هَرِمِ

047. مُحَمَّدٌ صَفوَةُ الباري وَرَحمَتُهُ وَبُغيَةُ اللَهِ مِن خَلقٍ وَمِن نَسَمِ

048. وَصاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرُسلِ سائِلَةٌ مَتى الوُرودُ؟ وَجِبريلُ الأَمينُ ظَمي[1]

ونلاحِظ أنّ الشّاعِر قد اعتمَد العَديد من الألفاظ الدّينيّة بشَكل واضِح وهي: "**جَلَّ ذَنبي، الغُفرانِ، اللَهِ، المُجيرُ، الدارَينِ، خَفَضتُ جَناحَ الذُلِّ، الشَفاعَة، تَقوى، الأَنبِياءِ، فَضلٍ وَإِحسانٍ، مُحَمَّدٌ، صَفوَةُ الباري وَرَحمَتُهُ، صاحِبُ الحَوضِ، الرُسل، جِبريلُ الأَمين**" ولنتأمّل الأبيات الآتية مِن خَواتيم قَصيدته أيضا:

177. يا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّم ما أَرَدتَ عَلى نَزيلِ عَرشِكَ خَيرِ الرُسلِ كُلِّهِمِ

178. مُحيِ اللَيالي صَلاةً لا يُقَطِّعُها إِلا بِدَمعٍ مِنَ الإِشفاقِ مُنسَجِمِ

179. مُسَبِّحاً لَكَ جُنحَ اللَيلِ، مُحتَمِلاً ضُرّاً مِنَ السُهدِ، أَو ضُرّاً مِنَ الوَرَمِ[2]

فَفِي هذِه الأبيَات أيضًا؛ اعتمدَ الشّاعِر علَى العدِيد من الألفاظِ والمصطَلَحَات الدّينيّة وهي: "**صَلِّ وَسَلِّم، عَرشِكَ، الرُسلِ، صَلاةً، مُسَبِّحاً لَكَ**"، وتدلّ هذِه الألفَاظ وغَيرها مِن الّتي اعتمدَها شَوقي في القصِيدة كَكُل علَى مَدى تشبُّعهِ بالثّقافةِ الدّينيّةِ الإسلَاميّةِ وتأثّره بِألفاظِ القرآن الكَريم خاصّة.

[1]– أحمد شوقي: **الشّوقيات**، ص194–195.

[2]– نفسه، ص207.

4-3-5. مَوضوعَات القصِيدة وأغرَاضهَا الشِّــعرِيَّة:

تميّزت قصِيدة نَهْج البُردة لأمِير الشّعراء بِتعدّد مَوضوعَاتها وأغراضهَا الشّعريّة، وهو أمرٌ حَتمِي بالنّظرِ إلى طُولِ القَصِيدة (190 بيتا شِعريا) مِن جِهة، واقتِفاء شَوقي نَهْج البُوصَيري في نَظم قَصيدَته الّتي تَعدّدت فِيها هي الأخرَى مَوضوعَاتهَا وأغرَاضهَا الشّعريّة من جِهة ثانِية، ونلخِّص مَواضيع القصِيدة كالآتي:

1- **النّسِيب:** مِن البَيت 01 إلى البيت 24 (24 بيتا).

2- **التّحذير من هَوى النَّفس:** من البيت 25 إلى البيت 39 (15بيتا).

3- **مَدْح الرَّسول:** من البيت 40 إلى البيت 53 (14 بيتا).

4- **مُعجزات الرَّسول:** من البيت 54 إلى البيت 74 (21 أبيات).

5- **مَولد الرَّسول:** من البيت 75 إلى البيت 82 (08 أبيات).

6- **قِصة الإسراء والمعراج:** من البيت 83 إلى البيت 93 (11 بيتا).

7- **العَودة إلى الحَديث عن معجزات الرَّسول:** من **البيت 94** إلى **البيت 99 (06** أبيات).

8- **مَدح الرَّسول ثانية والخُلفَاء الراشدين:** من البيت **100** إلى البيت **176** (**77** بيتا).

9- **الصّلَاة على النّبي والخُلفَــاء الرّاشدين:** من البيت **177** إلى البيت **185 (09** أبيات).

10- **المُناجاة والابتِهال لله تعالى والدّعاء بالخَير وحُسن الخِتام للأمّة الإسلَاميّة:** من البيت 186 إلى البيت 190 (05 أبيات).

وتعدّد المواضيع هذا يؤدي حَتما إلى تعدّد الأغراضِ الشّعريّة، وهو مَا لَاحظنَاه فِعلًا في هذِه القَصِيدة، خَاصّة وأنّ شَوقي اقتفَى نَهج القدمَاء فِي طَريقةِ نَظمِها (لِكونِها مُعارَضة لِبُردة الإمَام البُوصَيري المَشهورة)، وحتَّى لَا نُعيد كِتابة كلّ الأبيَات ويَطولَ بَحثنا كَثيرا دونَ فائِدة كَبيرة، يمكن التّحقّق بِسهولَة مِن مَضمونِ هذِه العَناوين بالعَودَة إلى مَلاحِق الدِّراسَة والاطِّلاع علَى القصِيدة كامِلة، والاستِعانة -إن أمكَن- بِشرحِها الوافِي فِي دِيوان الشَّوقيَات (المُجلّد الثّاني) لأحمَد شَوقي، أو غَيره مِن الشّروحَات.

5- المُوازنَة بين القَصيدَتين شَكلًا ومَضمونًا:

واجتهَدنا فِي هذِه المُوازنَة الشّعريّة علَى تَحدِيد أهمِّ أوجُه التّشابه والاختِلاف الّتي تمّ مُلاحَظتهَا بَعد الدِّراسَة البَسيطة الّتِي قُمنا بِها لِكلٍّ مِن القصيدَتينِ المُعتمدَتينِ كَمدوَّنَة بَحثٍ لِدراسَتِنا:

5-1. أوجُه التّشابه والاختِلاف مِن حَيث الشّكل:

5-1-1. أوجُه التّشــابه مِن حَيث الشّكل:

تشَابَهت هَمزيّة حَسّان بن ثابِت "عَفت ذات الأصَابع فالجواء" وقصِيدة نَهْج البُردة لأحمَد شَوقي مِن حَيث الشّكل فيما يَلي:

- كِلا القصِيدَتين مِن الشِّعر العَمودِي مَنظُومة علَى بَحرٍ مِن البُحور الطّوِيلة **(الوافر، البسيط)** الّتي تُتِيح للشّاعر التّنوِيع فِي استِعمَالَاته اللّغويَّة الشّعريَّة، حيث كان رَوِيّهما **(الهمزة، الميم)** من حُروف الرّوي الأكثرِ تداولًا في الشِّعر العَربي القَديم والحَديث، كمَا جَاء البَيت الأوّل مِنهما مُصَرَّعا يُضفي نَغما مُوسيقيا افتتاحِيا مُميَّزا، وجَاءت قَافية القَصيدتين مُطلَقة تتناسَب وطَبيعَة مَوضوعِهما ومُناسبتِه.

- تميّزت كلّ مِن القصِيدتين بِظاهرة التّوازي الحَاصل عَن تماثل البنَى النّحويّة للأبيات الشّعريّة، والّتي غالِبا ما يتولّد عَنها التّكرار بمُختلف أنواعِه، وتكون عامِلا مُساعِدا يُسهم في تَسهيل إقامَة الوزن الشّعري والتأثير علَى المتلَقي إيجابا.

- تميّزت كلّ مِن القَصيدَتين بِحضور عُنوانِهما -رغم أنّه مِن غَير وَضْع صَاحب القصِيدة في هَمزيّة حَسّان- والسّير على نَهج القدمَاء في طَريقة النّظم والتقيّد بالقواعِد الصّارِمة للقصِيدة العَموديّة رَغم اختِلافهما مِن حَيث الطّولِ والقصرِ.

5-1-2. أوجُه الاختِلاف من حَيث الشّكل:

اختلَفت هَمزيّة حَسّان بن ثابِت "عَفت ذات الأصَابع فالجواء" وقصِيدة "نهج البُردة" لأحمد شَوقي من حَيث الشّكل فيما يلي:

– قصِيدة نَهج البُردة (190 بيتا) أطوَل بِكثير مِن هَمزيّة حَسّان بن ثابِت (32 بيتا)، الأمر الّذي جَعل عَدد الأبيَات المَخصُوصة بِمدح رَسول الله (ﷺ) في هَمزيّة حَسّان بن ثابِت أقلّ بِكثير مِنه في قصِيدة نَهج البُردة لأحمَد شَوقي.

– العُنوان عِبارة عَن جُملة فِعليّة طَويلة نَوعا مَا (مَوضوعة مِن غَير صَاحِب القصِيدة)، وهي شَطرُ بيتٍ من أحدِ أبيات القصِيدة (داخِل نَصِّي) في هَمزيّة حَسّان، بينمَا هو عُنوان مُوجز إيحَائي تَنَاصّي (خارِج نَصّي) مُتقَن مَوضوع مِن طَرف صَاحِب القَصِيدة في نَهج البُردة لأحمَد شَوقي.

5-2. أوجُه التّـشَابه والاختِلاف مِن حَيث المَضمُون:

5-2-1. أوجُه التّـشَــابه مِن حَيث المَضمُون:

تشابَهت هَمزيّة حَسّان بنُ ثابِت "عَفت ذَات الأصَابع فالجواء" وقَصِيدة نَهج البُردة لأحمَد شَوقي مِن حَيث المَضمون فيما يلي:

– كِلا القَصيدَتين ذَات طَابع دِيني عَام يَختص بِمدح رَسول الله (ﷺ) رَغم تَعدّد مَوضوعَاتهما وأغراضِهما الشّعريّة، ويأخُذ وَظِيفة دَعويّة إرشَاديّة بَين الحِين والآخَر، وذاتُ نَظم مُحكَم، وَسبكٍ جَيّد، وأسلوبٍ جَزل، ومَعَانٍ قَويّة تُبرهِن عَلى قـوّة شِعر صَاحِبيهما، وبَراعتِهما، وإتقانهمَا، وتمكّنهمَا، وهو مَا يؤكّد أيضًا علَى استِحقاقِهما علَى لَقَبَي: شَاعر الرَّسول (حَسّان بن ثابِت)، وأمير الشّعراء (أحمَد شَوقي) .

– عاطِفة الشّاعِرَين صَادقة فِي مدح رَسول الله (ﷺ)، وكلَاهما يَعتمد الكثير مِن الألفاظِ الدِّينيّة، ويقتبِس بَعض جُملِه وعِباراته مِن القرآن الكرِيم تأثرا وإعجَابا به، وهوَ ما جَعل مِن الألفاظِ والحَقل المُعجمِي الدّينِيَين مِن أبرزِ الألفاظِ والحقولِ المُعجمِيّة الغالِبة علَى القَصيدَتين، وعلَى القَصائِد كَكُل.

– كلٌّ من القصِيدتين تقتبسان مِن القرآن الكَريم أكثرَ من السُنّة النّبويّة الشّريفة، وتتميّزان بِتعدّد مَوضوعَاتِهما وأغراضِهما الشّعريّة –رغم اختِلافِهما مِن حَيث الطّول

والقِـــصَر- بالطَريقَة نَفسها الّتي كَانت تُقام علَيها القصِيدة العَربية القَديمَة (الوُقوف على الأطلَال، النّسِيب، الوَصف، الافتِخار، الهِجاء، المَدح...)، مع غِياب بَعضِها في قصِيدة نَهج البُردة لـشَوقي.

5-2-2. أوجُه الاختِلاف مِن حَيث المَضمُون:

اختلَفت هَمزيّة حَسّان بن ثابِت "عَفت ذاتُ الأصَابع فالجِواء" وقَصِيدة نَهج البُردة لأحمَد شَوقي من حَيث المَضمون فِيما يلي:

- الطّابع الدّيني ومَلامِح التَّصوّف تظهَر بِوضوح في قصِيدة نَهج البُردة لأحمَد شَوقي عَكس هَمزيّة حَسّان الّتي تظهَر علَيها مَلامِح الحَياة الجَاهليّة أكثر مِن الطَّابع الدّينِي والرّوح الإسلَاميّة الّتي لَا تظهر إلّا في الجُزء الإسلَامي مِنها.

- تبتعِد هَمزيّة حَسّان بن ثابِت عَن المُغالاة في الدّين عَكس قَصِيدة نَهج البُردة لشَوقي الّتي تظهَر فِيها ملامح المُغالاة في بَعض الأبيَات الشّعرية مِنها (وقد أشرنا إلى هذا سابقا أثناء دراسة القصيدتين).

5-3. خُلاصَة المُوازنَة ونِقاط التّداخُل بَين القَصِيدَتين:

تَعدّدت أوجُه التّشابُه والاختِلاف بين قَصيدَتي هَمزيّة حَسّان بن ثابِت "عَفت ذات الأصَابع فالجِواء" ونَهج البُردة لأحمَد شَوقي وكَانت الغلَبة لأوجُه التّشابه، وتمثّل كلّ هذِه التّشابُهات والاختِلافَات -بِصفَة عَامّة- كَثيرا مِن أوجُه التّشابُه والاختِلاف بَين خَصائِص شِعر المَديح النّبوِي الفَصيح فِي عَصر صَدر الإسلَام والعَصر الحَديث، وتتداخَل هذِه الخَصائِص وتلتقِي فِي كَونها -بِغَض النّظرِ عَن مَكان الشّاعِر وزَمانه وبِيئتهِ وجِنسه وثقافتِه- نابِعة عَن عَواطف دِينيّة خَالِصة في حُبّ رَسول الله (ﷺ) ومَدحِه والثّناء عَليه، وبَيان أخلَاقه، وصِفاته الحَميدة، ومُعجِزاته ومَواقِفه النّبيلَة...إلخ، وكلّ ذلِك مِن أجلِ إعلَاء كلِمة الله تعَالى والدّفاعِ عَن نَبيّه (عليه الصّلَاة والسّلَام) والدّينِ الإسلَامي عَامّة والسّعي إلَى نشرِه وتبليغِه.

خَـــاتِـــمَة

خَاتِـمة:

فِي خِتَامِ دِراسَتنا هَذِه؛ المَوسُومَة بِـ: "**خَصَائِص شِعرِ المَدِيحِ النَّبَوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ وَالعَصرِ الحَدِيثِ، دِراسَة مُوازِنَة بَينَ أنموذجَين مُختَارَين**"، سَنُوجِزُ أَهَمَ النَتائِجِ وَالاستِنتَاجَات السّابقة الّتِي تَوصَّلنَا إليهَا مُرَتَّبةً كالآتي:

1- العِلَاقَة بَينَ المَديحِ النّبَوِي والرِّثاءِ عَلَاقةُ تَشَابه فِي الشّكلِ (كلَاهُما شِعْر)، والمَضمُونِ (ذِكرُهما لمَحَاسنِ شخصٍ ومَنَاقبِه وخِصَالِه...) غيرَ أنّ غَرَضَ الرِّثاءِ يَغلِبُ عَليهِ طَابعُ الحُزنِ والأسَى والتّفجُّع، ولا يكونُ إلاّ في ميّت، أمَّا المدحُ فيكونُ في حَيٍّ، ولا تُصَنَّفُ المدائحِ النّبويّةِ رثاءً لأنَّ الشّعراءَ كأنّهُم لَحَظُوا مِن جِهَة أنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) وكأنَّه مَوصولُ الحياةِ، وأنّهُم يُخاطِبونَه كمَا يُخاطبونَ الأحيَاءَ، ولَاحَظوا مِن جِهةٍ ثانيةٍ أنّ مَدحَه (ﷺ) لَا يتضَمّنُ مَلامحَ إعلَانِ التّفجّعِ والحَسرةِ والحُزنِ علَى لَحظةِ مَوتِهِ وفراقِهِ، لأنَّ مُعظمَ الشّعرَاء -باستِثناءِ مَن شَهدُوا وفَاتهُ مِن مُعاصِريهِ- لَم يَكونُوا شَاهدِين عليهَا أصلَا.

2- البِدَايات الأولَى للمَديحِ النّبَوِي كَانت معَ "عَبد المُطّلِبِ" (ت 578م) جَدُّ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، وَعَمّهِ "أبو طَالبٍ"(85 ق هـ- 3 ق هـ)، ولَيسَ الأعشَى (ت 7هـ) كمَا يذهبُ إليهِ الكَثير مِنَ البَاحثِينَ والدّارسينَ، لأنَّ هَذا الأخيرَ (الأَعشَى) كَانَ هَدفُه مِن مَدحِ رَسولِ اللهِ (ﷺ) هُوَ **التكَسّب** بالدّرجَة الأولَى.

3- أسبَابُ انتِشارِ شِعرِ المَديحِ النَّبوِي وَشُيُوعِه فِي مُختلفِ الأوطَانِ عبرَ كُلِّ العُصورِ والأزمِنةِ أسبابٌ كثِيرة ومُتداخِلة أَهَمُّها **أسبَابٌ دِينيّةٌ** عَقائِديّةٌ بالدّرجَة الأولَى تهدف إلى نشر الدّين الإسلامي، **وأسبَاب جُغرافيّة** تتمثّل فِي اتّسَاعِ رُقعَةِ الدّولَةِ الإسلَاميّةِ جُغرافيًا، **وأسبَاب سّياسيّة** ولّدتهَا كَثرَة الحُرُوبِ الدّامِية والنّزاعَاتِ مِثل "الحُرُوب الصّليبيّةِ ومَعَارِكِ "التَّتَار"، **وأسبَابٌ اجتِمَاعِيّة نَفسِيّة** باعتبَارِ المَدَائِح النّبويّة حَاجَة اجتمَاعِيّة وَنَفسِيّة فِي ظَرفٍ فَقَد فِيه المُجتَمَع تَمَاسكه، وتراكمَت فِيهِ

الأحزَانُ والمآسي، و**أسبَاب تَعليمِيّة تربَويّة** فِي العَصرِ الحَديثِ وَعَصرِنا هَذا خَاصّةً بِسَببِ كَثرةِ المَدَارِسِ والثّانوياتِ والجَامِعَاتِ والمَعَاهِدِ فِي البِلَادِ الإسلَاميّةِ، واهتمَامِهَا بتَدرِيسِ سِيرَة الرّسولِ (ﷺ) وإحياءِ ذِكرى مَولِده.

4- اتّخذَت قَصيدَة المَديحِ النَّبوِي عِدّة أشكالٍ وأصنافٍ وتسمياتٍ مُعيَّنَةٍ، اختلفَت بِحَسَبِ طَبيعَةِ مَضمُونِها، أَو سَببِ نظمِها، أو زَمنِه أو غَيرِ ذلكَ، ومِن أهمّ أشكَالِها: البَديعِيَات النّبوَيّة، المُعَارَضَات النّبَوِيّة، المَولِديَات النّبوِيّة، النِّعَالِيَات النّبوِيّة، الحِجَـازِيَات النّبوِيّة، المَلَاحِم الشّعرِيَّة النّبَويَّة... وَمَهمَا اختلَفتْ تَسمِيَات هَذِه المَدَائِح فَمَرجِعيَتها التَناصِيّة وَمَصدَر المَعلُومَات الدّينِيّة وَالتارِخِيّة الوَارِدة فِيها مُستَوحَاة مِن القُرآن الكَريم، والسُنّةِ النّبوِيّةِ الشّريفَةِ، ومُختلَف كُتُبِ التّفسِير والمُصَنّفَاتِ الّتِي كُتبَت حَولَ سِيرَةِ الرّسُولِ (ﷺ) سَواءً أ كَانتْ قديمَةً أم حَدِيثةً.

5- عَرفَت أشعَارُ المَدائِح النّبويّةِ عَبر مُختلَف العُصورِ والأزمِنَة رُدودَ فِعلٍ مُختلِفةٍ ومُتَرَاوِحَةٍ بَينَ القَبُولِ والرّفضِ مِنَ طَرَفِ الفُقهَاء والأُدبَاء والشُّعرَاء والنّقادِ وَغَيرهِم، وَذلِك حِينَما يَتعَلّقُ الأمرُ بِطبِيعَةِ المَادّة الدّينِيّة المُتضَمّنَة فِي مُختَلَف الأشعَارِ وَمَدَى مُطَابقتِها لحَقِيقةِ وَوَاقِع حياة الرّسول (ﷺ) وصِفاتِه، وَقَد رَصَدنَا ثَلاثةَ مَواقِف مُتبَاينَة هي: **مَدِيح نبوِيّ مَقبُول** وارد وكثير اتُفِق عَلى قَبولِه، **ومَدِيح نبوِيّ مَرفُوض** قليل الورود اتُفِقَ عَلَى رَدِّهِ وإنْكَارِه والنّهي عَنه لِأنَّهُ يَخرُج بِرَسولِ اللهِ (ﷺ) مِن مَرتَبةِ الإنسَانيّةِ وَالعُبُودِيّة للهِ تعَالَى إلَى رُتبَة الأُلُوهِيّةِ، **ومَدِيح نبَوِيّ مُختَلَف فِيهِ** واردٌ وكثيرٌ اختُلِف فيهِ بينَ القَبُولِ والرَّفضِ؛ بِسَبَبِ غُلُو بَعضِ المَادِحِينَ ومُبَالغَتِهم فِي وَصفِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ومدحِه.

6- لم تقتصر المَدَائِحَ النّبويّةَ -عَبرَ مُختلَف العُصُور- عَلَى فِئَة الرِّجَال فَقَط، بَل حَتى النّسَاء أدلَينَ بِدَلوِهنَّ فِي هَذا المَوضُوع، لأنّ المَرأة مِثلُها مِثل الرّجلِ تُؤثرُ وتتأثرُ بِما يَدورُ حَولَهَا فِي المُجتمَع، وَلأنَّ الرّسُول (ﷺ) مَبعُوثٌ للعالمينَ جَميعًا

وَقُدوةٌ للّذينَ آمنُوا بِه نِساءً كَانُوا أَم رِجَالًا، وَلأنَّ فَضلَ الرّسولِ (ﷺ) كَانَ عَلَى الجَميعِ دُونَ اِستثناءٍ كَانَ مَحلَّ فَخرٍ وإعجابٍ وثناءٍ مِن طَرَفِ الجَميعِ بما في ذلك المَرأة، إلّا أنّ ذِكرَ مَدحِها وَتوثِيقِهِ واهتمامِ الدّارسينَ بِه كَانَ قَليلاً جِدًّا –وغيرُ مَذكور فِي المُؤلفَات والمُصنَّفات.

7- مِن أبرزِ أعلامِ شُعرَاءِ المَديحِ النّبَوِي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ الّذِينَ ذَاعَ صِيتُهم أثناءَ حَياةِ الرّسُولِ (ﷺ)، وأثنَاءَ مُرافقَتِهم لَهُ: شَاعِرُ الرّسُولِ حَسّان بنُ ثابِت الأنصَاري (ت 54هـ)، وكَعب بنُ مَالِك الأنصَارِي (ت 51هـ)، وعَبدُ الله بنُ روَاحَة (ت 08 هـ)، وغَيرُهم مِن الشُّعرَاء الّذِينَ تميّزَت مَدَائِحُهم مِن حَيثُ شَكلِهَا وَهيكَلِهَا العَام باستِنَادِها إلَى الخَصَائِص المَعرُوفَة للقَصِيدَة العَمُوديّةِ الجَاهِليّةِ؛ القَائمَةِ عَلَى نِظَام الشّطرَينِ وَوِحدَةِ الرّوِي والقَوافِي وَالتّصرِيع، وغَيرِها مِنَ الضَوابِط الشّكلِيّةِ، كما رَصَدنا بَعضَ الخَصَائِص الأخرَى مِثلَ: اعتِمَادِ أوزَانِ البُحُورِ الطَويلَة وكَثرَة ظَاهِـرَة التَّوَازي وتَولُّد التّكرَار الإيقَاعِي عَنهَا، وَقلَّة الأبيَاتِ المَخصُوصَة بِمدحِ الرّسُولِ وقِصَر القَصَائدِ قبلَ وَفاتِه، وَغِيابِ عُنوانِهَا...

8- مِن أَهَمّ خَصَائصِ شِعرِ المَديحِ النّبَوي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَامِ مِنْ حَيثُ المَضمُونِ هُوَ قُوَةُ مَعَانِيه، والطَابعُ الدّينِي الإسلَامِي، وَصِدق المَشَاعِرِ بَعِيدًا عَنِ المُغَالَاة والتّعَصُّبِ، إضَافَةً إلَى الوَظِيفَة الدَّعويّة الإرشَادِيّة الهَادِفَة إلَى نَشرِ تَعَالِيمِ الدّين الإسلَامِي وَمَبادِئهِ الدّاعِيَةِ إلَى صَلَاحِ الفَردِ والأمَّةِ، كَمَا تَميّزَت الأشعَارُ بِالاقتِبَاسِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ أكثرَ مِن السُّنة النّبويّة، وَكَثرَة الألفَاظِ والحَقلِ المُعجَمِي الدّينِي الإسلَامِي، وتَعَدُّدُ المَواضِيعِ والأَغرَاضِ الشّعريّةِ فِي القَصِيدَة الوَاحِدَة.

9- مِن أبرَزِ أعلَامِ شُعَراءِ المَديحِ النّبَوِي فِي العَصرِ الحَدِيث: الشّاعِر الكَبِير "مَحمُود سَامِي البَارُودي"، وَأَمِير الشّعَرَاء "أحمَد شَوقِي"، وَالشّاعِر "أحمَد مُحَرَّم"، والإمَام "يُوسف النّبهَانِي"، وآخرون كَثِيرون تَميّزَت مَدائِحُهم مِن حَيثُ شَكلِهَا وَهيكَلهَا

العَام –مِثلُهم مِثلَ شُعراءِ صَدرِ الإسلَامِ– بِاستِنَادِها إلَى الخَصَائِص المَعرُوفَة للقَصِيدَة العَمُودِيّةِ–لأَنَ أغلَبَ المَدَائِح كَانَت عِبارَة عَن مُعارَضاتٍ للقَصَائِد القَدِيمة– القَائمَةِ عَلَى نِظَام الشّطرَينِ وَوِحدَةِ الرّوِي والقَوافِي وَالتَّصرِيع... كمَا رَصَدنَا خَصَائصَ أخرَى مثلَ اعتمَادِ أوزَانِ البُحُورِ الطَّويلَة وكَثرَة ظَاهِـرَة التَّوَازي وتَولُّد التّكرَار الإيقَاعِي عَنهَا وكثرة الأبيَاتِ المَخصُوصَة بِمدحِ الرّسُولِ وطُولِ القَصَائدِ وإتقان عَنَاوِينِها.

10– تَتشابه خَصَائصِ شِعرِ المَدِيحِ النّبَوي فِي العَصرِ الحَديث مِن حَيثُ مَضمُونِها مع كَثيرٍ مِن خَصَائِص المَدَائحِ النّبويّة فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام –عَدَا المُبالغَة فِي الوَصف وكَثرة المُغَالَاة بِسبَبِ التَصوُّفِ أو التشيُّع عندَ العديدِ من الشّعرَاء– فَهي متَعَدّدة المَواضِيع والأَغرَاضِ الشِّعريّةِ فِي القَصِيدَة الوَاحِدَة، وقَويّةُ المَعَانِي وذات طَابعٍ دينِيٍّ إسلَامِيٍّ واضح، وَذات وَظِيفَة دَعَويّة إرشَادِيّة هَادِفَة، كَمَا تَميّزَت بِاقتِبَاسِ الكثير من ألفاظها ومعانيها مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ أكثرَ مِن السُّنة النّبوِيّة الشّريفَة...

11– تعدّدت أوجُه التّشابهِ والاختِلافِ بينَ قصِيدتَي همزيّة حَسّان بن ثابت "عَفَت ذَات الأصَابع فَالجِواء" وَنَهج البُردة لأحمَد شَوقِي اللّتانِ اعتمَدناهُما كَمدَوّنة بَحثٍ لِهذه الدّراسَة، وَهي تُمثِل فِي مُجملِها كَثيرا مِن أوجُهِ التشَابه والاختِلَاف بَين خَصَائص شِعر المَديحِ النّبوِي الفَصِيح بَين عَصرِ صَدر الإسلَام والعَصرِ الحَدِيث، وتتداخلُ هذِه الخَصَائص وتلتقي فِي كَونِها نَابِعة عَن عَواطِف دِينيّة خَالِصَة فِي حُبّ رَسولِ الله (ﷺ) وَمدحِه والثّناءِ عَليهِ وَبيانِ أخلَاقِهِ وَصِفَاتِه الحَميدَة ومُعجزاتهِ ومَواقِفِه النّبيلةِ...إلخ، وَكلّ ذلِك مِن أجلِ إعلَاءِ كَلمةِ اللهِ تعالَى والدّفاعِ عَن نبيّهِ والدّينِ الإسلَاميّ والتخفيف من الضغوط النفسية والاجتماعية...

خَاتِـــــمَة

وفي خِتام هَذه الدّراسَة، يبقَى العَديد مِن هَذه الخَصَائِص والسّمات الّتي تَوصَّلنا إليها فِي شِعر المَديحِ النّبوي الفصِيح فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام والعَصرِ الحَديث أو أيّ عَصرٍ آخر خَصَائصًا نِسبيّة، قد لَا تنطبِق عَلى بعض نُصوصِ شِعر المدِيح النّبوِي الفصِيح، لأنّها فِي حَقيقتها عبَارة عَن نصُوص شِعريّة كبقيّةِ النّصُوصِ؛ مَفتوحَة علَى تأويلَات وقِراءات مُتعدّدة أخرَى، قد تكُون مُتشابِهة أو مُتباينة فِيما بَينها، وتَحتاجُ إلى دِراسَات أدبيّة ونَقديّة أخرى مِن زَاويا نظرٍ أخرَى تكشِف عَن سِماتٍ وخصَائِص أخرى لَها لَم نتطرّق إليهَا فِي بَحثنا هَذا.

مَلاحِق الدِّراسَة

قَصَـائِدُ مُـدَوّنـة البَـحثِ:

1-1. مُدَونَـة عَـصر صَـدرِ الإسـلَامِ:

القَصِيدة المُعتمَدة لهذا العَصر هِي قَصِيدة: "**عفت ذَات الأصَابع فالجِواء**" لشاعر الرّسول "حَسّان بن ثابِت الأنصاري" وعدد أبياتها (32) بيتا شِعريا:

1. **عَفَـــتْ ذَاتُ الأصَـابِعِ فـالــجـواءُ إلَـــى عَـــذرَاءَ مَنـزِلـــهَا خَـــلاءُ**
2. **دِيَارٌ مِنْ بَنـي الحَســحَاسِ قَـــــفْرٌ تُعـفِّيها الـرَّوامِـسُ والسَّـــمَـاءُ**
3. **وكانَـتْ لا يَـزَالُ بِـــــــهَا أنِيـــسٌ خِـــلالَ مُـــرُوجِـهَا نَعَـــمٌ وَشَـاءُ**
4. **فَـدَعْ هـــذا، وَلَـــكن مَنْ لِطَـيفٍ يُـؤرّقُـــني إذا ذَهَـــبَ العِشـــاءُ**
5. **لِشَعثَـــــاءَ الّتـــي قَـد تيَّـــمَـــتهُ فَلَيـــسَ لقلـبهِ منـــها شـفاءُ**
6. **كَـأنّ سَبِـيئَـــــةً مِنْ بَيْـتِ رَأسٍ يَكُـــونُ مِـزَاجهَا عَسَـــلٌ وَمَـاءُ**
7. **عَلى أنـــيَابهَا، أوْ طَـــعـمَ غَـضٍّ مِـنَ الـتّفَاحِ هَصْـــرهُ الجَـنـاءُ**
8. **إذا مـــا الأشـــربـاتُ ذُكرنَ يـوماً فَـــهُنّ لِطَـيّـــبِ الـرَّاحِ الفِـدَاءُ**
9. **نُوَلّيها المَـــلامَـــــةَ، إنْ أَلَـمْـنَا إذا مـا كـانَ مَـغْثٌ أو لِـحـــاء**
10. **ونشـربها فـــتَـتـركُـــنا مُلـوكاً وأُســداً ما يُـنَـــهْنِـهُنَا اللّـقـاءُ**
11. **عَدِمْنَا خَيـلَـــنا، إنْ لـم تَـرَوْهَا تُثِـيرُ النّـــقْعَ، مَـوْعِـدُها كَـدَاءُ**
12. **يُبَارِينَ الأعِـــنّـــةَ مُصـــعِـدَاتٍ عَلَى أكـــتَـافِهَا الأسَـلُ الظـّمـاءُ**
13. **تَظَلُّ جِـــيَادُنَـــا مُتَمَـــطِّرَاتٍ تلـطـمـهـنّ بالـخـمرِ النـســاءُ**
14. **فإمّا تُعـــرِضُوا عنّا اعتَـــمَرنَا وكـــانَ الفَتـحُ، وانْكَشَفَ الغِطـاءُ**

15. وإلّا، فاصـــــبِروا لِجَـــلَّادِ يَـومٍ يُـعزُّ اللهُ فـيـهِ مـــــنْ يشـاءُ
16. وَجِبـــرِيلٌ رَسُـولُ اللّـهِ فِيـــــنَا وَرُوحُ الـقُـدسِ لَيْسَ لَـــهُ كِفَـاءُ
17. وَقَـالَ اللَّهُ: قَـــدْ أرْسَـــلْتُ عَـبداً يقــولُ الحقَّ إنْ نفــعَ البـــلاءُ
18. شَهِـدْتُ بِهِ، فَقُـومُـــــوا صَـدِّقُوهُ! فـقُـلـتمْ: لا نـقـومُ ولا نـشـــــاءُ
19. وَقَـالَ اللَّـهُ: قَـــــد يَسّـرْتُ جُنْداً هــمُ الأنـصَارُ، عُرْضَـتُها اللّـقَاءُ
20. لَنَـا فِـي كُـلّ يَـــومٍ مِـــن مَعَدٍّ سِبـــابٌ، أوْ قِـتَـالٌ، أوْ هِجَـــاءُ
21. فَنَحـكُـــمُ بالقَـوَافِـي منْ هَـجَانَا ونـضـــربُ حِيـنَ تخـتلطُ الدمَـاءُ
22. ألَا أبـلِغْ أبَـا سُـــفيَـــانَ عنّـــي فَأنتَ مُـــجَـــوَّفٌ نَـخِبٌ هـوَاءُ
23. بِأنَّ سُيُـــوفِنَا تَـركَـــتكَ عَبدًا وَعَبـــدُ الـــدَار سَادَتُـها الإمَـاء
24. هَجَـــوتَ مُحَـمّداً، فَأجَـبْتُ عنهُ وَعِنـــدَ اللهِ فِـــي ذَاكَ الـجَـزَاءُ
25. أتَهـــجُوهُ، وَلَـسْتَ لَـــهُ بكُـفْءٍ فَشَـرُّكُما لِـخَـــــيْرِكُمَا الـفِـدَاءُ
26. هَجَوتَ مُبَـــاركاً، بـــــراً، حَنِيفاً أمينَ اللهِ، شِيمَـــــتُهُ الـــوَفَـاءُ
27. فَمَنْ يَهْجُو رَسُـــــولَ اللَّهِ مِنكُمْ وَيَمـدَحُهُ، وَيَـــنـصُـرهُ سَـــواءُ
28. فَإنّ أبِـي وَوَالِـــدَهُ وَعِـــرْضِي لِعِرضِ مُحمّـــدٍ مِـــنكـمْ وِقَـاءُ
29. فإمّـا تثقَـــفَنَّ بَـنُـو لُـــــؤيٍ جُذَيْمَةَ، إنّ قَتـــــــلَهُمُ شِـفَـاءُ
30. أولَئكَ معشرٌ نصـــــرُوا عَلـيـنَا فَفِي أظـــفَارِنَا مِنـــــهُمْ دِمَـاءُ
31. وَحِلْفُ الحَـــارِثِ بْن أَبِي ضِرَارٍ وَحِلـــفُ قُـرَيْظَةٍ مِنّـــــا بَـرَاءُ

32. لِسَـــــانِي صَـارِمٌ لَا عَيبَ فِيـــهِ وَبَـحــرِي لَا تُكَـــــــدِّرُهُ الّــدِلَاءُ[1]

1-2. مُدوَنَة العَصــر الحَــدِيث:

القصيدة المعتمدة لهذا العصر هي قصيدة "**نَهْج البُردة**" لأميرِ الشّعراء "أحـمَد شَوقي" وعدد أبياتها (190) بَيتا شِعريا:

001. ريمٌ عَلى القاعِ بَيــنَ البانِ وَالـعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُـرُمِ

002. رَمــى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَـداً يا ساكِنَ القـاعِ أَدرِك ساكِـنَ الأَجَمِ

003. لَمّا رَنـــا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَـــةً يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي

004. جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهـمَ في كَبِدي جُــرحُ الأَحِبـَّةِ عِنـدي غَيرُ ذي أَلَمِ

005. رُزِقتَ أَسمَحَ ما فِي النّاسِ مِن خُلُقٍ إِذا رُزِقتَ اِلتِمـاسَ العُذرِ في الشِيَمِ

006. يا لائِمي في هَـــواهُ وَالهَـوى قَدَرٌ لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَـــم تَعذِل وَلَم تَلُم

007. لَقَد أَنَلتُكَ أُذنـــــاً غَيرَ واعِـــيَةٍ وَرُبَّ مُنتَـصِتٍ وَالقَلبُ فـــي صَمَمِ

008. يا ناعِسَ الطَرفِ لا ذُقتَ الهَوى أَبَداً أَسهَرتَ مُضناكَ في حِفظِ الهَوى فَنَـمِ

009. أَفديكَ إِلفاً وَلا آلــو الـخَيالَ فِـدًى أَغراكَ بِالبُـخلِ مَن أَغـــراهُ بِالكَرَمِ

010. سَرى فَصــادَفَ جُرحــاً دامِياً فَأَسا وَرُبَّ فَضلٍ عَلـــى العُشّـاقِ لِلحُلُمِ

011. مَنِ المَوائِسُ بانــاً بِالرُبـــى وَقَنـاً اللاعِباتُ بِروحـــي السافِحاتُ دَمـي

012. السافِراتُ كَأَمثـالِ البُدورِ ضُــحىً يُغِرنَ شَمسَ الضُحى بِالحَلي وَالعِصَمِ

013. القاتِلاتُ بِأَجفـــــانٍ بِها سَقَـــمٌ وَلِلمَنِـــيَّةِ أَسبابٌ مِـــــنَ السَقَمِ

---

[1] – حسّان بن ثابت: **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**، ص17 إلى ص21.

014. العاثِراتُ بِأَلبـــابِ الـــرِجالِ وَمـا أُقِلنَ مِن عَثَراتِ الـــدَلِّ فـــي الرَسَمِ

015. المُضرِماتُ خُـدوداً أَسفَرَت وَجَلَت عَن فِتنَةٍ تُسلِمُ الأَكبـــادَ لِلـــضَرَمِ

016. الحامِلاتُ لِـــواءَ الحُسنِ مُختَلِـفاً أَشكالُـــهُ وَهوَ فَـــردٌ غَيرُ مُنقَسِمِ

017. مِن كُلِّ بَيضاءَ أَو سَمـــراءَ زُيِّنَـتا لِلعَينِ وَالحُسنُ في الآرامِ كَالعُـصُمِ

018. يُرَعنَ لِلبَصَرِ السامي وَمِـن عَجَـبٍ إِذا أَشَرنَ أَسَـــرنَ اللَـــيثَ بِالغَنَمِ

019. وَضَعتُ خَدّي وَقَسَّمتُ الفُؤادَ رُبـــيً يَرتَعنَ فـــي كُنُـــسٍ مِنـهُ وَفي أَكَمِ

020. يا بِنتَ ذي اللَبَدِ المُحَمّى جانِبُـــهُ أَلقاكِ في الغابِ أَم أَلقاكِ في الأُطُمِ

021. ما كُنتُ أَعلَمُ حَتّـــى عَنَّ مَسكَنُـهُ أَنَّ المُـنـى وَالمَنايـا مَضرِبُ الخِيَمِ

022. مَن أَنبَتَ الغُصنَ مِن صَمصامَةٍ ذَكَرٍ وَأَخرَجَ الريـمَ مِن ضِـــــرغامَةٍ قَـرِمِ

023. بَيني وَبَينُكِ مِن سُمرِ القَنا حُجُبٌ وَمِثلُها عِفَّـــةٌ عُذرِيَّـــةُ العِصَمِ

024. لَم أَغشَ مَغناكِ إِلّا في غُضونِ كَرىً مَغناكَ أَبعَدُ لِلمُشـــتاقِ مِـــن إِرَمِ

025. يا نَفسُ دُنيـاكِ تُخفـي كُلَّ مُبكِيَةٍ وَإِن بَدا لَكِ مِنها حُسنُ مُبتَـــسَـمِ

026. فُضّي بِتَقـواكِ فاهاً كُلَّما ضَحِكَت كَما يَفُـضُّ أَذى الرَقشاءِ بِالـــثَرَمِ

027. مَخطوبَةٌ مُنذُ كـانَ الناسُ خاطِبَةٌ مِن أَوَّلِ الدَهـرِ لَم تُرمِـل وَلَم تَئَمِ

028. يَفنى الزَمانُ وَيَبقى مِن إِساءَتِها جُرحٌ بِآدَمَ يَبـــكي مِنـــهُ فـي الأَدَمِ

029. لا تَحفَلي بِجَنـــاها أَو جِنـايَتِـها المَوتُ بِالزَهـــرِ مِثـلُ المَوتِ بِالفَحَمِ

030. كَـــم نائِمٍ لا يَراها وَهـيَ سـاهِرَةٌ لَولا الأَمانِـــيُّ وَالأَحـــــلامُ لَم يَنَمِ

031. طَوراً تَمُـــدُّكَ فـي نُـمـى وَعافِـيَـةٍ وَتــارَةً فـي قَـرارِ البُـــؤسِ وَالوَصَمِ

032. كَـم ضَلَّلَتكَ وَمَن تُحجَـب بَصيرَتُـهُ إِن يَلقَ صابـا يَرِد أَو عَلـــقَماً يَسُم

033. يـا وَيلَتاهُ لِنَفسـي راعَــها وَدَهـــا مُسوَدَّةُ الصُحــفِ فـي مُبيَضَّةِ اللَمَمِ

034. رَكَضتُها فـي مَرِيعِ المَعصِـياتِ وَما أَخَـذتُ مِن حِميَـةِ الطاعــاتِ لِلتُخَمِ

035. هامَت عَلـى أَثَــرِ اللَذّاتِ تَطلُبُــها وَالنَفسُ إِن يَدعُها داعي الصِبا تَهِمِ

036. صَلاحُ أَمـــرِكَ لِلأَخلاقِ مَرجِـعُـهُ فَقَوِّمِ النَفسَ بِالأَخــلاقِ تَســـتَقِمِ

037. وَالنَفسُ مِن خَيرِها فـي خَيرِ عافِيَةٍ وَالنَــفسُ مِن شَرِّها فـي مَرتَـعٍ وَخِــمِ

038. تَطغى إِذا مُكِّنَت مِن لَـذَّةٍ وَهَــوىً طَغيَ الجِيـادِ إِذا عَضَّت عَلـى الشُكُـمِ

039. إِن جَلَّ ذَنبي عَنِ الغُفرانِ لـي أَمَـلٌ فـي اللَـهِ يَجعَلُـني فـي خَيـرِ مُعتَصِمِ

040. أَلقـي رَجائي إِذا عَزَّ المُجيرُ عَلى مُفَـرِّجِ الكَرَبِ فـــي الدارَينِ وَالغَمَمِ

041. إِذا خَفَضتُ جَنــاحَ الـذُلِّ أَسأَلُــهُ عِزَّ الشَفاعَةِ لَم أَسأَل سِوى أُمَـــمِ

042. وَإِن تَقَـــدَّمَ ذو تَقوى بِصالِـحَــةٍ قَدَّمتُ بَينَ يَدَيـهِ عَبـــرَةَ النَـــدَمِ

043. لَزِمتُ بابَ أَميـرِ الأَنبِياءِ وَمَـــن يُمسِك بِمِفتـــاحِ بابِ اللَـهِ يَغتَـــنِمِ

044. فَكُلُّ فَضـــلٍ وَإِحسانٍ وَعارِفَـــةٍ مـــا بَينَ مُستَلِمٍ مِنـهُ وَمُلـــــتَزِمِ

045. عَلَّقتُ مِن مَدحِـهِ حَبلاً أُعَزُّ بِـــهِ فـي يَـومِ لا عِزَّ بِالأَنسابِ وَاللُـحَمِ

046. يُزري قَريضي زُهَيراً حيـنَ أَمدَحُـهُ وَلا يُقاسُ إِلـى جـودي لَدى هَـــرِمِ

047. مُحَمَّـــدٌ صَفوَةُ الباري وَرَحمَــتُهُ وَبُـغيَةُ اللَـهِ مِـن خَلـقٍ وَمِـــن نَسَمِ

048. وَصاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرُسلِ سائِلَةٌ مَتـى الـوُرودُ؟ وَجِبريلُ الأَمينُ ظَمـي

049. سَنـــــاؤُهُ وَسَناهُ الشَمسُ طالِـعَةً فَالـــجِرمُ فـي فَلَكٍ وَالضَـــوءُ فـي عَلَمِ

050. قَد أَخطَأَ النَجمَ ما نالَـــت أُبُـوَّتُـهُ مِن سُؤدِدٍ بـــاذِخٍ فـي مَظـــهَرٍ سَنِمِ

051. نموا إِلَيهِ، فَـزادوا في الـوَرى شَرَفـاً وَرُبَّ أَصلٍ لِفَـرعٍ فـي الفَخـــارِ نُمـي

052. حَواهُ فِـــي سُبُحاتِ الطُهرِ قَبلَـهُـمُ نـورانِ قامــا مَقـامَ الصُلـــــبِ وَالرَحِمِ

053. لَمّـــــا رَآهُ بَحيرا قـالَ: نَـــعرِفُـهُ بِما حَفِظنـــا مِـنَ الأَسمـــاءِ وَالسِّيَمِ

054. سائِل حِراءَ وَروحَ القُدسِ هَل عَلِما مَصـــــونَ سِرٍّ عَـــنِ الإِدراكِ مُنكَتِمِ

055. كَم جيئَـةٍ وَذَهـــابٍ شُرِّفَت بِهِـما بَطحـاءُ مَكَّةَ فـي الإِصـــباحِ وَالغَسَمِ

056. وَوَحشَـــةٍ لِابنِ عَبدِ اللَـهِ بينَهُـما أَشهى مِنَ الأُنـسِ بِالأَحسـابِ وَالحَشَمِ

057. يُسامِرُ الوَحـــيَ فيها قَبلَ مَهبِطِـهِ وَمَن يُبَشِّر بِسيمـى الخَيـــــرِ يَتَّسِمِ

058. لَمّا دَعا الصَحبُ يَستَسقونَ مِن ظَمَـإٍ فاضَت يَـــداهُ مِنَ التَســـنيمِ بِالسَنَمِ

059. وَظَلَّلَتـهُ، فَصـــــارَت تَستَظِلُّ بِـهِ غَمـامَـــــةٌ جَذَبَتـــــــها خيـرَةُ الدِيَمِ

060. مَحَبَّـةٌ لِرَسولِ اللَـــهِ أُشرِبَـــــها قَعائِدُ الدَيرِ وَالرُهبـانُ فـــــي القِمَـــمِ

061. إِنَّ الشَمـائِلَ إِن رَقَّت يَكـــادُ بِـــها يُغرى الجَمـــادُ وَيُغـرى كُـلُّ ذي نَسَمِ

062. وَنودِيَ: اِقـــرَأ تَعالى اللَهُ قائِلُـــها لَم تَتَّصِل قَبـلَ مَن قيلَـــــت لَـــهُ بِفَمِ

063. هُناكَ أَذَّنَ لِلـــرَحمَنِ، فَامتَـــلَأَت أَسمـــــاعُ مَكَّـــةَ مِن قُدسِيَّةِ النَغَمِ

064. فَلا تَسَل عَـن قُرَيشٍ كَفَ حَيرَتُـها؟ وَكَيفَ نُفـرَتُـها فـي السَـهلِ وَالـعَلَمِ؟

065. تَساءَلواعَن عَظيمٍ قَـــد أَلَـمَّ بِـهِم رَمـى المَـشايِـــــخَ وَالــوِلدانِ بِاللَمَمِ

066. يا جاهِلينَ عَلى الـهادي وَدَعوَتِـهِ هَل تَجــهَلونَ مَكـــانَ الصادِقِ العَلَمِ؟

067. لَقَّبتُموهُ أَمينَ القَـــومِ فـي صِـغَرٍ وَمـــا الأَميـــــنُ عَلى قَـــولٍ بِمُتَّـهَمِ

068. فـاقَ البُدورَ وَفـاقَ الأَنبـياءَ، فَـكَم بِالخُـلقِ والخَلقِ مِن حُسنٍ وَمِن عِظَمِ

069. جـاءَ النبِيّونَ بِالآياتِ فَانصَـــرَمَـت وَجِئـتَنا بِحَكيـــــمٍ غَيـــرِ مُنصَرِمِ

070. آياتُـهُ كُلَّما طـــالَ المَـــدى جُـدُدٌ يَزيـنُـهُنَّ جَـلالُ العِتـــــقِ وَالقِـــدَمِ

071. يَكـــــادُ فـي لَفظَـةٍ مِنـهُ مُشَـــرَّفَةٍ يـوصـــيكَ بِالحَـقِّ وَالتَقوى وَبِالـرَحِمِ

072. يـا أَفصَحَ الناطِقينَ الضادَ قاطِبَةً حَديثُـكَ الشَهـدُ عِـــندَ الذائِقِ الفَهِمِ

073. حَلَّيتَ مِن عَطَـلٍ جيدَ البَيـانِ بِـهِ فـــي كُـلِّ مُنتَثِرٍ فـي حُســـنِ مُنتَظِمِ

074. بِكُلِّ قَـــــولٍ كَريمٍ أَنـــتَ قائِلُـهُ تُحيِ القُلـوبَ وَتُحـــيٍ مَيِّـتَ الهِمَمِ

075. سَرَت بَشائِـرُ بِالـهـــادي وَمَولِدِهِ في الشَرقِ والغَربِ مَسرى النورِ في الظُلَمِ

076. تَخَطَّفَت مُهَجَ الطاغينَ مِن عَرَبٍ وَطَيَّرت أَنفُسَ البـاغينَ مـــن عُجُـمِ

077. ريعَت لَها شَرَفُ الإيـوانِ فَانصَدَعَت مِن صَدمَةِ الـحَقِّ لا مِن صَدمَةِ القُدُمِ

078. أَتَيتَ وَالنـاسُ فَوضـى لا تَمُرُّ بِهِم إِلّا عَلـــى صَنَـمٍ قَد هـــامَ فـي صَنَمِ

079. وَالأَرضُ مَملـــــوءَةٌ جَـوراً مُسَخَّرَةٌ لِكُـــلِّ طاغِيَـةٍ فـي الخَلـــــقِ مُحتَكِمِ

080. مُسَيطِرُ الفُـرسِ يَبغي فـي رَعِيَّـتِـهِ وَقَيـــصَرُ الــرومِ مِن كِبرٍ أَصَمُّ عَمِ

081. يُعَذِّبانِ عِبـــادَ اللَـهِ فـــي شُـبَـهٍ وَيَذبَحانِ كَمـا ضَـــــحَّيتَ بِالغَـنَمِ

082. وَالخَلـقُ يَفتِكُ أَقواهُم بِأَضـعَفِـهِم كَاللَيـثِ بِالبَهـــمِ أَو كَالحوتِ بِالبَلَمِ

083. أَسرى بِكَ اللَـهُ لَيـــلاً إِذ مَلائِكـُهُ والرُسلُ في المَسجِدِ الأَقصى عَلى قَدَمِ

084. لَمّا خَطَـــرتَ بِـهِ اِلتَـفّوا بِسَيِّدِهِم كَالشُـــهبِ بِالبَدرِ أَو كَالجُندِ بِالعَلَمِ

085. صَلّى وَراءَكَ مِنهُم كُـلُّ ذي خَطَرٍ وَمَن يَفُـــز بِحَبيـــــبِ اللَـهِ يَأتَمِمِ

086. جُبتَ السَماواتِ أَو ما فَوقَهُنَّ بِهِم عَلى مُنَـــــوَّرَةٍ دُرِّيَّـــــةِ اللُـــجُـمِ

087. رَكوبَـةً لَكَ مِن عِـــزٍّ وَمِن شَـرَفٍ لا فـي الجِيادِ وَلا فـــي الأَينُقِ الرُسُـمِ

088. مَشيئَـةُ الخالِـــقِ الباري وَصَنـعَتُـهُ وَقُـــدرَةُ اللَـهِ فَوقَ الشَـــــكِّ وَالتُهَمِ

089. حَتّى بَلَغتَ سَمـــاءً لا يُطارُ لَـها عَلى جَنـــاحٍ وَلا يُســـــعى عَلى قَدَمِ

090. وَقيلَ كُـــــلُّ نَبِـيٍّ عِندَ رُتبَـــتِهِ وَيا مُحَمَّـــدُ هَذا العَـــرشُ فَاستَـلِمِ

091. خَطَطتَ لِلديـــنِ وَالدُنيا عُلومَـهُما يا قارِئَ اللَـوحِ بَل يا لامِـــسَ القَلَمِ

092. أَحَطـــتَ بَينَهُما بِالسِـرِّ وَانكَشَفَت لَكَ الخَزائِنُ مِـــن عِلمٍ وَمِـــن حِكَـمِ

093. وَضـاعَفَ القُربُ ما قُلِّدتَ مِن مِنَنٍ بِلا عِـــدادٍ وَما طُوِّقـــــتَ مِن نِعَمِ

094. سَل عُصبَةَ الشِركِ حَولَ الغارِ سائِمَةً لَـــولا مُطـــــارَدَةُ المُختارِ لَم تُسَمَ

095. هَل أَبصَروا الأَثَرَ الوَضّاءَ أَم سَمِعـوا هَمسَ التَسـابيـحِ وَالقُـــرآنِ مِن أُمَمِ؟

096. وَهَل تَمَثَّـــلَ نَسجُ العَنـكَبوتِ لَهُم كَالغابِ، وَالحائِماتُ وَالزُغبُ كَالـــرُخَمِ؟

097. فَأَدبَروا وَوُجـوهُ الأَرضِ تَلعـنُـهُم كَباطِلٍ مِن جَـــلالِ الحَـــــقِّ مُنهَـزِمِ

098. لَولا يَدُ اللَـهِ بِالجـــارَينَ مـــا سَلِما وَعَينُهُ حَـــولَ رُكـــــنِ الدينِ لَـم يَقُـمِ

099. تَوارَيا بِجَنـــاحِ اللَـهِ وَاِستَـــتَرا وَمَن يَضُمُّ جَنـــاحُ اللَـــــهِ لا يُضَمِ

100. يا أَحمَدَ الخَيرِ لي جاهٌ بِتَسمِيَتي وَكَيفَ لا يَتَســـامى بِالرَّسولِ سَمي؟

101. المادِحونَ وَأَربـابُ الهَوى تَبَـعٌ لِصاحِبِ البُـــردَةِ الفَيحـاءِ ذي القَدَمِ

102. مَديحُهُ فيكَ حُـبٌّ خالِصٌ وَهَـوىً وَصادِقُ الحُبِّ يُمـــلي صـادِقَ الكَلَمِ

103. اللَـهُ يَشهَدُ أَنّـــي لا أُعارِضُـهُ من ذا يُعارِضُ صَـوبَ العـارِضِ العَرِمِ

104. وَإِنَّما أَنـا بَعضُ الغابِطينَ وَمَـن يَغبِـط وَلِيَّـكَ لا يُذمَـــم وَلا يُلَمِ

105. هَـذا مَقامٌ مِنَ الرَحمَنِ مُقتَبَـسٌ تَرمـي مَهابَتُهُ سَحـــبانَ بِالبَكَمِ

106. البَدرُ دونَكَ في حُسنٍ وَفي شَـرَفٍ وَالبَحـــرُ دونَـكَ في خَيـرٍ وَفي كَرَمِ

107. شُمُّ الجِبالِ إِذا طاوَلتَها اِنخَفَضَت وَالأَنجُـــمُ الزُهرُ مـا واسَمتَها تَسِمِ

108. وَاللَيثُ دونَـكَ بَأساً عِنـدَ وَثبَتِـهِ إِذا مَشَـيتَ إِلى شاكي السِلاحِ كَمي

109. تَهفو إِلَيـكَ –وَإِن أَدمَيتَ حَبَّتَها فـي الحَـربِ– أَفئِدَةُ الأَبطالِ وَالبُهَمِ

110. مَحَبَّةُ اللَـهِ أَلقـاها وَهَيبَـتُـهُ عَلى اِبنِ آمِنَـــةٍ فـي كُلِّ مُصطَدَمِ

111. كَأَنَّ وَجهَكَ تَحتَ النَقعِ بَدرُ دُجىً يُضيءُ مُلتَـــثِماً أَو غَيـــرَ مُلتَثِمِ

112. بَدرٌ تَطَلَّعَ في بَـــدرٍ فَغُـرَّتُـهُ كَغُرَّةِ النَصرِ تَجـــلو داجِـيَ الظُلَمِ

113. ذُكِرتَ بِاليُتمِ في القُـرآنِ تَكـرِمَـةً وَقيـــمَةُ اللُؤلُؤِ المَكنـونِ في اليُتُمِ

114. اللَـهُ قَسَّمَ بَيـــنَ الناسِ رِزقَـهُـمُ وأنتَ خُيِّـــرتَ في الأَرزاقِ وَالقِسَمِ

115. إِن قُلتَ في الأَمرِ لا أَو قُلتَ فيهِ نَعَم فَخيـــرَةُ اللَـهِ فـي لا مِنـكَ أَو نَعَمِ

116. أَخوكَ عيسى دَعـا مَيتاً فَقـامَ لَـهُ وَأَنتَ أَحيَيتَ أَجيـــــــالاً مِـنَ الزِمَمِ

117. وَالجَهلُ مَوتٌ فَـإِن أوتيتَ مُعجِـزَةً فَابعَث مِنَ الجَـهلِ، أَو فَابعَث مِنَ الرَجَمِ

118. قالوا: غَزَوتَ، وَرُسلُ اللَهِ ما بُعِـثوا لِقَتــلِ نَفسٍ، وَلا جـــــاؤوا لِسَفكِ دَمِ

119. جَهــلٌ وَتَضليلُ أَحلامٍ وَسَفسَطَة فَتَـــــــحتَ بِالسَيفِ بَعدَ الفَتـحِ بِالقَلَمِ

120. لَمّـا أَتى لَكَ عَفواً كُلُّ ذي حَسَبٍ تَكَفَّـــلَ السَيـــــــفُ بِالجُهّالِ وَالعَمَمِ

121. وَالشَرُّ إِن تَلقَهُ بِالخَيـرِ ضِقتَ بِـهِ ذَرعاً وَإِن تَلقَـــــــهُ بِالشَـــرِّ يَنحَسِمِ

122. سَـلِ المَسيحِيَّةَ الغَرّاءَ كَم شَرِبَـت بِالصابِ مِن شَهَـــــواتِ الظالِمِ الغَلِمِ

123. طَريدَةُ الشِركِ يُؤذيـها وَيوسِـعُها في كُلِّ حـــــينٍ قِتالاً ساطِعَ الحَـــدَمِ

124. لَولا حُمـــاةٌ لَها هَبّوا لِنُصـرَتِها بِالسَـــــيفِ، ما اِنتَفَعَت بِالرِفقِ وَالرُحَمِ

125. لَولا مَكـــانٌ لِعيسى عِندَ مُرسِلِـهِ وَحُـــــــرمَةٌ وَجَبَت لِلروحِ فـــي القِدَمِ

126. لَسُمِّرَ البَدَنُ الطُهرُ الشَريفُ عَلى لَـوحَينِ، لَم يَخـــــشَ مُؤذِيـهِ وَلَـم يَجِمِ

127. جَلَّ المَسيحُ، وَذاقَ الصَلبَ شانِئُهُ إِنَّ العِقـــابَ بِقَـــــــدرِ الذَنـبِ وَالجُرُمِ

128. أَخو النَبِـيِّ وَروحُ اللَـهِ فـي نُـــزُلٍ فَـوقَ السَمـــــاءِ وَدونَ العَرشِ مُحتَرَمِ

129. عَلَّمتَهُم كُلَّ شَـيءٍ يَجهَلـونَ بِـهِ حَـتّى القِتـالَ وَمـــــا فيـــهِ مِنَ الذِمَمِ

130. دَعَوتَهُم لِجِهادٍ فيـــهِ سُـؤدُدُهُم وَالـــحَربُ أُسُّ نِظـامِ الكَـــــونِ وَالأُمَمِ

131. لَولاهُ لَم نَرَ لِلدَولاتِ فـــي زَمَـنٍ ما طالَ مِن عُـــــمُدٍ أَو قَـرَّ مِـن دُهُمِ

132. تِلكَ الشَواهِدُ تَترى كُـــلَّ آوِنَـةٍ في الأَعصُرِ الغُرِّ لا في الأَعـصُرِ الـدُهُمِ

133. بِالأَمسِ مالَت عُروشٌ وَاِعتَلَت سُــرُرٌ لَولا القَـــذائِفُ لَـــم تَثلَـــم وَلَم تَصُـمِ

134. أَشياعُ عيسى أَعَدّوا كُـلَّ قاصِمَـةٍ وَلَم نُعِدُّ سِـــــوى حـــالاتِ مُنقَصِمِ

135. مَهما دُعيتَ إِلى الهَيجاءِ قُمتَ لَـها تَرمي بِأُســـــدٍ وَيَرمـــي اللَـهُ بِالـرُّجُمِ

136. عَلـى لِوائِكَ مِنهُم كُـلُّ مُنتَـقِمٍ لِلَّـهِ، مُســـتَقتِلٍ فـــي اللَـهِ مُعـــتَزِمِ

137. مُسَبِّـحٍ لِلِقـاءِ اللَـهِ مُضـطَـــرِمٍ شَـوقاً عَلى سـابِخٍ كَالبَرقِ مُضطَـرِمِ

138. لَو صادَفَ الدَهرَ يَبـغي نَقلَةً فَرَمى بِعَزمِهِ فـي رِحـالِ الـدَهرِ لَم يَرِمِ

139. بيضٌ مَفاليلُ مِن فِعلِ الحُروبِ بِهِم مِن أَسـيُفِ اللَـهِ لا الهِنـدِيَّة الخُـذُم

140. كَم في التُرابِ إِذا فَتَّشتَ عَـن رَجُـلٍ مَن مـاتَ بِالعَهدِ أَو مَن ماتَ بِالقَسَمِ

141. لَولا مَواهِبُ في بَعـضِ الأَنـامِ لَـما تَفاوَتَ النّـاسُ فـي الأَقـدارِ وَالقِيَمِ

142. شَريعَةٌ لَكَ فَجَّـرتَ العُقـولَ بِها عَن زاخِـرٍ بِصُنـوفِ العُلـمِ مُلتَطِمِ

143. يَلوحُ حَولَ سَنا التَوحيـدِ جَـوهَـرُها كَالحَلي لِلسَّـيـفِ أَو كَالوَشـيِ لِلـعَلَـمِ

144. غَرّاءُ حامَت عَلَيها أَنفُـسٌ وَنُـهىً وَمَن يَجِد سَلـسَلاً مِن حِكمَـةٍ يَحُـمِ

145. نورُ السَبيلِ يُساسُ العالَمـونَ بِها تَكَفَّـلَت بِشَبـابِ الدَهـرِ وَالـهَـرَمِ

146. يَجري الزَمانُ وَأَحكامُ الزَمـانِ عَلى حُكمٍ لَـها، نافِـذٍ فـي الخَلـقِ مُرتَسِمِ

147. لَمّا اِعتَلَت دَولَةُ الإِسـلامِ وَاِتَّسَعَت مَشَـت مَمالِكُـهُ فـي نورِها التَمَمِ

148. وَعَلَّمَت أُمَّـةً بِالقَـفرِ نـازِلَةً رَعيَ القَـياصِرِ بَعدَ الشـاءِ وَالنَـعَمِ

149. كَم شَيَّدَ المُصلِحونَ العامِلونَ بِها في الشَرقِ وَالغَربِ مُلـكاً باذِخَ العِظَمِ

150. لِلعِلمِ وَالعَدلِ وَالتَمـدينِ ما عَزَمــوا مِنَ الأُمورِ وَما شَـــــدّوا مِنَ الحُــزُمِ

151. سُرعانَ ما فَتَحوا الدُنــيا لِمِلَّتِـهِم وَأَنهَلوا النّاسَ مِن سَلســالِهـا الشَبِمِ

152. ساروا عَلَيها هُداةَ الناسِ فَـهيَ بِهِـم إِلى الفَــلاحِ طَـريـــقٌ واضِـــحُ العَظَمِ

153. لا يَهدِمُ الدَهرُ رُكناً شـــادَ عَدلَــهُمُ وَحـائِـــطُ البَـــغيِ إِن تَلمَســهُ يَنهَدِمِ

154. نالوا السَعادَةَ في الدارَينِ وَاِجتَمَعوا عَـلى عَمــيمٍ مِنَ الرُضــوانِ مُقتَسَــمِ

155. دَع عَنكَ روما وَآثيـنـا وَما حَـوَتا كُلُّ اليَواقيـــــتِ فــي بَغــدادَ وَالتُوَمِ

156. وَخَلِّ كِسرى، وَإِيــواناً يَــدِلُّ بِــهِ هَــوىً عَلـى أَثَـــرِ النيـــرانِ وَالأَيُــمِ

157. وَاِترُك رَعمسيسَ إِنَّ المُلكَ مَظـــهَرُهُ في نَهـضَةِ العَـدلِ لا في نَهضَةِ الهَرَمِ

158. دارُ الشَرائِـــعِ روما كُلَّما ذُكِـرَت دارُ السَــلامِ لَها أَلقَــت يَــدَ السَلَمِ

159. ما ضارَعَتها بَياناً عِنــدَ مُلــتَأَمٍ وَلا حَكَتــها قَضــاءً عِنـــدَ مُختَصَــمِ

160. وَلا اِحتَوَت في طِرازٍ مِن قَياصِـرِها عَلى رَشيـــدٍ وَمَأمـــــونٍ وَمُعتَصِـمِ

161. مَنِ الَّذينَ إِذا ســـارَت كَتائِبُـهُم تَصَرَّفوا بِحُـدودِ الأَرضِ وَالـــــتُخَـمِ

162. وَيَجلِسونَ إِلـــى عِلمٍ وَمَعـرِفَةٍ فَلا يُدانَـونَ فـــي عَقـــلٍ وَلا فَـــهَمِ

163. يُطَأطِئُ العُلَماءُ الهامَ إِن نَبَسـوا مِن هَيبَـةِ العـلمِ لا مِــن هَيبَــةِ الحُكُمِ

164. وَيُمطِرونَ فَما بِالأَرضِ مِن مَحَلٍ وَلا بِمَن باتَ فَـوقَ الأَرضِ مِن عُـــدُمِ

165. خَلائِفُ اللَـهِ جَلّـوا عَن مُـوازَنَـةٍ فَلا تَقيــسَنَّ أَمـــلاكَ الــوَرى بِهِــمِ

166. مَن في البَرِيَّةِ كَالفاروقِ مَعدَلَـةً وَكَابنِ عَبدِ العَزيـــزِ الخاشِــعِ الحَشِمِ؟

167. وَكَالإمامِ إذا ما فَضَّ مُزدَحِـماً بِمَدمَعٍ في مَـــآقي القَــومِ مُزدَحِـمِ

168. الزاخِرُ العَذبُ في عِلمٍ وَفــي أَدَبٍ وَالناصِرُ النَدبِ في حَــربٍ وَفـــي سَلَمِ

169. أَو كَابنِ عَفّانَ وَالقُرآنُ فـي يَـدِهِ يَحنو عَلَيهِ كَما تَحـنو عَلــى الفُطُـــمِ

170. وَيَجمَـعُ الآيَ تَرتيباً وَيَنــظُمُـها عِقـداً بِجـــيدِ اللَيالـــي غَيـــرَ مُنفَصِمِ

171. جُرحانِ في كَبِدِ الإسلامِ ما اِلتَأَما جُرحُ الشَـــــهيدِ وَجُـــرحٌ بِالكِتابِ دَمى

172. وَما بَـــــلاءُ أَبي بَكرٍ بِمُتَّــهَمٍ بَعدَ الجَـــــلائِلِ في الأَفعــالِ وَالخِـدَمِ

173. بِالحَزمِ وَالعَزمِ حاطَ الدينَ في مِحَنٍ أَضَلَّتِ الحُـــــلَمَ مِن كَهـــلٍ وَمُـــحتَلِمِ

174. وَحِدنَ بِالراشِدِ الفاروقِ عَن رُشدٍ في المَـــــوتِ وَهوَ يَقينٌ غَيـرُ مُنبَهِمِ

175. يُجادِلُ القَـــــومَ مُستَلّاً مُهَنَّـدَهُ في أَعظَمِ الرُســـــلِ قَدراً كَيفَ لَـم يَدُمِ

176. لا تَعذُلوهُ إِذا طــافَ الذُهولُ بِهِ ماتَ الحَبـــيبُ فَضَـلَّ الصَبُّ عَن رَغَمِ

177. يا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّم ما أَرَدتَ عَلى نَزيلِ عَرشِكَ خَيـــرِ الرُســـــــلِ كُلِّهِمِ

178. مُحيِ اللَيالي صَلاةً لا يُقَطِّـعُها إِلا بِدَمـــــعٍ مِنَ الإِشـــفـــاقِ مُنسَجِمِ

179. مُسَبِّحاً لَكَ جُنحَ اللَيلِ، مُحتَمِلاً ضُرّاً مِنَ السُـــــهدِ، أَو ضُـرّاً مِنَ الوَرَمِ

180. رَضِيَّةٌ نَفسُــهُ، لا تَشتَكي سَأَماً وَما مَـــــعَ الحُـبِّ إِن أَخلَصتَ مِن سَأَمِ

181. وَصَلِّ رَبّـــي عَلى آلٍ لَــهُ نُخَبٍ جَعَلــتَ فيهِم لِــواءَ البَيـــــتِ وَالحَرَمِ

182. بيضُ الوُجوهِ وَوَجهُ الدَهرِ ذو حَلَكٍ شُمُّ الأُنـــوفِ وَأَنفُ الحــادِثاتِ حَمى

183. وَأَهدِ خَيـــرَ صَلاةٍ مِـنكَ أَربَـعَةً في الصَحبِ صُحبَتُهُم مَـــرعِيَّةُ الحُرَمِ

184. الراكِبينَ إذا نـادى النَبِـيُّ بِـــهِم ماهالَ مِن جَلَلٍ، وَاِشـــتَـــدَّ مِن عَمَـم

185. الصابِريـنَ وَنَفسُ الأَرضِ واجِـفَـةٌ الضـــــاحِكينَ إِلـى الأَخطـــارِ وَالقُحَمِ

186. يارَبِّ هَبَّت شُعوبٌ مِـــن مَنِيَّـتِها وَاِستَيـــــقَظَت أُمَـمٌ مِن رَقـــدَةِ العَدَمِ

187. سَعدٌ، وَنَحسٌ، وَمُلكٌ أَنـتَ مالِكُـهُ تُديـــلُ مِـن نِعَـــــمٍ فيـــهِ وَمِـن نِقَمِ

188. رَأى قَضاؤُكَ فينـا رَأيَ حِكمَتِـــهِ أَكـرِم بِوَجهِكَ مِن قـاضٍ وَمُنـــــــتَقِمِ

189. فَاِلطُف لِأَجلِ رَسولِ العالَمينَ بِنا وَلا تَـــزِد قَومَـهُ خَســـــفاً وَلا تُسِـــمِ

190. يا رَبِّ أَحسَنتَ بَـدءَ المُسلِمينَ بِهِ فَتَمِّمِ الفَضـــلَ وَاِمنَـــح حُسنَ مُختَـتَمِ[2]

[2] – أحمد شوقي: **الشّوقيات**، مج1، ص190 إلى 208.

مُلخَّصَات الدِّراسَة

1. مُلخَّص الدّراسَة باللُّغةِ العَـــربيّةِ:
2. مُلخَّص الدّراسَة باللُّغةِ الإنجلِيزيّةِ:
3. مُلخَّص الدّراسَة باللُّغةِ الفــرنسيّةِ:

1- مُلخَص الدّراسَة باللّغة العَربيّة:

خَصَائِص شِعر المَدِيح النَّبَوي فِي عَصرِ صَدرِ الإسلَام وَالعَصر الحَدِيث

دِراسَة مُوازنَة بَين أنموذجين مُختارَين

تَهدِف هذهِ الدِّراسَة إلَى بَحثِ واستِقصاء أَهمِّ سِمات شِعر المَدِيح النّبَوِي الفَصِيح وخَصائصِه في عَصرِ صَدرِ الإسلَام (إبتدَاء مِن عهدِ النّبِيِّ إلى غَايةِ سَنة 40هـ)، وبِالخُصوص حِينما كَانت الدَّعوة المُحمَّدِيَّة فِي ذروَتِها، وبَحث مُختلفِ خَصائِصهِ أيضًا فِي العَصرِ الحَديثِ؛ خُصوصًا بَعد الحَملة الفرنسيّةِ على الوِلايتَين العُثمانِيتينِ: مصر والشّام (1798م-1801م)، وَإقامةِ مُوازَنةٍ بَين قَصِيدتَينِ مُختلِفَتين من العَصرَين السَّابِقينِ، لإثبات مُختلَف الخَصَائص الّتي تميَّزت بها المَدائِح فِيهِما، وَللتوصّل إلَى أَوجُه التَشابُه والإختِلاف بَين العَصرَين بالدّرجَة الأولَى.

وَطَبيعَة المَوضُوع وفُصولِه وَمباحثِه دَفعتنَا إلَى اتّبَاع خُطَّة بَحثٍ مُحكمَة تُجِيب عَن مُعظمِ إشكَالِيات الدّراسَة وعُنوانها، وَاعتِماد أَكثر مِن مَنهَجٍ نَقدِيٍّ حَسب الحَاجة؛ حَيث اعتمَدنَا -بِشَكلٍ أَوضحَ- فِي الجَانِب النّظَري من الدّراسةِ على المنهَجِ التَاريخِي التَّحليلي، أمَّا الجَانِب التّطبِيقي مِنها فاعتَمدنَا فِيه عَلى المَنهجِ الأسلُوبِي البِنَوِي التّحليلي، وَاحترَمنَا فِيه شُروط المُوازنَة وَمَبادِئها أثناء دِراسة بِنيَة القَصائِد المُعتمدة كمدوَّنةِ بَحثٍ والمُوازنَة بَينهَا.

وكَكُلّ بَحثٍ عِلميٍّ، لَم تَخلُ دِرَاستُنا مِن بَعض الصُّعوبات والعَراقِيل الّتِي حَاولنَا تَذلِيل كَثيرٍ مِنها، مِن خِلال تَجنُّبِنَا فِي الجَانبِ النّظرِي لكُلِّ عُنوان من الدّراسَةِ الخَوض والتّعمّق فِي الآراءِ المُتَناقضةِ حَوله، واعتَمدنا فِي الجَانِب التّطبيقي لِكلِّ عُنوانٍ أَيضًا عَلَى تَحدِيد الشَّاهِد الشّعرِي الّذِي يُثبِت الظَاهرة، وعلَى القَصائِد الشّعرِيّة المُعتمَدة كمُدوَّنة بَحث في الفَصل الأخِير من الدِّراسةِ، وما تَحمِله مِن دلالات مُختلِفة وإمكانَات لُغويَّة وفَنِيّة وجَمالِيّة مُتعدِّدة، دُون إهمالِ خُصوصِيتهَا ومُناسَبتها وَسِياقهَا العام.

2- Summary of the study in English:

characteristics of the prophetic praise in the era of Islam and the modern era
A balance study between two selected models

This study aims to research and explore the most important attributes of poetry praise of the Prophet and its properties in the era of early Islam (starting from the time of the Prophet until the year 40 AH), especially when the call Muhammadiyah at its peak, various search properties also in the modern era; especially after the French campaign on the two states Alosmanatin : Egypt and the Levant (1798-1801 AD), and establishing a balance between two different poems from the previous two periods, for evidence Characteristics that characterized the praise damage in them, and to find the similarities and differences between the eras in first class.

The nature of the subject and its chapters and reasoning prompted us to follow the search plan court answer most of the problems of the study and address, and the adoption of more than a monetary approach as needed; where we adopted -epeshkl Oodh- in the theoretical aspect of the study of the historical analytic approach, either side applied them Vaatmdna in which the curriculum stylistic Structural analysis, and we respected the budget conditions and principles during the study of the structure of the poems Approved as a research record and a balance between it.

And scientific research as a whole, did not disturb our study of some of the difficulties and obstacles that we have tried to overcome many of them, through the theoretical side avoided each title of the study and delve deeply into contradictory opinions around it, And we relied on the practical side of each title is also to identify the witness poetic, which proves the phenomenon, and the poems approved a blog search in the last chapter of the study, and carry different connotations, and the potential of linguistic, artistic and aesthetic multiple, without neglecting privacy and relevance of public and context.

3-Résumé de l'étude en français:

Caractéristiques de la poésie de l'éloge du prophète à l'aube de l'islam et à l'époque moderne

Etude équilibre entre deux modèles sélectionnés

.

L'objectif de cette étude est de rechercher et identifier les principaux aspects et caractéristiques de l'éloge du prophète a l'aube de l'islam (de l'ère du prophète jusqu'à l'an 40 de l'hégire) surtout lorsque l'appel du prophète mohammed à l'islam était a son apogée. De plus, elle tend à examiner les différents caractéristiques de ce genre littéraire à l'époque moderne, notamment après la compagne française en Égypte et au levant (1798-1801),alors deux départements ottomans, une comparaison entre deux poèmes différents appartenant respectivement aux deux époques précitées, d'identifier les différents caractéristiques qui ont marqué ces éloges pendant ces ères-la, et essentiellement, de constater ainsi les similitudes et les différents entre les deux époques.

La nature de ce sujet, ses chapitre et ses thèmes nous ont amenés a adopter un plan de recherche capable de répondre a l'ensemble des problèmes posés par l'étude, et a adopter plusieurs méthodes critiques selon les besoins, dès lors, nous avons, de manière plus prononcée adopté une analyse historique dans la partie théorique de l'étude et une analyse stylistique constructionnelle dans la partie pratique où nous avons respecté les critères et les principes de comparaison lors de l'examen de la structure des poèmes comparés et sélectionnés pour le corpus.

Et comme toute recherche scientifique, notre étude a certainement rencontré quelques difficultés et obstacle que nous avons tenté de lever en évitant de traiter d'une façon approfondie, dans la partie théorique, les points de vue contradictoire formulés autour de chaque thème de l'étude. Par ailleurs, nous avons choisi, dans la partie pratique de chaque thème, d'identifier la citation poétique qui constate la phénomène en question. Nous nous sommes également appuyés sur les poèmes sélectionnés pour le corpus dans le dernier chapitre de l'étude avec leur différentes signification et leur diverses facultés linguistique, techniques et stylistique sans ignorer leur particularité, leur pertinence et leur contexte général.

قَائِمَة المَصادِر وَالمَراجِع

1- قائمَة المصَادر والمرَاجع العربيّة:

2- قائمَة المـــجلّات والــدّوريات:

3- قائمَة الرّسَـــــائل الجامِعـيّة:

4- قائمَة المَــعاجِم والقَـــواميس:

5- قائمَة المَـــــراجـع الأجنـــبيّة:

6- مـــــــراجِـع مِـن الأنـــترنَـــت:

1- قائِمَة المَصَادر والمرَاجع العربيّة:

● **القرآن الكَرِيم:** برواية حفص عن الإمام عَاصِم الكُوفي، مراجعة لجنةٍ علميةٍ برئاسَة الشيخ الدّكتور علي بن عبد الرّحمَن الحُذيفي، كِتابة وطباعة مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحَف الشّريف، المَدينة المنوّرة، المَملكَة العربيّة السّعوديّة، 1424هـ/2004م.

1) إبراهيم أنيس: **موسيقى الشّعر**، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1952م.

2) ابن رشيق المسيلي القيرواني، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العربيّة، لبنان، ط1، ج1، 2001م.

3) أبو الحسن علي بن عثمان الاربلي (ت670هـ): **كتاب القـوافي**، تح: عبد المحسن فراج القحطاني، الشركة العربية للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1997م.

4) أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي: **ديوان الشّريف الرّضي**، تق: إحسان عباس، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1994م، ج2.

5) أبو العلي حسن بن رشيق: **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، تح: محمّد محي الدّين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ج1.

6) أبو الفداء الحافظ بن كثير: **البداية والنّهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، دط، ج3، 1990م.

7) أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصفهاني: **الأغاني**، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج4، دت.

8) أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السّعدي بن القطَّاع الصقلّي: **الشّافي في علم القوافي**، تح: صالح بن حسين عايد، دار كنوز إشبيليا للنّشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، ط1، 1998م.

9) أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي المعروف بابن الفارض: **ديوان ابن الفارض**، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، (نسخة pdf مصورة).

10) أبو سعود سلامة أبو سعود: **الإيقاع في الشّعر العربي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002م.

11) أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري، **رحلة العبدري**، تح: علي إبراهيم كردي، تق: شاكر الفحام، دار سعد الدّين للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 2005م.

12) أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **الشّعر والشّعراء**، تح: أحمد محمّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط3، ج1، 2001م.

13) أبو محمّد عبد الملك بن هشام، **السّيرة النّبويّة**، تح: أحمد شمس الدّين، دار البحار، بيروت، لبنان، 2004م، مج 1.

14) أحمد زنبير، **المعارضة الشّعريّة عتبات التّناص في القصيدة المغربيّة**، دار أبي فراق، الرّباط، المغرب، ط1، 2008م.

15) أحمد شوقي: **الشّوقيات، دار العودة**، بيروت، لبنان، ط1، دت، مج1.

16) أحمد عبد الستّار الجواري: **الحبّ العذري- نشأته وتطوّره**، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، 2006م.

17) أحمد محرّم: **ديوان مجد الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م.

18) أحمد مختار عمر: **علم الدّلالة**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 1982م.

19) إيميل بديع يعقوب وميشال عاصي: **المُعجم المفصّل في اللّغة والأدب**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، مج1.

20) إيميل بديع يعقوب: **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشّعر**، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

21) إيميل ناصيف: **أروع ما قيل في الرّثاء**، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، دت.

22) تأليف جماعة من الأساتذة: **الأسلوب الصّحيح في البلاغة والعروض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1975م.

23) تأليف مجموعة من الدكاترة: **مِن شعراء الإحياء**، المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم (الألسكو)، تونس، دط، دت.

24) جابر عصفور: **مفهوم الشّعر**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.

25) جميل حمداوي: **شعر المديح النّبويّ في الأدب العربيّ**، منشورات المكتبة المصريّة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

26) الحاج عبد القادر الشيخ علي أبو المكارم: **موسوعة المدائح النّبويّة**، دار المحجة البيضاء ودار الواحة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

27) حسان بن ثابت: **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**، شر/تق عبدأ مهنا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 1993م.

28) حسن حسين: **ثلاثيّـة البُردة –بردة الرّسول صلى الله عليه وسلم–**، مكتبة مدبولي، القاهـرة، مصر،1987م.

29) خليل موسى: **قراءة في شعريّة النص الرّومانسي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000م.

30) رابح بوحوش: **البنية اللّغوية لبردة البوصيري**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982م.

31) رجب عبد الجواد إبراهيم: **موسيقى اللّغة**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2003م.

32) زكي مبارك: **المدائح النّبويّة في الأدب العربيّ**، دار المحجّة البيضاء، بيروت، لبنان، 2015م.

33) زكي مبارك: **الموازنة بين الشّعراء**، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م.

34) زين الدّين الزبيدي: **التّجريد الصّحيح لأحاديث الجامع الصّحيح**، دار النّفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

35) سامي سويدان: **في النّص الشّعري، مقارنات منهجيّة**، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.

36) سامي مكي العاني: **أعلام المسلمين (ديوان كعب بن مالك الأنصاري)**، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1990م، مج 18.

37) سراج الدّين محمّد: **المديح في الشّعر العربيّ**، دار الرّاتب الجامعية، بيروت، لبنان، 2008م.

38) سعيد بن الأحرش، **بردة البوصيري بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثّامن والتّاسع الهجريين**، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، 1998م.

39) شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصّنهاجي البوصيري: **بردة المديح**، دار التراث البوديلمي، (نسخة pdf)، دط، دت.

40) شوقي ضيف: **فـنّ الرّثاء**، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت.

41) شوقي ضيف: **في النّقد الأدبي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1969م.

42) صفي الدّين الحلي: **ديوان صفي الدّين الحلي**، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.

43) عائشة الباعونيّة، **شرح الفتح المبين**، المطبعة الخيريّة، القاهرة، مصر، 1983م.

44) عباس الجراري: **الأدب المغاربيّ من خلال ظواهره وقضاياه**، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 1982م.

45) عباس محمود العقاد: **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**، مكتبة النهضة الحديثة، مصر، ط3، 1965م.

46) عبد الرحمن الجمل: **المغنى في علم التّجويد**، دار آفاق، غزة، فلسطين، ط2، 1999م.

47) عبد الرحمن ياغي: **حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أوّل النهضة.. حتى النّكبة**، المكتب التّجاري للطّباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

48) عبد الرزّاق العجيلي: **البنى الأسـلوبيّة**، دراسة في الشعر العربي الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

49) عبد اللّطيف عمران: **شعر الشّريف الرّضي ومنطلقاته الفكريّة**، دار الينابيع، دمشق، سوريا، 2000م.

50) عبد الله الغذامي: **الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة، نظرية وتطبيق**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006م.

51) عبد الله درويش: **دراسات في العروض والقافية، مكتبة الطّالب الجامعي**، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1987م.

52) عبد الواحد حسن الشيخ: **البديع والتوازي**، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، مصر، 1999م، ط1.

53) علي أبو زيد: **البديعيات في الأدب العربي، نشأتها، تطوّرها وأثرها**، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983م.

54) علي بن أحمد الجرجاني: **كتاب التّعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1985م.

55) علي زويّن: **مباحث في اللّغة وعلم اللّغة**، بيت الحكمة، بغداد، العراق، ط1، 2012م.

56) فاطمة عمراني: **المدائح النّبويّة في الشّعر الأندلسي**، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،2011م ، مج1.

57) كامل السوافيرى: **الاتجاهات الفنيّة فى الشّعر الفلسطيني المعاصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1973م.

58) كمال بشر: **علم الأصوات**، دار غريب، القاهرة، مصر، 2000م.

59) محمّد بن سلّام الجمحي: **طبقات فحول الشّعراء**، تح: محمود محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1992م.

60) محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: **السّيرة النّبويّة**، تح/تع/تج: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

61) محمد بن سعيد البوصيرى: **الدّيــوان**؛ شر/تع: محمد التونجى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

62) محمد بن علوي بن عباس المالكي المكّي الحسني، **الذّخائر المحمّديّة في شمائل وفضائل المصطفى صلّى الله عليه وسلّم**، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2007م، مج1.

63) محمّد صلاح أبو حميدة: **دراسات في النّقد الأدبي**، سلسلة إبداعات فلسطينية، ع18، 2006م.

64) محمد عويس: **العنوان في الأدب العربي (النّشأة والتّطور)**، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1988م.

65) محمّد مجيد السّعيد: **الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين بالأندلس**، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، 2008م.

66) محمد مفتاح: **التّشابه والاختلاف نحو منهاجيّة شموليّة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

67) محمّد يحيى الحلو: **البردة شرحا وإعرابا**، دار البيروتي، اسطنبول، تركيا، ط3، 2005م.

68) محمود سالم محمد: **المدائح النّبويّة حتى نهاية العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1996م.

69) محمود سامي البارودي: **ديـوان البـارودي**، تح/ علي الجارم ومحمّد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، لبنان، 1998م.

70) محمود سامي البارودي: **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة**، (صحّحها وفسر بعض غريبها "ياقوت المرسي")، مطبعة الجريدة، غيط العدة، مصر، 1909م/1327هـ.

71) محمود سامي البارودي، **كشف الغمّة في مدح سيّد الأمّة**، نسخة مصحّحة على نسخة النّاظم المقروء، قرأها وعلَّق عليها: مدحت يوسف السّبع، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011م.

72) محمود علي مكّي: **المدائح النّبويّة**، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، لبنان، ط1، 1991م.

73) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، شر: محمد بن خليفة الوشتاني وَ: محمّد بن محمّد بن يوسف السنوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج8.

74) معروف الرّصافي: **ديوان معروف الرّصافي، مراجعة مصطفى الغلاييني**، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقلفة، القاهرة، مصر، 2014م.

75) ميمون بن قيس بن جندل: **شرح ديـوان الأعشى الكبيـر**، شر: حنان صد الخـتي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.

76) وليد إبراهيم قصاب: **قضيّة عمود الشّعر في النّقد العربي القديم**، دار الفكر، دمشق، سوريا، دت.

77) وليد قصّاب: **ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره**، دار العلوم للطباعة والنّشر، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1981م.

78) يوسف النّبهاني: **المجموعة النّبهانيّة في المدائح النّبويّة**، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج4.

79) يوسف بكار: **بناء القصيدة**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.

80) يوسف بن إسماعيل النبهاني: **حجّة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسلين** (ﷺ)، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

2- قائمَة المجلّات والدّوريات:

1) إبراهيم بادي: **دلالة العنوان وأبعاده في "موتة الرَّجُل الأخير"**، مجلة المدى، دمشق، سوريا، ع 26، 1999م.

2) عذراء عودة حسين: **الرّثاء في الشّعر الجاهلي والإسلاميّ**، مجلة الأستاذ، كلّية الرافدّين الجامعة، العراق، دت، مج 10، ع208.

3) محمّد بشير: **نظرات في البحور المتداولة بكثرة في الشّعر العربي استخدامها في الشّعر الأردي**، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع22، 2015م.

4) موريس أبو ناضر: **مدخل إلى علم الدّلالة الألسني**، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ع19، 1982م.

5) نزيه محمد اعلاوي: **إشكاليّة تاريخ تأليف همزيّة حسّان وبناؤها الفنّي**، مجلّة دراسات، العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة البلقاء التطبيقيّة، الأردن، مج33، ع2، 2006م.

6) عِزت ملا إبراهيمي، على رسولى: **تَدَاعِياتُ المَدائحِ النَّبويّةِ على البيئة فى العصرِ المَملوكى**، مجلة كلّية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، ع34، 2017م.

7) سليمان بن عبد العزيز الفريجي: **مظاهر الغلوّ في المديح النّبوي**، مجلة البيان، الرياض، السعودية، ع 139، جويلية 1999م.

8) عبد الرؤوف زهدي مصطفى وعمر الأسعد: **المعارضات الشّعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمان، الاردن، مج 36، 2009م.

9) أسعد محمّد علي النّجار. رائدة مهدي جابر، "**الرّثاء عند شعراء الحلّة**"، مجلة مركز بابل للدّراسات الحضاريّة والتّاريخيّة، جامعة بابل، العراق، ع 2، 2012م.

3- قائمَة الرّسائل الجامعـيّة:

1) حمزة قلمين: **البناء العروضي في ديوان الشّوقيات**، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، الجزائر، 2016م.

2) خلود ترمانيني: **الإيقاع اللّغوي في الشّعر العربي الحديث**، أطروحة دكتوراه، جامعة حلب، سوريا، 2004م.

4- قائمَة المعاجم والقواميس:

1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللّغة**، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، القاهرة، مصر، دط، 1979م، ج5.

2) أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، دت، مج2.

3) أبو طاهر مجد الدّين محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشّيرازي الفيروز أبادي: **القاموس المُحِيط**، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.

4) محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصّحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1986م.

5) أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دط، دت، ج3.

5- قائمة المـــراجـع الأجنـــبيّة:

1) George Mounin : **DICTIONNAIRE DE LINGUISTIQUE** , presses universitaire de France, Paris, France, 4eme éd, 2004.

2) Michael Riffatere **: LA PRODUCTION DU TEXTE** , Le Seuil, Paris, France, 1979.

6- مـراجِـــع من الأنـــترنـــت:

1) أبو منذر: **نهج البردة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.islamweb.net/media/print.php?id=12552، تاريخ النشر: 01 جانفي 2002م، تاريخ الاطلاع: 15 جوان 2019م.

2) أحمد الخاني: **الملحمة الإسلاميّة الكبرى**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.odabasham.net، تاريخ النّشر: 10 ماي 2018م، تاريخ الاطّلاع: 22 ماي 2018م.

3) بلقاسم بوعزاوي: **وقفات مع شعر المديح النّبوي في الأدب المغربي**، نقلا عن الموقع الإلكتروني:http://almahajjafes.net ، تاريخ النّشر: 09 يونيو 2001م، تاريخ الاطّلاع: 27 فيفري 2016م.

4) بوابة الشعراء: **طيّبة الغرّاء في مدح سيّد الأنبياء ليوسف النّبهاني**، نقلا عن الموقع الإلكتروني للبوابة: **https://www.poetsgate.com/ViewPoem**، تاريخ النشر: 11 أفريل 2017م، تاريخ الاطلاع: 18 ماي 2017م.

5) جعفر حسن: **القصيدة العربيّة وتطوّر العنوان**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.alwasatnews.com/news/822508.html، تاريخ النشر: 25 أكتوبر 2013م، تاريخ الاطلاع: 17 ماي 2018م.

6) جميل حمداوي: **شعر المديح النّبوي في الأدب العربي**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.diwanalarab.com، تاريخ النشر:08 جويلية 2007م، تاريخ الاطلاع: 10 جوان 2018م.

7) زهير ظاظا: **الرّائية الكبرى**، نقلا عن الموقع الإلكتروني لمكتبة الوراق: **http://www.alwaraq.net**، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 20 ماي 2017م.

8) سليمان بن صالح الخراشي: **ستّ منظومات في الرّد على الصّوفي يوسف النّبهاني**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/mm/57.htm، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 25 سبتمبر 2018م.

9) سمر حسن سليمان: **مفهوم شعر المدح**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://mawdoo3.com، تاريخ النّشر: 06 أكتوبر 2018م، تاريخ الاطّلاع: 16 ديسمبر 2018م.

10) عبد الجليل ت: **المديح النّبويّ في الشّعر العربي المعاصر**، نقلا عن الموقع الإلكتروني:http://www.nidaulhind.com ، تاريخ النّشر:14 ديسمبر 2016م، تاريخ الاطّلاع: 31 ديسمبر 2016م.

11) عبد الفتاح مغفور: **قصائد المولديات في عصر العلويين**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: **http://alquatan.ma/Article**، تاريخ النّشر: دت، تاريخ الاطّلاع: 24 فيفري 2016م.

12) عبد الله بنصر العلوي: **المولديات ظاهرة مغربيّة،** نقلا عن الموقع الإلكتروني:www.hespress.com ، تاريخ النّشر: 28 ديسمبر 2015م، تاريخ الاطّلاع: 22 فيفري 2016م.

13) عبد المنعم الوكيلي: **حجازيات الشّريف الرّضي ونجديات الأبيوردي،** نقلا عن الموقع الإلكتروني لمجلة العربيّة: http://www.arabicmagazine.com، تاريخ النّشر: 03 ماي 2011م، تاريخ الاطّلاع: 05 مارس 2016م.

14) مجموعة مواقع مداد: **شرح حديث : (لَا يُؤمِن أَحَدُكُم حَتَى أكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسَ أَجمَعِينَ)،** نقلا عن الموقع: http://midad.com/article/196829، تاريخ النشر: 08 نوفمبر 2007م، تاريخ الاطلاع: 25 دسيمبر 2018م.

15) محمد أبو هداية: **تعريف لفظ الموازنة في اللّغة والاصطلاح،** نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://abuhedaia.blogspot.com، تاريخ النشر: 23 أكتوبر 2013م، تاريخ الاطلاع: 12 جانفي 2019م.

16) محمد شدّاد الحراق: **شعر المديح النّبوي حاجة اجتماعيّة ونفسيّة،** نقلا عن الموقع الإلكتروني: .www.alnoor.se/article ، تاريخ النّشر: 15 أكتوبر 2011م، تاريخ الاطّلاع: 17 جوان 2015م.

17) محمّد طاهر الصّفار: **الأزريّة ملحمة تسرج التأريخ،** نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://m.annabaa.org/arabic/historic/12110، تاريخ النّشر: دت، تاريخ الاطّلاع: 05 جانفي 2017م.

18) معجم البابطين: **سيرة الشّاعر يوسف النّبهاني،** نقلا عن الموقع الإلكتروني للمعجم:http://www.almoajam.org/poet ، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 10 سبتمبر 2017م.

19) منتدى الأنبار: **شرح وتحليل قصيدة نهج البردة لأحمد شوقي في مدح الرّسول الكريم**، نقلا عن الموقع الإلكتروني للمنتدى: https://analbahr.com ، تاريخ النشر: دت، تاريخ الاطلاع: 25 مارس 2017م.

20) منتدى فجر الإسلام: **الشّعر زمن الرّسول (ﷺ)**، نقلا عن الموقع الإلكتروني لمنتدى فجر الإسلام: http://fgr33.hooxs.com/t1270-topic، تاريخ النشر: 19 أكتوبر 2013م، تاريخ الاطلاع: 22 ماي 2017م.

21) نادر عبد الكريم حقّاني: **قراءةٌ نقديّةٌ في حِجازيّاتِ الشّريف الرّضي- ليلةُ السَّفْحِ أنموذجاً**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://arabic.balaghah.net، تاريخ النّشر: دت، تاريخ الاطّلاع: 12 مارس 2016م.

22) نوح مصطفى الفقير: **القصيدة البديعيّة لعائشة الباعونيّة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://www.ajlounnews.net/index.php?module=participations&c_id=&id=4347، تاريخ النشر: 01 مارس 2014م، تاريخ الاطلاع: 10 جويلية 2015م.

23) وليد سليمان: **أسرار الحروف في العربيّة**، نقلا عن الموقع الإلكتروني لصحيفة الرأي: http://alrai.com/article/121160.html، تاريخ النّشر: 17 سبتمبر 2005م، تاريخ الاطلاع: 17 أفريل 2017م.

24) ويكيبيديا الموسوعة الحرّة: **يوسف النّبهاني**، نقلا عن الموقع الإلكتروني للويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ آخر تعديل: 06 مارس 2020م، تاريخ الاطلاع: 11 مارس 2020م.

25) يوسف النبهاني: **الرّائية الصّغرى**، نسخة إلكترونية محملة من الموقع الإلكتروني:
elwahabiya.com › wp-content › uploads › 2016/02، تاريخ النشر: فيفري 2016م، تاريخ الاطلاع: 17 أكتوبر 2018م.

فَهارِس الدِّراسَة

1-فَهرس الآيَـــات القُرآنيّة:

2-فَهرس الأحَاديث النّبويّة:

3-فَهرس الـمَـــوضوعَات:

1. فَهــرَس الآيَــاتِ القُــرآنِيَّــةِ:

الآيةُ وسُورَتُهَا	جزء من الآية أو الآية كلّها	الصَّفحَة
الآية: 21، سورة الأحزاب.	"لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أسوة حسنة لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا"	39، 155، 158
الآية: 04، سورة القلم.	"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"	39، 61، 93
الآية: 104، سورة آل عمران.	"وَلتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ همُ المُفلِحُونَ"	107
الآية: 110، سورة آل عمران.	"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.."	107
الآية: 71، سورة التوبة.	"والمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ.."	107
الآية: 33، سورة فصلت.	"وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"	107
الآية 18، سورة النّمل.	"حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ.."	108
الآية: 55، سورة البقرة.	"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى..."	109
الآية: 52، سورة مريم.	"وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَن"	109
الآية: 02، سورة البقرة.	"ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"	157
الآيتان: 21–22، سورة البروج.	"بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ"	157
الآية: 42، سورة فصلت.	"لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ	157

	خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"	
الآيات: 01 إلى 03، سورة النّجم.	"مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى""	157
الآيتان: 34–35، سورة القيامة	"أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ، ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ"	158
الآية: 44، سورة المؤمنين.	"ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ.... لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ"	158
الآية: 19، سورة العلق.	"كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب"	159
الآية: 03، سورة غافر.	"غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ"	159
الآية: 26، سورة آل عمران.	"...تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاء وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاء وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاء وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاء بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"	189
الآية: 08، سورة المنافقين.	"وَلِلهِ العِزّة ولرسُولِهِ وللمُؤمِنِينَ"	189
الآية: 05، سورة التوبة.	"فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحصُرُوهُمْ وَاقعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرصَدٍ..."	209
الآية: 24، سورة الإسراء.	" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"	209
الآية: 23، سورة الواقعة.	"كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ"	209
الآية: 01، سورة الإسراء.	"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ..."	210

2- فَهـرَس الأحَــادِيث النّبَــويّــة:

الحديث النّبوي	راوي الحديث	الصّفحة
"لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أكون أَحَبَّ إليهِ.... أَجمَعِينَ".	مسلم	33
" لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ... الآنَ يَا عُمَر".	البخاري	33
"اُهْجُهُمْ –أَوْ هَاجِهِمْ– وَجِبْرِيلُ مَعَكَ"	**البخاري** عن أبي **هريرة** رضي الله **عنه.**	70
"يَا حسّان ...روح القدس مَعَكَ".	الإمام أحمد عن البرّاء بن عازب.	70
"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ....وَلَا فَخْرَ".	رواه التّرمذي، وصححه الألباني في صحيح التّرمذي.	93
"فُضِّلْتُ .... وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ".	مسلم	93
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُم... عَزَّ وَجَلَّ."	رواه النّسائي بسند جيّد.	100
"مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكَرًا... الإِيمَانِ"	مسلم	106
"بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة.... النَّارِ"	البخاري	106، 155
" لَا أَذْكُرُ عُثمَانَ إِلَّا بِخَيْر... هذه هي خلافة النبوّة"	رواه البيهقي في دلائل النبوّة (ج6- ص65)، والسّيوطي في الخصائص الكبرى (ج2-ص74)	108- 109
"إنّي لَأعرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّم عَلَيَّ قَبلَ أَن **أبعَث**، إني **لَأعرِفُهُ الآن**"	مسلم	159
"اهْجُوا قُرَيْشًا... فَشَفَى وَاشْتَفَى"	مسلم	173
"بَينَا أنَا عِندَ البَيتِ... وأجزي الحسنةَ عشْرًا"	البخاري	210

3. فَهـرَس المَـوضـوعَـات:

المَــوضــوع	الصّفحة
مُـــــــــقَـدِمَـــة	06
الفصلُ الأوّل: المـــديحِ النّـــــبوي مـــفـهـــومـه وقـضـــايـاه.	16
1. مـــــدخـــــــل:	18
2. مفهومُ المـــديحِ النَّـــبوِي وَعَـــــلاقَـتُـــه بالـــرّثـــاء:	18
2-1 . المـــدح لـغـــة واصـطـلاحا:	18
2-2 . ماهـــــية المـــديـح النّبويّ:	20
2-3 . علاقة المديح النَّبوِي بالرّثاء:	21
3. نـشـــأة شِـــــعر المـــــديح النَّـبوِي وبـــــدايـــاتـــه:	24
3-1. عصر ما قبل البعثة النّبويّة:	25
3-2. عصر ما بعد البعثة النّبويّة:	28
4. أسباب انتـشار شِعر المـــديح النَّـــبـــوِي وشـــيـــوعه:	33
4-1. أسباب دينـــــيّة عـقائـديّة:	33
4-2. أسباب جغـــرافيّة سـيـاسـيّة:	36
4-3. أسباب اجـــتماعيّة نـــفـسيّة:	37
4-4. أسباب تعليـــميّة تـــربـــويّة:	38
5. أشكـــال شِـــــعر المـــديح النَّـــــبـوِي وأنمـــــــاطه:	40
5-1. البديعيات الشّـعريّة النبويّة:	40
5-2. المعارضات الشّـعريّة النبويّة:	43
5-3. المَولـــديـــات النّـــــبويّة:	46
5-4. النِـعالـــــيات النّـــــبويّة:	48
5-5. الحِـــجـــازيـات النّـــــبويّة:	50
5-6. المَلاحـــم الشّعريّة النّـــبويّة:	54

6- المَرجِعِية التَناصِيّة لشِعر المَدِيحِ النّبــوِي ومَـصَـادرِه:	57
7- شِعرُ المَدِيحِ النّـــــــبَوِي بَيـــنَ القَـــبُولِ والرَّفـضِ:	59
8- المَدِيح النّبَـــوِي النّسوِي بيـــن الوُجُـــود والعَـــدَم:	62
الفصل الـثّاني: خصائص شِـعر المديح النّـــبوي في عـــصر صدر الإسلام.	66
1. مـــــدخـــــــل:	68
2. أعلام شِـــعْر المـــديح النّـــبوي فـــــي عصـــر صـــدر الإســـلام:	69
2-1. حسّـــان بن ثابـت الأنصاري (ت 54/50هـ):	69
2-2. كـعــب بن مـالـك الأنصاري (ت51هـ):	76
2-3. عبـد الله بن رواحـــة (ت 08هـ):	83
2-4. كـــــعب بن زهـــــير (ت 26هـ):	87
3. خصائص شعر المديح النّبوي في عصر صدر الإسلام من حيث الشّكل:	92
3-1. اعتـماد أوزان البحـــور الطـويلة:	92
3-2. وحدة الـقافية والــرّوي والتّصريع:	95
3-3. ظاهرة الـتّوازي وتَوَلُّد التّكرار عنـها:	98
3-4. قلّة الأبيات المخصوصة بمدح الرّسول وقِــصر القـــصائد قبل وفـاته:	100
3-5. غيـــاب عنـــــوان القـــصـــائد:	102
4. خصائص شعر المديح النّبوي في عصر صدر الإسلام من حيث المضمون:	104
4-1. الطّابع الدّيني الإسلامي وصِـدق المَـــشاعر بعـــيدا عن المُـــــغالاة:	104

4-2. الوظيـــــــفة الـــدَعَـــويّة الإرشـــــــاديّة وقُـــوة المَعَـــانِي:	106
4-3. الاقتباس من القرآن الكريم والسنّة النّبويّة:	108
4-4. الألفاظ والحقل المعجمي الدّيني الإسلَامي:	110
4-5. تعدّد الموضوعات والأغـراض الشّـــعرية:	112
الفصل الثالث: خصـــائص شِـــــعـــر المديح النّـــبوي في العصر الحديث.	116
1. مَـــــدخَـــــل:	118
2. أعـــلام شِـــــــــعر المَـــدِيح النّـــبوِي في الـــعَـــصر الحَـدِيـــث:	119
2-1. مَحمُود سَامِي البَـــارودِي (ت 1904م):	119
2-2. أحـــمَـــــد شَـــــــوقِي (ت 1932م):	122
2-3. يُـــوســـــف النّبـــــهَاني (ت 1932م):	125
2-4. أحـــــمَـــد مُـحَـــــرَّم (ت 1945م):	130
3. خَصَائِص شِعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيثِ مِـــن حَيثُ الشّـكل:	133
3-1. اِعـــتـــمَاد أوزانِ الـــبُحُـــورِ الطَـويلَـــةِ:	134
3-2. وِحدَة الـقَافِـــــية والـــرَّوِي وَالتّـــصرِيع:	139
3-3. ظَاهِرَة الـتّوَازِي وتَـــوَلُّـدُ التّـــكرَار عَـــنـــهَا:	141
3-4. طُول القَصَائِدِ وكَثرَة الأبيَات المَخصُوصَة بِمَـــدحِ الـــــرّسول(ﷺ):	145
3-5. حُضُـــور عُنـوان القَـــصَائِدِ وإتـقَـانِـــه:	147
4. خَصَائِص شعر المَدِيح النّبوِي فِي العَصرِ الحَدِيث مِن حَيثُ المَـضمُون:	150
4-1. الطّابعُ الدِّينِي الإسـلَامِي وَصِدق المَشَاعِر والـــمُغَـــالَاة فِي المَـدح:	150
4-2. الوَظِيـــــــفَةُ الـــدَعَـويّةُ الإرْشَـــــادِيَّـــةُ وَقُـــوَةُ المَـــعَـــانِي:	155
4-3. الاقتِبَاسُ منَ القُرآنِ الكَرِيـمِ والسُنّةِ النّبوِية:	157
4-4. الأَلفَاظُ والحَقلُ المعجَمِيُّ الدِّينيُّ الإسلامي:	160
4-5. تَعَـــدُّد المَوضُوعَات والأَغْـــرَاض الشّـعرِيّة:	163
الفصل الرّابع: مُوازنَة بَين هَمزيَّة حَسَّان بن ثَابِت ونَهج البُردَة لأَحمَد شَوقِي	166

1. مـــــدخـــــــل:	168
2. ماهية المـــوازنـــــة الأدبـــيّة وشـــــــروطـــها:	169
2-1. مفهوم المـوازنة لغـة واصـــطلاحا:	169
2-2. شـــروط المـــوازنـــــة وأصـــولها:	170
2-2-1. شـــــروط المُوَازن وصـــــفاته:	171
2-2-2. شروط صحّـــة عمليّة الـــموازنة:	172
3. دراســة قصـــيدة هـــمـــزيّة حسّـــان بـن ثـابت:	172
3-1. ملخـص القصيدة ومناسبة نظـمها:	173
3-2. دراسة القصيدة من حيث الشّـــــكل:	176
3-3. دراسة القصيدة من حيث المضمون:	186
4- دراسة قصيدة نـهـــج الـبردة لأحـــمد شـــــوقي:	195
4-1. ملخص القصيدة ومناسبة نظمـــها:	195
4-2. دراسة القصيدة من حيث الشّـــــكل:	197
4-3. دراسة القصيدة من حيث المضمون:	206
5- الموازنة بين القصـــــيدتيـن شـكـــلا ومضـمونا:	213
5-1. أوجه التّشابه والاختـــــلاف من حيث الشّـــكل:	213
5-2. أوجه التّشابه والاختـــلاف من حيث المضمون:	214
5-3. خلاصة الموازنة ونقـاط التداخل بين القصيدتين:	215
خاتـمـــــــــــة:	216
ملاحـق الدّراسَـة:	222
قَصَـــائِـــد مُـــدَوَّنـــــة البَـــحـــث:	223
ملخّصات الدّراسَـــــة:	237
1. مُلخَّص الـــــدّراسَة باللُّغةِ العَـــربـــيّةِ:	238
2. مُلخَّص الـــــدّراسَة باللُّغةِ الإنجلِيـــزيّةِ:	239

3. مُلخَّص الـــــدّراسَة باللُّغةِ الفـرنســـــيّةِ:	240
قـائـــــمـة المَـصَـــــــادِر وَالمَـــــرَاجِـــــع:	241
1- قائمَة المصَادر والمـــــــرَاجع العــربيّة:	242
2- قائـــــمَة المـــجـلّات والـــــدّوريـات:	249
3- قائـــــــمَة الرّســـــائل الجـامعـيّة:	250
4- قائـــــــمَة المـــعاجـم والقـــواميس:	250
5- قائـــــــمَة المـــراجـــع الأجنـــــبيّة:	251
6- مـــــراجِـــــع مِـــن الأنـــترنـــت:	251
فَهَـــارِس الدّراسَـــة:	255
1- فَـــــــهرس الآيَـات القـــــــرآنيّـة:	256
2- فَـــــــهرس الأحَاديث النّـــــــبويّـة:	258
3- فَـــــــهرس المَـــــوضُـــوعَـــات:	259
تـمّ بِحَـمدِ الله	264

-اِنتهَى-

تم بحمد الله